

# الميزان في تاريخ مصر

مصر الوثنية والمسيحية

الطلب التاريخ الصحيح قدرى وطبع

تأليف

الكتاب صنف

Alexander Seifi,  
London.

المطبوعة بالعاصمة  
شعبة المطبوعات

تارىخ على رقم ٥ بالقاهرة  
ELIAS' MODERN PRESS,  
EL-OUDI STREET, CAIRO.

0173715



Biblioteca Alexandrina



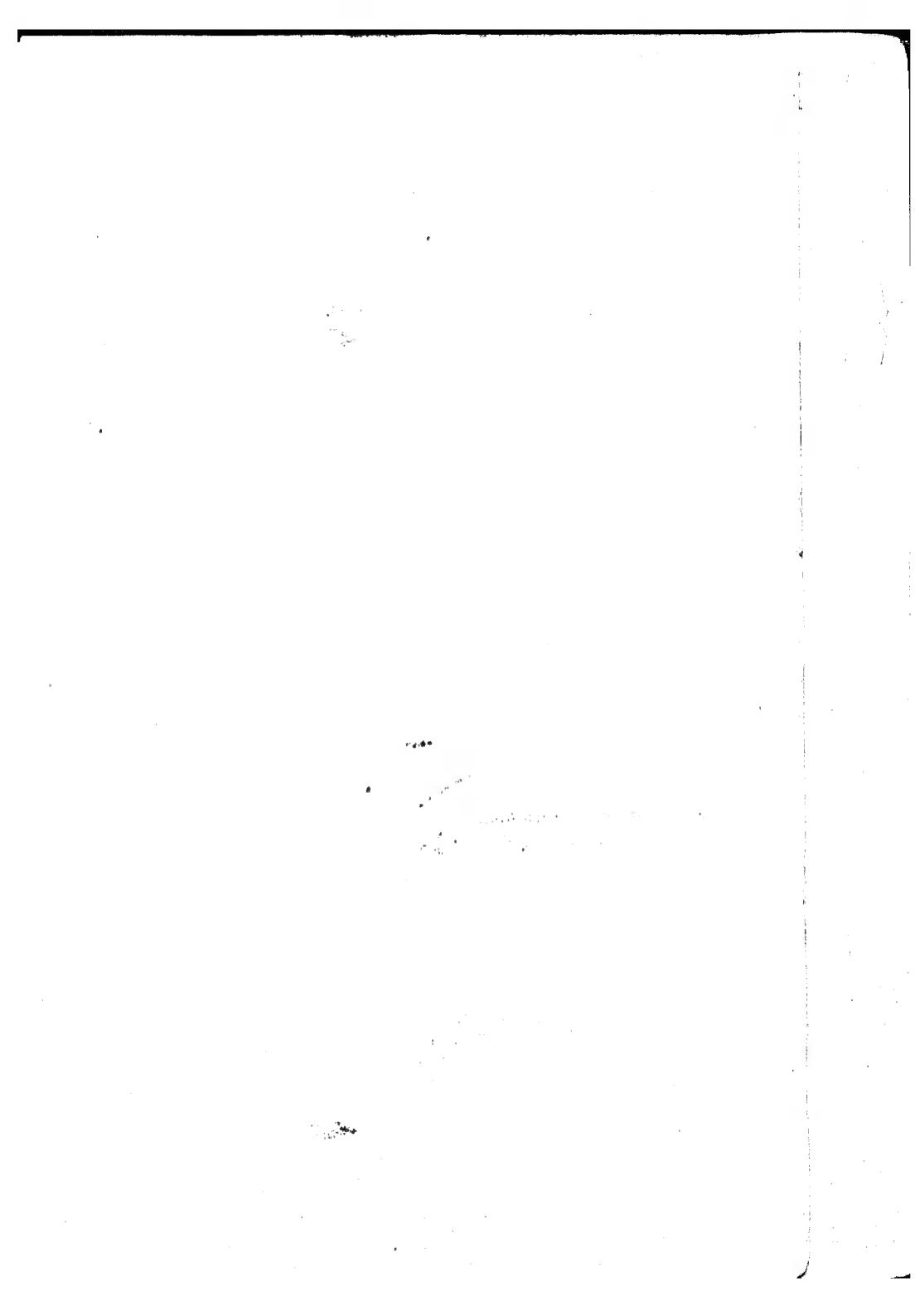
K

اهداءات ٢٠٠١

المرحوم أ.د. زكي علی

القاهرة

11/1/80



# المِنَارَةُ النَّارِيَّةُ

في

مصر الوثنية وال المسيحية

اطلب التاريخ الصحيح قتسريج و ترجم

تأليف

اسكندر صيفي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

Alexander Sefi,

London

المطبعة العجمية

الطبعة الأولى طبعة اليابس  
الطبعة الأولى طبعة اليابس  
الطبعة الأولى طبعة اليابس

شارع علوى رقم ٥ بالقاهرة

ELIAS' MODERN PRESS,  
ELOUI STREET, CAIRO.

٤٣٧٥٩١٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

All rights reserved



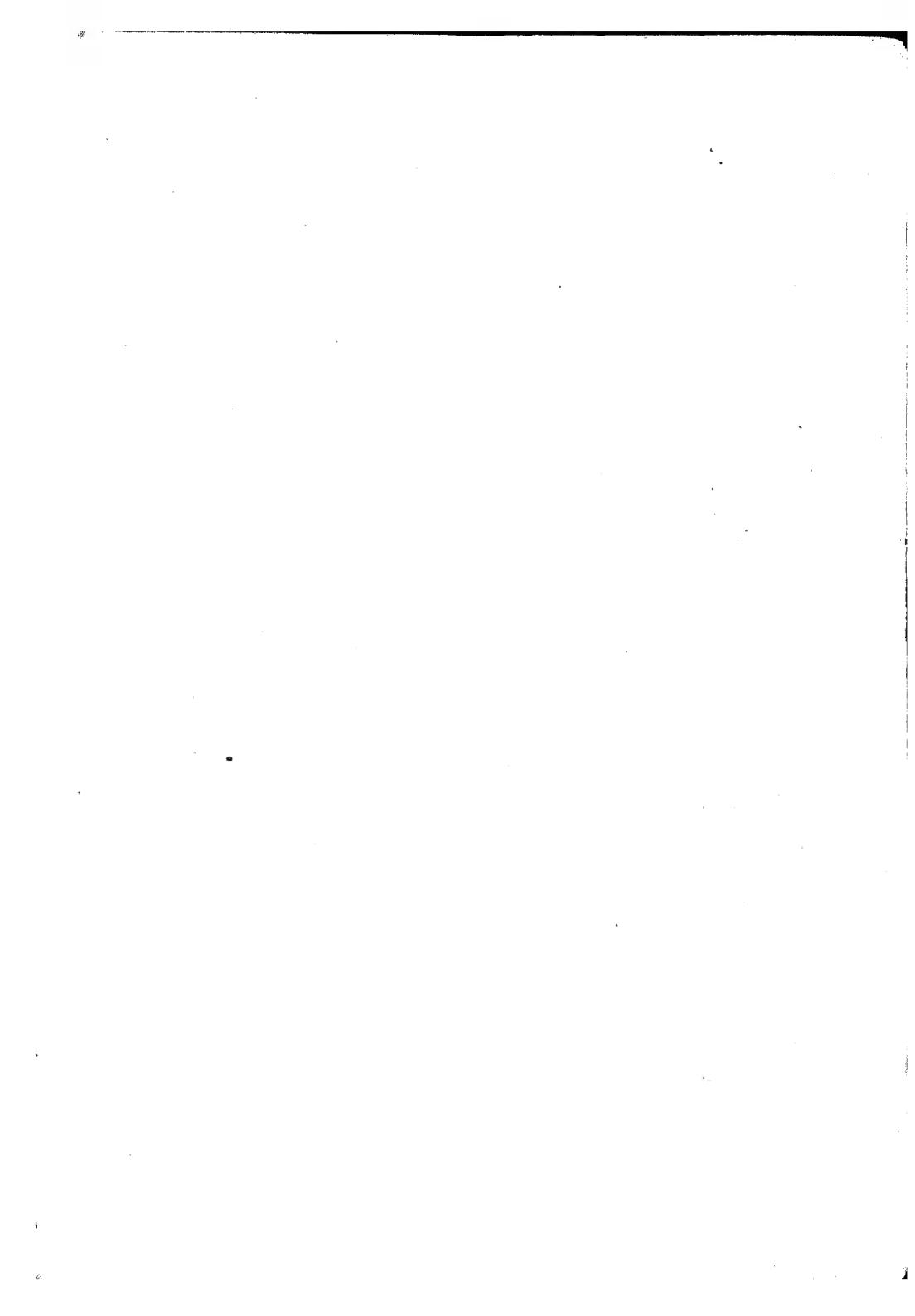
يطلب هذا الكتاب  
من ادارة «سفنكس Sphynx» بالقاهرة  
في شارع المناخ  
وئمه عشرون قرشاً

## مقدمة

الراشد لا يكذب أهله ، ولا يبرقش قوله ، واني استخرت الله وجئت  
هذا التاريخ من كتب الأفرينج الفضلاء ، المطليمين على اخبار الاغريق  
والرومان القدماء ، وسيته

### المنارة التاريخية في مصر الوثنية وال المسيحية

يَدِ أَنَّهُ السِّيَّارُ الْمُشْرِقُ فِي بُوَارِ الْمَشْرِقِ ، قَصَدَتْ فِيهِ فَكَاهَةُ قَارِئِيهِ  
وَالْعِلْمِ ، وَتَبَيَّنَهُ افْكَارُ الشَّبَانِ وَذُوِّي الدُّوْقِ السَّلِيمِ ، وَأَخْلَاهُ قَدْ أَتَى رَائِقَ  
الْحَدِيثِ بَعْدِ الْغَوَّرِ ، وَارْجَوْ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًّا عَلَى مَثْلِ ذَلِكَ الدُّورِ ، وَذَلِكَ  
الْجُورُ ، حَتَّى يُرِيَ الْمُشْرِقَ زَاهِيًّا رَاقِيًّا ، وَلَا سَبَبَ الْعِرَانَ وَاعِيًّا دَاعِيًّا ،  
وَأَلَّا يَفُوتَهُ الْاعْتِبَارُ ، مِنْ عَظَاتِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَالْأَخْبَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



بسم الله

## الفصل الأول

سنة ٥١ إلى ٣٠ ق.م

في فلاوفطرا و أخيهها و بوليوس قيسرو مارق انطوني

(١) في سنة احدى وخمسين قبل المسيح توفي ملك مصر اليوناني بطليموس نيوس ديونيسيوس بالاسكندرية تاركاً وصيحةً بالملك بعده لابنته البكر فلاوفطرا ولابنه بطليموس الأكبر على انها يقتربان (١) ويحكمان سويةً . وكان قد ارسل صورة هذه الوصية لجلس الامة في روما لحفظها في سجلاته لوقت الحاجة وبها يقسم على الشعب الروماني بالاقسام الغليظة بالهتم والمعاهدات الودية التي بينه وبينهم ألا يخالفوها ويعهد اليهم بكماله ولده حتى يبلغ اشده فعند موته اقام المجلس وصيحةً على الملك القاصر يومي صديق والده وفي السنة الثالثة من ملك فلاوفطرا و أخيهها ارسلت الاسكندرية ستين مركباً حريباً

(١) كلامادة عند ملوك مصر القدرين لا سيئما بين ابناء العيلات من

سنة ٢٥٠٠ ق.م

لاسعاف بوميبي ضد خصمه بوليوس قيصر، وبينما الحوادث تشغله  
كان الحصيّ بولينوس مربيّ الصبي هو الوصيّ فعلاً فاستأثر  
برأيه وأعلن الملك باسم الصبيّ وحده خلافاً للوصية

(٢) فانكرت قلاؤفطرا فعله وهررت منه إلى سوريا وهناك جمعت لها  
جيشاً وزحفت به إلى حدود مصر تطلب حقوقها من الملك بالسيف.  
واذ كانت جنود مصر واقفة في بلوزيوم (١) لمقاومتها وصل إلى  
الاسكندرية بوميبي مذعوراً من وجه قيصر المنتصر عليه في  
فرساليا (٢) يطمع باستقبال حسنٍ ومرءة من مملكة ابن صديقه  
غير مدركٍ درجة مكر اليونان الذين لما رأوا ضعفه وخذلانه وقوه  
خصمه اجمعوا راياتهم على الغدر به فارسلوا القائد أخلاس والقائد  
لوقيوس سپتيوموس لاستقباله على المرفأ بظاهر الحفاوة والودّة  
ولما وصلوا به إلى البر قتلوه . وعلى قول تيودوتوس اليوناني من  
جزيرة خيوس استاذ الملك الصغير « لا خوف عليهم من عصمة  
الميت ». وكان بوميبي ذاك الشهم الخطير الذي تقلّد رئاسة  
مجلس روما ثلاث مرات وله اليد البيضاً امام والد ملوكهم القاصر!

(١) امنح حصون مصر قديماً على ميلان من ضفة النيل الشرقية  
جهة سوريا

(٢) هي تساليا الحديثة

(٣) وبعد قليل وصل ايضاً قيسر للاسكندرية ، وفيها باعه ما أراجه من نقل جرم قتل حمه بومي . وكان مامعه من الجنود لا يزيد عن ثلاثة الاف وما يتي راجل وثانية فارس لكنه بصفته كرئيس مجلس روما واستناداً على ما بقي من قواته في اسيا لم يحجم عن اصدار امره للعمل بوصية ديونيسيوس . فلملك اظهر الطاعة وبا مر قيسر بعث رسولين الى الاخلاس بالاً يتحرك بالجنود التي معه في باوزيوم . لكنه مربيه پوتينوس اسرَّ الفدر بقيصر ايضاً فارسل من قتل رسول الملك بالطريق بينما رسنه تجد بالوصول الى اخلاس لتطليبه مع رجاله للاسكندرية باسرع ما يمكن

(٤) وكان قيسر قد ازعج پوتينوس بالحاجه عليه لوفاء دين جسم كان له على الملك السالف . وتنظم پوتينوس للناس من طلبه واحقدهم عليه لا بل انه امر بازالة اواني الذهب والفضة من مائدة قيسر وابداها باواني الحزف والخشب واخبره بان تلك قد صبَّت نقوداً لوفاء دينه ، وقدم الجنوده سفالة الاطعمه وامتنَّ بها عليهم كغير مندو بين بلاده

(٥) اما قلاوفطرا فكانت لم تزل ضاربه خيامها بالقرب من باوزيوم تنتظر نتيجة اوامر قيسر . ثم انها احتالت لواجهته واثقة بقوَّة جماها لاستهله لنحوها ، فركبت البحر خفيةً وذرت وقت وصولها للاسكندرية ليكون ليلاً ، ويوصولها اليها نزلت بركب

صغير مع صديق لها يدعى ابولودوروس الصيقيلي . واذ رأت دخوتها للقصر الملوكى علانية مستحيلأً ، طلبت الى رفيقها ان يلهمها ببساط ويلقىها على باب القصر كضياعة برسم قيسار ففعل ونجحت حيلتها ووجدت نفسها واقفة امام قيسار ، لكنها بينما كانت قد جاءته سائلة اذا بها مالكة قلبها وصاحبة الامر على الملكة باسرها

(٦) وبهذا الاثناء وصل اخلاص بجنوده للاسكندرية ، ولم يكن لدى قيسار سوى الجنود التي اتى بها وكان الشعب حاقداً عليه . فلما رأى ضعفه عن الخروج لاخلاص عمد الى الامتناع بالقصر فتحصن وحبس عنده الملك وآخاه الاصغر واخوهما ارسينويه ( اي القمر ) وپوتينوس . وكان القصر بالنقطة المسماة بروخيوه على الشاطئ وله سور منيع لجهة المدينة والطرقات منها اليه ضيقه لاتسبيح للعدو ان يقتربها بعدد كبير من الرجال ، ومع ذلك فان قيسار رأى استلزمته لعدد اوفر على البر ، فامر جنوده التي كانت باقية بالمراكب ان تحرق بعضها وتأتىه للبر . فلما اشتعلت المراكب التي امر بحرقها طار شرارها الى مخازن الرصيف فاتقدت وامتدت النار منها الى الموزيوم فاحرقه وابادت مكتبه الشهير مع السبعينه الف كتاب التي كانت فيها وبها وعلمائها ازدان ملك البطالسة وذرتهم حق في اخر الزمان وسلط الجهل على الملكة وبها كانت

دار سينز ، ثم هاجر الى افريقيا

الاسكندرية محظوظ رجال العلم بعد اثينا . ولو لا ان قيصر يلاقي فرجاً من اعدائه ولو بهلاك هذه المكتبة لكان ولا شك ترك لنا بتاريخه عن حربه تأثيناً لأنهاً بها . فكانت حال الجريض دون القريض

(٧) ثم ان ارسينيو يه هربت من القصر الى اخلاقاً . فدقق قيصر المراقبة حينئذ على من معه ، واكتشف على دسائس من پوتينوس بها يطمع اخلاقاً بقلة المؤنة بالقصر ويستهض عزمه فقتله

(٨) ولبث اخلاقاً محاصراً قيصر خفر خندقاً بجانب القصر لمنع من فيه من الخروج ، وسلح العبيد وسخر الاغنياء ، وبالاصهم لكن اذ ارسينيو يه عارضته ببعض تصرفاته ولم يرضع لكلامها ، عملت على قتلها واستبدلت بالسلطنة فاقامت خصيئاً غانيديس قائدآ على العسكري وكانت هي بنفسها تخرج للجنود وتشجعهم على القتال وسنها لا يتجاوز الثانية عشرة . واذ كان شرب الاسكندرية من صهاريج يأتيها ماء النيل بأنابيب من الترعة ، حوال غانيديس ماء البحر المالح لتلك الترعة ، فلما اشعر رجال القصر بتغيير طعم ماء صهاريجهم هاجوا قلقاً لثلا يوتوا عطشاً . لكنَّ قيصر عرف السبب فأمرهم بالحفر بالارض ، وبليلة واحدة وجد ماء عذباً يكاد يكفي البلد كله خلافاً لزعم الجهور لذاك الزمان بان ارض الاسكندرية ليس تحتها ماء يُشرب

(٩) ثم ان غانيميدس فكر فيها يصنع هلاك المراكب الرومانية وهو لا موانى له يحاربهم بها . فاستدعي كل المراكب التي كانت عنده لمراقبة السكارك بالنيل واصلح العتيق من مراكبها البحرية واخذ اخشاب البيوت لعمل المقاذيف وبعدة قصيرة جهز سبعة وعشرين مركباً حربياً ومراكب غيرها صغيرة كلها يكامل وقام مراكب قيسار ما خلا الزينة . وكان ماسك الدفة براكب الاسكندرية يقف تحت خيمة بشكل الخوذة (التي اسمها بالانكليزي هيلمت) فصار فيها بعد هيلمت اسمياً للدفة بلغة الانكليز . اما قيسار فلم يكن باقي عنده من مراكبها الحربية سوى خمسة عشر مركباً مع بعض مراكب صغيرة ، لسكنه اذ كان واثقاً بمنكهة وشجاعة نوئيته الرودوسيين امرهم بالخروج الى العدو المحيط بهم وراء جزيرة المنارة ، ورغمما عن ان ضيق المخرج كان لا يسمح لهم بالخروج باكثر من اربعة مراكب بالدفة يمكن للعدو كلها بربزت ان يحوط بها ويحطمها ، خرجوا اليه وكانوا كلها تصدى لهم مركب من مراكبها يديرون له رأس مركبهم الحدّ الى انهم بظل مراكبهم الاربعة الاولى تكسنوا من اخراج مراكبهم كلها من الموقف واستعر القتال بين الفريقين حتى احرى وجه البحر من الدماء . وكانت ترى سطوح الاسكندرية والجزيرة خاصة بالمنفرجين وصراخهم يلأ الجو تحريراً لجامهم على القتال . اما نوئية قيسار فكان لا حاجة

- لهم بالتحريض الامن عند أنفسهم ، فاسروا مركبين واغرقوا  
ثلاثة من مراكب العدو و هرب منهم الباقيون و تبددوا
- (١٠) فلتلافي مثل هذا الخطر ثانية ، عزم قيصر على الاستيلاء على  
جزيرة المنارة فعبأ مراكبه و خرج اليها فأخذها والقلعة التي  
فيها والسد الذي يربطها بالبر بينما كان العدو ماسكاً بالطرف  
الآخر من السد قلعة اكير فقصد ان يخرجها منها ايضاً ، لكنه  
ما جرّب ذلك أخفق وارتدى جنوده هاربةً مراكبها والعدو  
يضغطها ، ومن شدة الازدحام بالراكب غطس مركب قيصر  
الخاص به ولو لا انه يرمي بنفسه للماء ويسبح لمركب أبعد لكنه  
هلك من جملة المهاجمة مقاتل الدين فقدمه ذات اليوم . وقد جبته  
الرسمية فأخذها المصريون وعلقوها وسط المدينة علامةً لانتصارهم
- (١١) ثم حصلت مهادنة بينهم لأن المصريين كانوا قد بدأوا يسكنون  
من جور ارسينويه وخصبها و يطلبون ملوكهم . وكان قيصر  
يحسن الظن بالصبي " فعزّم على اطلاقه ورده اليهم ، فبطليموس  
الاكبر اظهر عدم رضائه من مفارقة صديقه قيصر وتأسف و لكنه  
اذ بلغ معسكره سمح دموعه وأعاد الكرة على قيصر
- (١٢) وكان قيصر ينتظر أن تأتيه مراكب سورية بذخيرة فوضع  
بطليموس مراكبه على مصب النيل جنوب الاسكندرية وسد  
عليها الطريق

(١٣) إنما متريدياتس البرغامي كان زاحفًا بربًا بجنود سورية لاسعاف قيصر، وبوصوله إلى باوزيوم ففتحها ثم مشى إلى منف (١) حاز ما أن يقطع النيل بالقرب من هليوبوليس فقام اليهود هناك يعارضونه لكنه لما أطاعهم على الرسائل التي معه لهم من أخوانهم في أورشليم أنسوا به. ثم لحق به انطبياطر بثلاثة آلاف مقاتل من اليهود، وقيصر ومن معه من الجنود أتواه مقلعين برأكبهم فشد لهم بطليموس قواه وكان القتال بينهم أولاً سجالاً إلى أن كسروه فاتجأت رجاله لما كبرها وازدحم مركبها الخانص فغطس به وبين معه وهلكوا بأجمعهم

(١٤) فعاد قيصر حينئذ بجنوده للسكندرية، ولما وصلها خرج أهلها لاستقباله وأمامهم الأصنام يطلبون الأمان، فأمنهم ودخل المدينة وأول اوامره كان أن يُعمل بوصية ديونيسيوس ولما كان الابن الأكبر قد مات أمر أن يكون أخوه بطليموس الأصغر عوضًا عنه بالملك مع فلاوفطرا، وكانت فلاوفطرا قد ولدت لقيصر ابنتا سهاء قيصرتون (٢) ورغمًا عن ولعه بها لم يرَ بدًا من رجوعه لروما

(١) — عاصمة مصر القديمة على اثني عشر ميلاً جنوب القاهرة وليس لها إنما الان، أما هليوبوليس مدينة الشمس المصرية فهي «عون» التوراة

(٢) — هكذا كان قانون الملكة لكي لا يسقط حق الملكة من ملوكها بدخول غريب عنها فيه فكانت تأخذه صاحبًا

فتركها تحكم باسمها واسم أخيها الذي صار زوجها الشرعي كثنائيين عنه، وأبهر لروما مع الفيلق السادس الروماني آخذًا معه الأميرة ارسينويه اسيرة. فلما وصل إليها علم بأن مجلس الامة فيها قد سماه أو توقراطًا من ستة أشهر وكان مارق انطوني رئيس اصطبله النائب عنه في تلك المدة

(١٥) ودخل روما قائداً الأميرة ارسينويه موثوقةً بالاغلال وراء مركبته.

وكان يوكبه مرکبة فوقها صنم الله النيل واخرى تحمل تمثال منارة الاسكندرية ووراءها زرافة لم تكن الرومان عرفت شكلها من قبل. ثم بعد قليل وفدت عليه زائرة الملكة قلوفطرا مع زوجها الشرعي وعمره اثنتا عشرة سنة وكانا نزيلي داره مدةً من الزمان

(١٦) ولما كانت السنة الخامسة من دخوله الاسكندرية واذ قلوفطرا

نزيلة داره انتقض عليه الرومان لزعمهم أنه قد استبدَّ فيهم وقتلوه . فتحيرت قلوفطرا في أمرها وظننت أنها تستميل الرومان

اذا عرضت على مجلس الامة اقامته ولدها قيصرون شريكاً لها بالملك . فالتراجعت إلى قيصر ولدها لكنه كان يغضها لتجبرها

رفض طلبها وهديةً كانت قد ارسلتها إليه ، فلما انكرها وجلت

وهربت راجعةً لمصر

(١٧) فن هذا الوقت ضيَّعت مصر استقلالها وأمسكت قلوفطرا في

خطر من الرومان ان لم يكن لها زبون منهم خولت انظارها

اولاً ( وقيل أكثر من ذلك ) نحو سكستوس بومبيوس الذي كان على رأس اسطول روماني عظيم وبيده صقلياً ويطمع برئاسة روما ، لكنه اوقتاً يانوس بعد قليل انتصر عليه ولاشى قواته فلم يفدها شيئاً

(١٨) وكان قيصر قد ترك في مصر جيشاً رومانياً وفراً لحراسة الملكة ظاهراً ، لكن حقيقة لحفظ السلطة الرومانية . فكان هذا الجيش

لا شغل ولا عمل له الا البطر والفساد وكان شرّ قدوة للجمهور

(١٩) أما قلاؤفطرا فريماً كان اخوها ولداً فاصرأ لم تبال ان يكون شريكاً لها بالملك ، لكنه اذ بلغ اشدّه قتله واخذت ابنتها قيصرة شريكاً لها

(٢٠) وبوجه الاجمال فان هذا الزمان كان زمان فسق وبغور واسراف وفتن في مصر ، فلا نجد فيه شيئاً من نتائج العقل والعلم ، الا ان الرياضيات كان اهالها اقل تأثيراً من اهال الشعر والفلسفة . فان سوزيسيينوس كان اول علماء الفلك في ذلك الزمان في مصر ويساعدته أصلح يوليوس قيصر تقويم السنة المنسوب اليه وهو الذي بعد تحديده ايام السنة من ثلاثة وخمسة وستين يوماً وربع يوم بدل رأس السنة ثلاثة مواد لارتباطه بيوم الاعتدال ، وذلك لأن المراقبة اللازمة كانت في ايامه محصورة بيومين من السنة اذ قرر الشمس بخط الاشواء

(٢١) ومن علماء الحساب والهندسة في ذلك الزمان كان الرياضي فوتينوس وديديوس بالفقه ، وديسقوريدس بالطب ، وهذا كتاب نفيس بخصائص المثائق والأعشاب والمعادن الطب ، وبالسموم وعلاجاتها تداولته الناس اجيالاً عديدة الى ان اضفت الاكتشافات الحديثة رأيه . واشتهر ايضاً بهذا الزمان الجراحى سيرابيون . قيل عن تجربة لا عن علم

(٢٢) وبهذا الزمان كان بناء المعبد الصغير في هرمونتس بالقرب من ثيبة للآلهة مندو او الشمس على اسم قلاؤفطرا وابنها قيصرون ، وبالقرب منه حوض ماء لازوم الفرائض الدينية . وهذا المعبد مختلف عن المعابد القديمة بضففه عنها . وهو الوحيد في ثيبة للآلهة مندو . مع انها كانت تعرف هذا الآله من عهد رمسيس الثاني لكنه اصلاً من آلهة الارياف وإنما آتى زمان عبادته فيه ثيبة بدلاً من «عمون را» . ثم رجمت لعبادة هذا الى ان شيد بذلك الزمان المعبد الصغير لمندو الذي سرراه بالعهد التالي قد صار من آلهة النوبة

(٢٣) اما موت قيصر فلم يكسب الرومان شيئاً من الحرية المندوبة والراحة المرغوبة ، لا بل انه زاد بالنزاع فيما بينهم وبيلايا الفتن الداخلية . ثم تغلب حزب قيصر على غيره من الاحزاب بعزم

او قتاو يانوس ابنه الشرعي وصديقه مارق انطوني . وعادت السلطة  
لهذه الفتنة ونيرها أحكم ربطاً من نير قيسرو وأعظم وقرأ

(٢٤) لا يظهر لنا جلياً كيف كانت أميال قلاوفطرا لدى النزاع بين  
مارق انطوني وحزب قاتلي قيسرو ، وربما أنها كانت تنتظر لترى  
من الأقوى لتميل اليه فإن اليانوس كان قد أثارها من قبل  
دولوبلاً يسألاً أن تبعث ما يمكنها من الجنود لمساعدة انطوني  
في سوريا ، فأعطته أربع فرق من جنودها الرومانية . لكنه  
بوصوله لسوريا انحاز لقاسيوس خصم انطوني . فهل كان هذا منه  
غدرًا بقلادوفطرا أم بتوطئي منها ، لا نعلم ؟ إنما المعروف هو أن  
قاسيوس كان يشكك لاليانوس أكثر من شكره لها . ثم لما سيرابيون  
والى قبرس حشد أيضًا ما كان يظنه الحزب الأقوى وبعث  
مراكبه لخدمة قاسيوس كانت قلاوفطرا تجهز عمارة كبيرة . لكن  
بما ان قبل خروج هذه العماره كانت الحرب قد انجلت عن  
انتصار انطوني وقتل بروتوس وقاسيوس قالت أنها إنما كانت  
تجهزها لمساعدة او قتاو يانوس وانطوني فأرسل انطوني يطلبها  
لمواجهته في طرسوس لتبرهن له ذلك

(٢٥) فالرسول إليها ديليوس لاق منها أكراماً وحناءة فلطفها وأزال  
روعها مشيرًا عليها أن تشك على جهازها بجهزت مراكبها وشحنتها  
بالمدايا النفيسة واقلمت لطرسوس واثقة بالغلبة على قاب قاضيها كما

غلبت على قلب قيصر من قبل وهي أحدث سنًا واقل حنكة  
فدخلت مراكبها نهر قدس الذي نسميه العاصي برونق باهر جداً  
فكان مركبها محلّ مؤخره بالذهب وشراعه من القماش الأحمر  
ومقابله من الفضة تتحرك على نغمه الأوتار وهي لابسة ثوبًا  
شفافاً ومتکنة على وسادة من الحرير يظلالها سرادق من الديساج  
وحوّلها غلامان كالقاريوحون لها بالمرأوح وأمامتها الفتیات لاسات  
ماخف وشف يسكن جبال الحرير المتصلة بالشراع والدفة واد  
دنت من البر حمل النسیم روانع مجامرها العطرة لاهالي طرسوس  
الذین كان الشاطيء غاصباً بهم وانطوني جالساً بينهم على اريكة  
لاستقبالها .

يا سالكاً بين الأسنة والظبي . اني اشم عليك رائحة الدم ! ) ٢٦  
وطرسوس على نهر العاصي طرف احراس سفح جبل طوروس  
الفاصل بينها وبين قبائل افرييجيا والفينيقيين كان نصفها من اليونان  
والنصف الآخر من السوريين وكان لها شهرة عظيمة ببناء المراكب  
والتجارة نظراً لحسن موقعها وخشب احراسها فكان تجارة اصحاب  
غنى واسع واداب وهم فيها القصور الشاقة والمدارس للفنون والعلوم  
اليونانية وكان يخرج منها علماء مقلدون عرفت روما منهم اكثراً مما  
عرفت من علماء الاسكندرية واثننا لازم المراكب كانت كثيرة

( ۲ )

عندهم تحملهم أينما شاؤوا فائينو دوروس قوريليون كان منهم أئـى روما وصار استاذـاً لقانو وأثينـو دوروس بن صندـون مثلـه صار استاذـاً لقيـسر ونـستور صار استاذـاً لمرـقلوس ومنـهم كان ديمـيتـريوس اولـ عـالم نـزل شـطـوطـ بـرـيـطـانـيا وـبـعـدـ جـيـلـ منـ زـمـانـ هـوـلـاءـ الرـجـالـ خـرـجـ منـ مـدـارـسـهاـ اـبـولـونـيـوسـ الـوـثـيـ المـدـعـيـ بـالـمـعـجـزـاتـ وـاـخـيـرـاـ بـولـسـ الرـسـوـلـ فـالـفـرـقـ بـيـنـ مـبـادـيـ هـوـلـاءـ الرـجـالـ وـمـاـ شـاهـدـتـهـ طـرـسـوـسـ مـنـ اـطـوـارـ قـلـاءـ وـفـطـراـ كـانـ عـظـيـماـ جـداـ

(٢٧) ولـما نـزـلـتـ قـلـاءـ وـفـطـراـ لـلـبـرـ وـسـلـمـتـ عـلـىـ اـنـطـوـفـ دـعـتـهـ وـارـكـانـ حـرـبـهـ لـوـلـيـةـ كـانـتـ قـصـاعـهـ مـنـ الـذـهـبـ الـخـلـيـ بـالـحـجـارـةـ الـكـرـيـةـ وـالـسـرـادـقـ وـاـنـتـنـاـ عـشـرـةـ وـسـادـةـ فـيـ كـانـتـ كـلـاـمـاـ مـنـ الـدـيـبـاجـ الـفـاخـرـ وـاـذـ اـظـهـرـ اـنـتـوـنـيـ اـعـجـابـهـ مـنـ مـشـلـ هـذـاـ الغـنـيـ اـهـدـتـهـ الـاـوـانـيـ كـلـاـمـاـ ثـمـ دـعـتـهـ بـالـيـوـمـ التـالـيـ وـارـتـهـ مـنـ الغـنـيـ وـالـزـيـنـةـ اـعـظـمـ مـاـ رـأـهـ بـالـأـمـسـ وـبـعـدـ الغـذـاءـ اـهـدـتـهـ اـيـضـاـ مـاـ كـانـ عـلـىـ الـمـائـدـةـ مـنـ اوـانـيـ الـذـهـبـ وـاهـدـتـ اـصـحـابـ الـوـسـادـاتـ الـتـيـ جـلـسـوـاـ عـلـيـهـاـ

(٢٨) وـظـلـلـتـ تـولـهـ اـيـامـاـ مـتـوـالـيـةـ عـلـىـ هـذـاـ النـطـ حتىـ اـنـ لـامـهـاـ عـلـىـ هـذـاـ الـاـسـرـافـ فـقـالـتـ لـهـ اـنـتـظـرـ غـدـاـ لـمـاـ اوـلـكـ وـلـيـةـ قـيـمـتـهـ عـشـرـةـ الـافـ سـتـسـتـرـيـاـ ايـ سـتـونـ الـفـ لـيـرـ اـنـكـلـيـزـيـةـ مـنـ عـلـلـتـاـ الدـارـجـةـ الـآنـ فـأـجـابـهـ بـاـنـهـ يـسـتـحـيلـ عـلـيـهـاـ اـنـفـاقـ مـبـلـغـ كـهـذاـ عـلـىـ وـلـيـةـ فـلـامـاـ كـانـ الـغـدـ اوـلـتـهـ كـالـعـادـةـ اوـ اـحـسـنـ الاـ اـنـهـ لـمـ يـرـ مـاـ يـعـتـبـرـ خـارـقـاـ فـقـالـ هـاـ اـرـيـناـ

تقويتك بهذه الوليمة لنعرف الحقيقة عن كلفتها التي زعمت بالآمس انك ستفتقينها وكان باذنيها لولوتان تثنان عشرة الاف سيسستريا فدعت بقدح من الخل والقت فيه احداها وشربتها وكادت تفعل كذلك بالثانية لولا ان القائد بالاسكوس يمسك بيدها ويصدها ويحكم بأنها صدقتهم وبقيت تلك الدرة الى ان قطعت نصفين في مستقبل الايام صيغا قرطائين لصنم وينوس بالبانطيون في روما ولشهرتها بها كان من قصتها صارا يثنان بقيمة الدرتين الصحيحتين

(٢٩) فكذا لطف وذكا ، وكذا جمال وصبا أخذن على عقل الشاب وقلبه فراح صريح الغرام . وبينما كان يقصد مها كثرا وجد نفسه محكماً عليه ومقيداً بسلاسل لا انفصام لها للدرجة أنه امثلاً لارادتها سمح بمحقق شقيقتها أرسينويه في معبد ديانا بافسس بعد عفوه عنها ظننا منه بأنه يراعي بذلك احساسات قلاؤقطرا . ومن بعض كمالات هذه الملائكة العقلية كان اتقانها لا كثُر لغات الشرق والغرب

(٣٠) تلك كانت حالة انطوني بينما كانت زوجته فولويه تهم بتقوية حزبه في روما ضد مطامع أوكتاويانوس وبينما خصمه الآخر لايانوس يتهدده بجنود بحر الحَرَب حتى انه رافق قلاؤقطرا لل拉斯كيندرية وسكن معها غير فائق من سكرته بهواها وهي

توأنسه وتمسح قدميه بالعطر ( كالذى أهرق على رأس السيد المسيح فيما بعد ) وكان الرطل المصرى منه يباع بأربعمائة دينار فى قاقم من الجبسين من عمل بلد الأَبْسَرْزون في الجهة الشرقية من النيل (١) ومن اسم هذا البلد أخذ الافرنج اسم الأَبْسَرْ وكان يُتاجر بهذا العطر من مصر الى دجلة

( ٣١ ) وفي السنتين العاشرة والحادية عشرة من ملك قلاوفطرا لم يتم وفاء النيل فأقحطت مصر وحصلت مجاعة فيها ومن أثر ذلك ما وجد مكتوبًا من تشكيرات كهنة ثيبة (٢) لقاليمخوس جابي الخراج لرفقه بالناس في تلك الأيام وبسبب نقص الوارد من الحبوب المعينة لفقراء الاسكندرية حُرم اليهود منها فكان ذلك خرقاً لمساواتهم الشرعية باليونان وابتداء عداوة طويلة بين الفريقيين لا سيما وان اليونان كانوا ينظرون الى كل شرق كبرى وقيق واليهود لا يرون كفواً لهم بالدنيا سوى العرب

( ٣٢ ) ولما كان كل استناد قلاوفطرا على جيش الرومان كان كل اهتماماً ببرضاة انطونى فولدت له ابناً سميته بطليموس وتؤمن بهما اسكندر هاليوس أي الشمس وقلادوفطرا سيلينه أي القمر وكانت ندينته بالشرب وشريكته بالقمار ورفيقته بالعنص والصيد

(١) على خط طرف جبل سينا

(٢) عاصمة الصعيد قديماً على جنبي النيل تجاه راس المرج الكبير وهي الان الاقصر

واستعراض الجيش حتى اذا قام بالليل يتتجسس كانت تصحبه بزي  
غلام كى لا ترك له وقتاً الا ويراهما بجانبه  
وكنت اذا أرسلت طرفك رائداً

لقلبك يوماً أسلمتك الحاجرُ

(٣٣) ثم أتاه ابنه الأكبر من فولويه زائراً وأقام معه مدةً بمناء ورغم  
عيش واذهم لاهون آمنون وأنطوني يرى الدنيا طوع يديه  
وفدت عليه الكتب من روما تخبره بأن أوقتاويانوس قد نفى  
زوجته فولويه وأخاه من روما واستبد " بالحكم فهروي راجعاً إليها  
لكنه لم يصل الا بعد أن كانت زوجته قد توفيت فتزوج أوقتاويا  
أخت أوقتاويانوس أرملاة مرقلوس لغاية سياسية ظنها تغىض حزبه

(٣٤) وفي تلك السنة أي ٣٩ ق. م آتى هيرود بن أنطبياطر مصر  
فاصداً روما ليطلب اليهودية مملكة له فاستقبلته قلاء وفطرة  
بالأكرام وتاطفت اليه ليبيق عندها أميراً على جنودها لكنه اذ  
كان يطمع باستقلاله لم يغره عرضها عليه الأمارة فشكر لها  
واعتذر وأقلع إلى روما وهناك ساعدت أنطوني على غايتها وبواسطته  
منحه السناتو كرسى اليهودية فعاد لسوريا ليجمع عسكراً للاستيلاء  
على فلسطين ولا نسبت الحرب بين أنطوني وأوقتاويانوس كان  
هيرود قد دخل أورشليم بمساعدة سوستوس وكيل أنطوني

(٣٥) وبالسنة الثالثة أتى أنطونى بنفسه لسورية فبعث يطلب قلاء وفطرا إليه وبوصولها أهدتها ما رجبا كان أثمن هدية من عاشق لعشوقته فإنه أقطعها فينيقيا والبقاع وقبرس وقسمًا من سيليقيا جانب جبل طوروس وقسمًا من اليهودية ومن النبطية فلم يزدها ذلك إلا طمعاً فانها طلبت منه أيضًا رأس هيرود ورأس مالك ملك النبطي لأن الأول كان قد أشار على أنطونى بقطع علاقاته معها التي كانت سبب الاختلاف بينه وبين أوقيتاوس يانوس ولأن الثاني كان حاقداً عليها . فلم يطأوها انطونى على طلبها هذا لكنه زاد لها أرض البلس المحيطة باليهودية ومائتين الف تالت أى قيمة ثلاثة الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن من خراج اليهودية . ولما رأت نفسها على رأس مملكة عظيمة بهذه أخذت تؤرخ ملكتها ثانية من تلك السنة وبعد ان رافقت أنطونى للفرات بزحفه ضد أرمينيا عادت لمصر عن طريق دمشق واليهودية حيث استقبلها هيرود بلياقة أكرامًا لأنطونى وضمن لها الخراج الراجع لها من اليهودية ثم مishi بعض فراسخ بداعها

(٣٦) ومع كل طيش هذه الملكة فانها كانت من ذاك النسل محب العلم وجامع مكتبة الموزيوم التي احترقت بمحصار قيصر في بطليوس الآن أهدتها أنطونى مائتين الف كتاب من مكتبة برغاموس<sup>(١)</sup>

(١) برغاموس من آسيا الصغرى ومن اسمها اشتقت الافرنج اسم الرق بالفترة «بارشمن» نظراً لشهرة الرق المصنوع فيها بذلك الزمان

وضعتها في معبد سرايس وبها عادت الاسكندرية اول مدينة بالدنيا بالعلوم حتى باخر الزمان وانحطاط مصر لدرجة ولاية رومانية لا بل وخمسين سنة بعد ذلك حينما الفياسوف اليهودي فيلو اتى الاسكندرية وسائل اين هم بطالستها فكان لسان حاهم يجيئها هنا في مكتبة السيراليوم

(٣٧) ولترجم الآت لأنطوني فإنه بعد انتصاره على الأرمون عاد للاسكندرية قائداً ملوكهم أرطاوَرْدِسْ أسيراً وراء مركته ثم دعى الناس للجمنازيوم وجلس هناك مع قلاؤفطرا على كرسين من الذهب واعلن للجمهور اتخاذها ابنها قيسرون شريكاً لها بالملك وأعطى أولادها الآخرين لقب ملوك أبناء ملوك وأقطع ابنها اسكندر أرمينيا وميديا والجرجان متى تم فتحها وأقطع بطليموس ابنها الآخر فينيقيا وسورية وسيليقيا جانب جبل طوروس وكانت قلاؤفطرا لابسة ثوباً كالألهة ايزيس بصفة ايزيس الجديدة وألبست ابنها اسكندر جبة وعمة مجوهرة على شكل المديانيين وألبست بطليموس جبة طويلة وقلشيناً وعراقيه عابها اكليل مجوهر أشبه بثاج خلفاء الاسكندر. وكان أنطوني لابساً تاجاً ومقلداً سيفاً شرقاً وأهدى بذلك الحفل لقلاؤفطرا كافة التحف التي أصابها من بارثيا أي بلاد الخزر وخواص وأسيرة طفران بن ملوكهم

(٣٨) لكنه اذ كان نفوذه بهذا الاشاء قد سقط في روما مالبث قليلا حتى صار يخشى من تغير قلاؤفطرا عليه ويختلف أن تقدر به ورغمًا عن ولعه بها صار لا يأكل ولا يشرب عندها مالم تقادمه المأكول والمشروب . فاستاءت من ذلك وهي لم تزل مخالصه له ولتهن له صفاء نيتها لتحوله . دعته يوماً للغذاء بعد ان اخذت زهوراً كانت تكلل رأسه بها على السجاط وغمستها بالسم النافق . ولما جلسا على المائدة رفعت من رأسها زهوراً ورمتها بقدرها كأنها تتنافق برؤيتها بالقديح وشربت فاقتدي بها انطوني لكنه اذ مال بالقديح الى فه خطفته منه وأخبرته بأنه مسموم ولو أرادت موته لتركته يشرب ثم أقنعته بالبرهان بوجود ذاك السم فسكنت روعه وعاد الى ثقته باخلاصها

(٣٩) واول النقود المضروبة بعد قلاؤفطرا كانت ترى عليها صورتها من جهة وصورة نسر ام قرن من الجهة الاخرى واسم الملكة قلاؤفطرا ثم اذ ولدت لأنطوني أولاده ضربت النقود بصورة انطوني فاتح أرمينيا من جهة وصورة الملكة قلاؤفطرا ام الملك أبناء الملوك من الجهة الاخرى ومنها بصورة انطوني أمبراطوراً من جهة والإلهة الفتية بصورة قلاؤفطرا من الجهة الاخرى . وربما أن قلاؤفطرا كانت آخر ملوك اليونان الموصوفين باللهة على عادة القوم قليلاً من وجه التحجب والاكرام وليس من وجه الحقيقة

أو ربما أصلاً يعني ان القائم بالامر أميراً كان أو سيداً أو رئيساً هو كالله ملء تحت سلطنته بالنيابة عن الآلهة الغير منظورة وهذا فيه نظر لمن تبصر

(٤٠) اما بحث يوليوس قيصر وبعد قليل منه بحث بروتوس وقايسوس مزاحي أنطوني على رياسته روما . وجد هذا نفسه الزعيم الأول بين الرومان لكن كثيرين منهم كانوا يكرهون سلوكه في مصر وكان أوقتاً يانوس قد ابتدأ أن يجعل لنفسه حزباً قوياً ضدَّه فأول الامر لم يؤثر ذلك على مركز أنطوني في روما فضررت نقودها تلك السنة بصورةه من جهة وصورة النسر المصري من الجهة الأخرى وسُجنَّ المجلس نائباً له صديقه سوزيوس ريثما يحضر لاستلام زمام رياسته فضررت مصر نقودها النحاسية حينئذ مكتوبًا عليها من جهة أنطوني فتصدر لثالث مرة ومن الأخرى الملكة الالاهة الفتية اما قبل سفره منها كان قد تغير رأي المجلس فيه وعدًّا عدوًّا لروما لكن اذ لم يرد أوقتاً يانوس أن يشهر الحرب ضدَّه أشهره ضد قلاء وفطرا أو كما ادعى ضد حاشيتها مفسدي أخلاق أنطوني وهم عبدها مرذيون وأمتها ايريس وامرأة من خواتصها تدعى خرميون

(٤١) وفي بداية السنة التي كانت ستنتهي بمقعة اكتيوم (١) بين أنطوني

(١) رأس خليج ارتا من بلاد الاغريق الفريبية المسماة بيريا حيث خير الدين سنة ١٥٣٨ م فاز على عمارات اسبانيا والبندقية والباباوية

واوقتاً ويانوس كان هذا قد تسلّط على ايطاليا والغال واسبانيا وقرطاجنه يقود ثانين الفاً من المشاة واثني عشر الفاً من الفرسان وله مائتان وخمسون مركباً حربياً بينما انتظري كان الأمر في مصر والسودان والقيروان ولديه مائة الف من عساكر المشاة واثني عشر الفاً من الفرسان وخمسين مركب وكانت كل ملوك الشرق من انصاره فكانت قلاء وفطراً موقنة بالنصر تحلف برأسها انها ستُرى عن قريب جالسة على سرير روما وكان ذلك جائزًا لولا ان انتظري يأخذها معه لميدان الحرب ويقضي على نفسه وعليها بالفشل والهلاك لأنّه اذ كان يقاتل اوقتاً ويانوس بمهارته على شطوط بحر الروم بالقرب من اقيتيم جاء وقت خاف فيه عليها فهرب بها طائشًا عوضًا عن أن ينضم الى جنوده الهرية التي كانت اوفر من جنود اوقتاً ويانوس ويفودها الى النصر

(٤٢) ولما وصل بها الى ليبيا أنزلها هناك وأرسلها بربما للاسكندرية وربما أنه كان ينوي الرجوع لموقع الحرب ويفعل ما أشرنا اليه لكنه لم يفعل بل أفلح هو أيضًا للاسكندرية هاجرًا جنوده التي انضمت حينئذ الى خصمه وهو اذ وصل للمرفأ اعترض نفسه كثييرًا مدة قصيرة بصومعة هناك ثم خرج منها ودخل المدينة ورجع الى ما كان عليه من الله والطيش مع محبوبته مهملًا أخذأي احتياط من الخطير الذي كان يهدده بربما وبحرًا

(٤٣) هذا مع ان سكان مصر كانوا بذاك الزمان يبلغون زهاء ثلاثة آلاف الف نسمة فكان يمكن أن يخرج منهم ثلاثة الف مقاتل وكانت ثروة الاسكندرية لم تزل كافية لاعالتهم لكنهم كانوا قد الفوا النمل كالعير فلا يبالون من يركبهم من الحكام فلم يحركوا ساكنا لنصرته ولما وصل أوقتاً ويانوس الى بلوزيوم لم يجد سوي حامية ضعيفة كان قائدها سلوقوس الذي سلم له بدون مدافعة ولهج الناس بأنه فعل ذلك بأمر من قلاؤفطرا لكنها أنسكرته ولتبريء نفسها أمام انطوني سلمت له أولاد سلوقوس وزوجته لينتقم منهم ان شاء

(٤٤) ثم وصل أوقتاً ويانوس لضواحي الاسكندرية ونصب خيامه بعيداً من بابها الشرقي فخرج اليه انطوني برجاته وأزاحه عن مكانه ذلك اليوم الا أنه لما أراد الخروج في اليوم التالي ودعى جنوده فلم تجبه الا شرذمة حفظت ذمتها فذكر بها مشمراً بخيانة قواده فلم يطّق الوقوف امام عدوه فانهزم هارباً للداخل السور

(٤٥) فاليهود فرحاً من خذلان قلاؤفطرا وأظهروا ارتياحهم من فشل حاميتها وصارت هي تلعنهم وتشتهي ذبحهم ولو بيدها وكان انطوني يرى توادر رسل أوقتاً ويانوس اليها فاشتبه بصدقها وهي خافت من غضبه فهربت لحصن كانت قد بنته بالقرب من معبد ايزيس آخنة معها كنوزها من ذهب وفضة وعاج وابنوس وكية من القنب كأنها تقصد ان تضرم النار بالمكان وتقوت فيه حريقاً بثروتها ثم ارسلت

تُخبر انطوني بأنها قد ماتت فلما أتاه الخبر ظن أنها قد سُمِّت نفسها  
فبكي لفقدها ولم يرضَ أن يعيش بعدها فاستل سيقه وشكه بصدره  
حتى اشرف على الموت وطار الخبر إلى قلادوفطرا بباً كان منه  
فانت Hibat وبكت وطلبت احضاره إليها فحمله خدمه إلى الحصن  
ولتكون قلادوفطرا كانت قد سدّت بابه خوفاً من أن يُغدر بها  
وتقع يد العدو ارخت له سلة من كوة الحصن تتشله بها فكانت  
تسحبه بمساعدة امرأتين معها ينتظرون الجمهور والدموع تكاد ان  
تعي بصرها وهو ملقى مضمون بدمه رافعاً يديه نحوها فرحاً بسلامتها  
لأنها بعد وصوله إليها مات

(٤٦) وبهذا الاثناء دخل أوقتاو يانوس المدينة راجلاً وبرفقته اريوس  
فأعطى السكان الامان وحرّم على عساكره السلب أكراماً  
لطلب رفيقه ثم سأله عن اولاد قلادوفطرا من انطوني وتلطف  
بهم اما ولدتها قيسرون فكان هارباً نحو السودان مع مربيه  
رودوف ومع انه يكون ابن خاله قيسر ذاك الذي تبنّاه وسماه  
باسم اي يوليوس قيسر أوقتاو يانوس لم يشفع على حداهه سنه  
وضعفه بل ارسل من لحق به وقتلها بالطريق . قيل بتواطئ من  
مربيه اما المتزلفون الى هذا الظالم فنهم من يقول بان اريوس  
كان المشير عليه بقتل الصبي ومنهم من يدعى بأنه كان ابن

قلوظراء من أخيها لامن قيصر فيتحلون عذرًا لصاحبهم الذي  
اعطوه فيما بعد لقب أغسطسوس

(٤٧) وامر اوقناو يانوس بالاحتياط بقلوظراء كي لا تقتل نفسها وهو  
يريد ان تعيش ليزين بها موكبه عند ايابه الى روما فراح يزورها  
ويعزيزها بفقد انتوفى واذن لها بدفعه ووعدها بحفظ كرامتها  
وتهدها بقتل اولادها ان اضررت نفسها لكنها لم تطق الحياة  
طويلا فيقال بانها اخذت سهام ماتت من لسعة زنبور ام حية  
أثي لها باحدىهما في سلة عنبر وعمرها اذ ذاك تسع وثلاثون  
سنة ودفت بجانب انتوفى باحتفال ملوكى

(٤٨) ومعنى اسم قلوظراء «عز والدها» فكان اسمها لطيفاً شريماً  
شائعاً بين اليونان والمقدونيين زهاء اربعائة سنة حتى دنسته هذه  
الملائكة بسيرتها الرديئة فقلما سموا به بناتهم بعدها

(٤٩) ورأت روما فرجا بوت قلوظراء وخلاصاً من خطر وقوع  
اوقناو يانوس بشراً كها والتلوك بمار غورها

(٥٠) سوى اننا قد كنا للان ننظر الى الرومان عن بعد ولا نرى منهم  
الا الشهامة والمرؤة فكان بالصدر الاول يكفيهم الشكر من  
ابيافانوس وفيوماطر وعرجتيس الثاني لمساعدة ابدهما اما الان  
فصرنا نرى البحر لا يرويهم والاهواء الذاتية والمطامع تقودهم  
رويداً رويداً الى الاستئثار بالسلطة والفتورات لاتزيدهم الا

طبعاً فانهم ملکوا اوامقدونيا من باب المدافعة ثم القيروان بمحيلة  
ثم قبرس بلا سبب وصرنا نرى رجال السناتو اشد رغبة في الرشوة  
من الامة بالفتورات والولاة كالذئاب الخاطفة حتى انهم لما تفاص  
الفساد بينهم لم يروا دواه لـ الا جعل اوقتاً يانوس او طوقراطـ  
اى حاكـاً مطلقاً يعمـل برأـيه وامرـه فيـهم ليـضع حدـاً للـاختـلال  
والـحروب الدـاخـلـية وـهـو اـذ ذـاك قد ضـم مـصر الى مـملـكتـه  
والـغـيـ استـقلـالـهـا

وهذا كان اخر العهد بالبطالسة الذين افادوا العلوم والمعارف مالم تُقدّم دولة قبليهم لا سيما ان بالرياضيات والتشريح والمنطق كانت الاسكندرية القطب الذي عليه مدار علوم المسكونة ولو انها قصرت جلباً بعلم الاقتصاد والتاريخ وانحاطت عن درجة اثينا بالفلسفة وسلامة الذوق

على اقامة العدل وتمهيد اسباب الراحة وتحصين الاطراف وبناء المدارس وتسهيل غايات التجار واستشارة العقلاء مما جعل الاسكندرية زينة الدنيا ومحط رحال زهرة رجال اليونان والسوريين صرنا نرى بالزمان الاخير فساداً يعم الكبير والصغير

(٥٤) ولما خلفه ابنه فيلادلفوس قبل تاريخنا هذا وجد مملكة واسعة مطمئنة فصدق امانها وجرى بها في درجات التمدن وال عمران الى ان صارت اسواقها غاصة بالتجار ومدارسها بالطلبة وفتحت ابوابها تتوالى براً وبحراً وصار هو اول ملوك زمانه بالقدرة والغنى والسيرة الحسنة حتى انه اعتُبر فيما بعد اعظم ملوك هذه العائلة

(٥٥) فكان المصريون بعهد هذين الملوكين من اسعد الناس واحسنهم حالاً اخذين عن اليونان بعض فنونهم وعاطلهم دينهم فان الملك عرجتيس كان مصرياً اكثراً مما كان يونانياً يفار على عظمة المعابد وآلام الكهنة كأنه عامل بالوصية الدلفية « ان الاله يتفضى اكراماً في كل محلٍ طبقاً لشريعة ذاك المخل» الا ان الجند لم يكن حينئذ من هذا الروح فضعف تأثير الكهنة على الهيئة الاجتماعية واختلت المبادى عن الزمان الاول

(٥٦) وبالعهد التالي ظهرت آفات هذا الضعف والخلل فان فيلوباطر كان ملكاً فاسقاً تاركاً الحكم لنسوته وحاشيته غير مكترث بالحوادث لا الداخلية ولا الخارجية ظانًا ان مملكته لم تزل

اعظم ممالك الدنيا بينما لم يبق لها حيئث حقیقته من العظمة الا  
الصورة والتقدم يخدم روما في قرطاجنه وسورية تحت قيادة  
انطیوخوس العظيم ثم مات فيلو باطرا مخلفاً لولده الصغير عرشاً يكاد  
ان ينقض

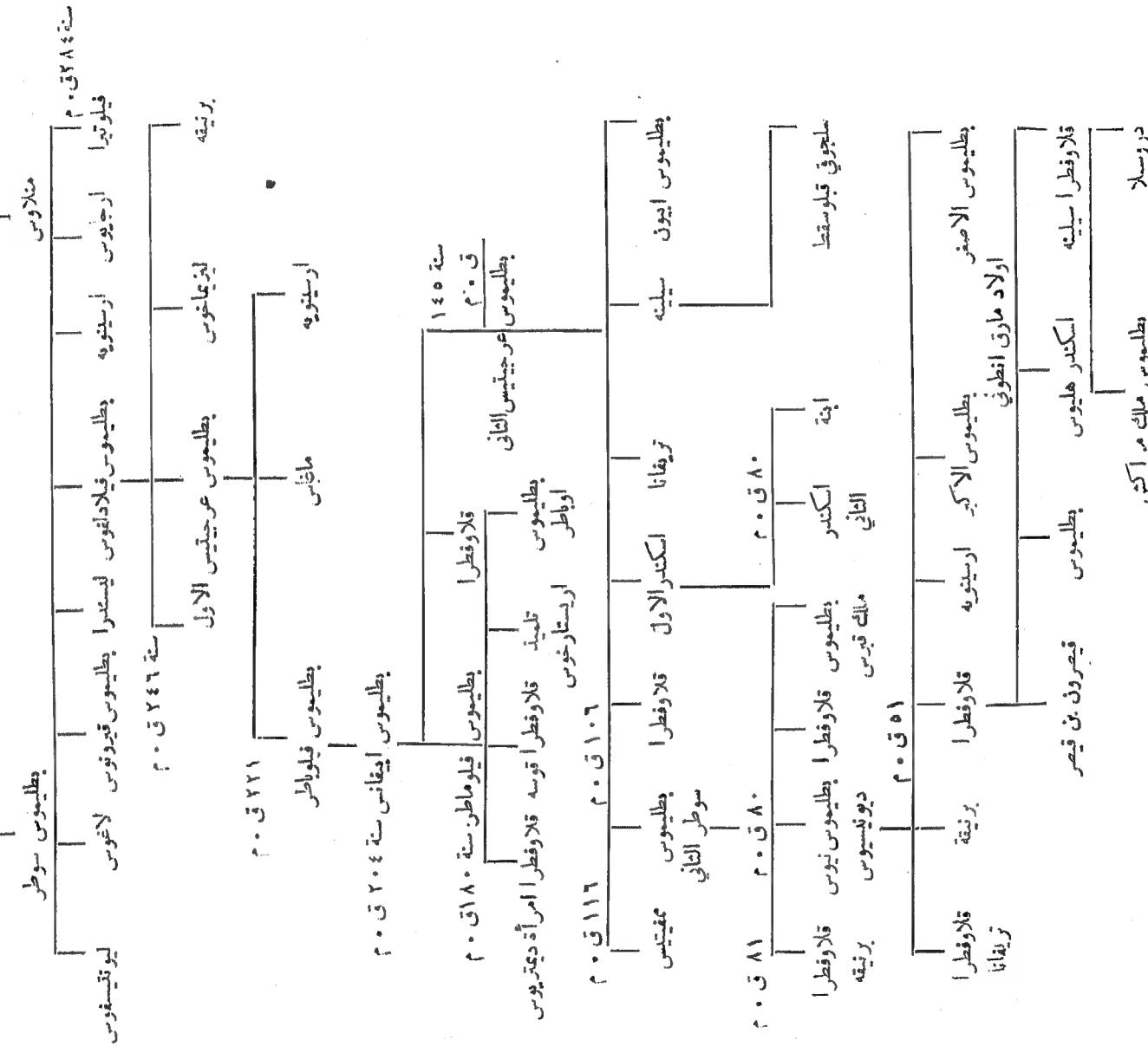
(٥٧) فوزراء الملك القاصر وجدوا دولة لا راس لها ولا جيش وخزينة  
فارغة وشعباً بلا مرؤة ولا فضيلة فاستعنوا بالروماني خوفاً من تعدي  
ملوك سوريا ومقدونيا

(٥٨) ومن ذاك الوقت اصبحت دولة البطالسة تحت حماية روما  
الى ان صارت ملوکها تطلب اعانة الرومان تارة ضد اعدائهم  
وتارة ضد رعاياها واحياناً تستشير السناتو بصالحها وادا لم تعمل  
برائتها قدمت لها اعذراً فكانت الاحکام على هذا المثال تدخل  
رويداً رويداً بيد السناتو الى ان الظروف خولتها الاستيلاء على  
حوران واسيا الصغرى والقيروان وقبرس ووصل البطالسة لدرجة  
التملّق لشرفاء روما فلم يعسر بعدئذ على اوقتاً يانوس الملقب  
باغسطس ان يضم مصر لملك الرومان

(٥٩) وللبطالسة بنايات من معابد واساطين كان يظن بانها من قبل  
زمانهم حتى فك كتابتهم الدكتور ينبع الانكليزي والاً فان  
اعتناهم كان شديداً بحفظ التقاليد القدیمة والتباين الذي يظهر فيها  
هو والا بد منه على طول الزمان في كل بلاد فان البناءات الجديدة

## سُجْرَةُ عَائِدَةٍ: أَلْ تَرْغِيْبًا أَوْ الْمُطَالِبَةَ

اویطیم لایمیم سیم ۱۱۱



(oV)

(oV)

(oV)

صارت أقل ضخامةً ومكنا وقطع المسلاط قلًّا ونحت الاصنام العظيمة وتشييد الاهرام توقف وعمد المعابد تغير شكلها فان التي كانت قد يأْتُى ترى رؤوسها محفورة بهيئة ورق الغزار صارت ترى بكلمة بـشكل زهر البشرين واغصان التخل والتى كانت رؤوسها ضخمة تـناسب الحـلـ الـذـي فوقـها صـارت تـرى احياناً بـشكل رأس امرأة نحيفـ ما تـعـودـ على حـلـ اـثـالـ ولا صـحـورـ

(٦٠) اما الدين قبراه في زمان البطالسة قد انتقل لـاـلهـ جـديـدةـ اـمـ قـديـمةـ بصورةـ جـديـدةـ ، فـانـ الـالـهـ هـنـيـمـ وـهـوـ النـيـلـ قدـ صـارـ بـصـورـةـ الـالـهـ النـهـرـ اليـونـانـيـ يـدـفـقـ مـاءـهـ منـ اـبـرـيقـ وـالـقـمـرـ الـذـيـ كـانـ يـجـلـ رـؤـوسـ الـالـهـ قـدـيـعـاـ صـارـ اـلـهـ باـسـمـ يـوـحـ ، واـيـزـيـسـ الـالـهـ ذاتـ العـشـرـةـ الـافـ اـسـمـ . ثمـ انـ مـقـامـ الـالـهـ تـبـدـلـ عـنـ قـبـلـ فـصـارـ اـفـتـاحـ وـسـيـرـاـيـسـ منـ الـدـرـجـةـ الـاـوـلـىـ . وـتـغـيـرـتـ اـسـمـ الرـجـالـ وـالـبـلـدـانـ فـعـوـضـاـ عنـ فـتـاـيـزـيـسـ وـفـتـعـمـونـ وـسـيـرـاـيـونـ صـرـنـاـ نـسـمـعـ بـعـودـوـتـيـسـ وـهـرـمـوـفـنـطـوـسـ وـبـولـيـقـرـاطـ منـ اـسـمـ الرـجـالـ وـصـارـتـ اـشـوـبـيـنـ تـدـعـىـ هـرـمـوـبـولـيـسـ وـاسـنـاـ لـاـتـوـبـولـيـسـ وـخـمـيـسـ بـاـنـوـبـولـيـسـ وـثـيـيـهـ دـيـوـسـبـولـيـسـ . وـنـشـأـتـ مـدـنـ جـديـدةـ كـالـبـطـسـيـةـ (١)ـ وـفـيـلـاسـهـ

(١) نحو ١٤٠ ميلاً تحت ثبيه وتحتها فيلاسه على بعد نحو ١٤٠ ميلاً منها على النيل اي بين القرىتين الحديثتين المنشية والجرجه

وغيرها ودخلت للكتابة صور جديدة كالزافه والموميه الراقدة على سرير المراكب ناشرة شراعها والمعجلات بخيالها . وكثير استعمال الحروف واتسع التعبير عن الأفكار بالكتابه حتى ان القاب الملك زاد وصفها بطفراتهن

(٦١) ولما شاع استعمال ورق الفافير للكتابة بالقرب من زمان دخول الفرس لمصر شاعت ايضاً الكتابة بالحروف وقلم الغزار وتشوشت صورها من ضعف صناعة الكتاب فهي الان اعسر فنّاً من المحفورة . واما ماطرًا على اللغة من التغيير فلا علم لنا به لاسيما ان معرفتنا بلغة ذاك الزمان مخصوصة بما نظنه يقرب منها وهي ترجمة الانجيل باللغة القبطية والحرف الرومي بعد سقوط البطالسة بثلاثة قرون

(٦٢) ولما دخلت مصر في ملك اوقناتا يانوس الذي سند كره بعد الان بلقب اغسططوس كان القبط غير اولئك الذين عرفهم الاسكندر ولم يكن لهم من حظهم الاول من الاداب الا القليل فقلوا عدداً وافتقرروا وتباهوا .

## الفصل الثاني

عن سنة ٣٠ ق. م الى ٦٨ م

انتقال مصر الى حكم الرومان

اغسطوس سنة ٣٠ ق. م

(١) ابتدأ اوقتاً يانوس الملقب الآن بأغسطوس حكمه في مصر بكسر تماثيل انطوني فيها وكانت هذه التماثيل بالاسكندرية وحدها تفوق الحسين ، أما تماثيل قلاوقدطر فانه أبقاها برجاء صديقها أرخيبيوس وبيرطيل منه بآلف تالت أي نحو مائتين وخمسة وعشرين الف ليرة من عملتنا الدارجة ، ثم أقام قورنيليوس غالوس الشاعر صديق ورجيل واليًا على مصر

(٢) وكان القانون قبل سقوط الحكم الجمهوري أن لا يقام حاكم بأملاك الرومان الا من أعضاء السناتو فأغسطوس لم يطلب الغاء هذا القانون لكنه طلب ولاية مصر وغيرها باسمه وبهذه الحيلة اخرج الولايات من حكم السناتو لحكمه الذاتي وصار يقيم لها من شاء نائباً

عنه الا مصر فانه ترك أمرها ل السناتو محاابةً منه والا فان السناتو كانت قد أمست اسمها بلا جسم فلا يصدر منها أدنى تحريش لولا مصر بل كان هو الامر فيها ايضاً

(٣) ولكن بينما كان الحكم الروماني يترك لا كثرة الالياز استقلالها الاداري ، لم يستعمل او قتاو يانوس من مصر بين لادا بلادهم الا من كان لا بد منه كالمحفي لشائع دينهم وليس فقط اقام عليهم ولاةً من غير اعضاء السناتو بل انه حرم على هؤلء الأصلاح الدخول لأرض مصر الا بأذن منه وصار هذا قانوناً بعد لأجيال عديدة حتى في الزمان الذي فيه صارت الرومان تحتلوا لاستعمال المسابورة . وقبل سن هذا القانون كان زار مصر الشاعر تيبلوس بصحبة صديقه السناتور ماسلاً وحكي عن مشاهدته حزن أهل منف على موت عبدهم ابيس وأخبر عن فيضان النيل ا يكون عند طلوع الشعري اليانية مع الشمس

(٤) وكانت السنة المصرية تبتدئ من هذا الطلوع والسنة الديوانية عندهم كانت من ٣٦٥ يوماً فرأس سنهم كان ضرورة يتاخر ردي يوم من سنة لسنة <sup>(١)</sup> فامر أغسطوس بالتحاذ حساب السنة المنسوبة لقيصر من ٣٦٥ يوماً وربع يوم . واد وقع رأس السنة المصرية بذلك

(١) وهكذا كان الحساب يتاخر شهرأ كل ١٢٠ سنة وكل الف وخمسين سنة تقريباً يتم الدور فترجع الشهور الى فصولها الاولى

الزمان في ٢٩ سكستيلس اي الشهر السادس عند الرومان جمل ابتداء السنة منه وصار هذا الشهر يسمى أغسطسوس باسمه . ولبث هذا الحساب مستعملاً في اورو با ستة عشر قرناً الى أن البابا غريغوريوس الثالث عشر أصلاح خلله بوضع السنة الكبيسية . ولما دخل أغسطسوس سنة الجديدة صارت مصر تؤخر بثلاثة رؤوس سنة . سنة مصرية رأسها نحو ١٨ يولييو من اسم يوليوس قيصر وسنة امبراطورية رأسها ٢٩ أغسطسوس وسنة فلكية رأسها من طلوع الشعري اليانية مع الشمس

(٥) وهذا كان حدّ اهتمام الرومان بدائرة العلوم الا أفراد منهم كقيصر الذي أمر بمساحة اراضي الاملاك الرومانية وقياس سككها وأغسطسوس الذي امر الان بمساحة ارض مصر الى ان بظرف اثنين وثلاثين سنة تمت مساحة اعظم القسم المعروف من الكرة لذلك الزمان ورفع به التقرير للستانتو ، وفي ما يلي فان اهتمام الرومان كلهم كان موجهاً للحرب والقتال

(٦) واذ كان أغسطسوس بالاسكندرية جاءه هيرود متوسلاً باعادة املاكه التي كان أنطوني قد أقطعها قلوقطرا فأحسن أغسطسوس استقباله وأجاب طلبه وزاده السامرية والمدن البحرية الحرة وأعطاه اربعمائة جندياً من رجال الفال كانوا من حرس قلوقطرا الخاص واخر شاكرية البطالسة

(٧) وزار اغسطسوس ضريح الاسكندر ووضع عليه أكليلاً من الذهب وآخر من الزهور وأما قبور باقي ملوك البلاد فلم يلتفت إليها ، كما انه زار منف ورفض أن يزور العجل ابيس مع ان الاسكندر زاره بزمانه وضحي له احتراماً لعقيدة القوم ولطفاً منه بهم . فشكل آلة بالذى فيه ينضج

(٨) لكنه أعاد لليهود الامتيازات التي كانت لهم من عهد البطالسة رغمًا عن كره اليونان لذلك وقد أصاب لأن اليهود كانوا حينئذ أصحاب تهذيب وآداب وغنى ومنهم خرج ابوнос العالم الذي يُعدُّ بعد الحواريين من أعظم المبشرين بالدين المسيحي وهو الذي نشره في افسس وقورنط واقريطش

(٩) ولما عاد اغسطسوس لروما اخذ معه كل الدخانات والتحف التي اصابها بصر فكان ما حمله من الفضة والذهب بالرغم عن افتقار البلاد بالزمان الاخير كافياً لأن يخفّض قيمة النقود في روما فتهاوت فائدة القروض فيها وتصاعدت اثمان العقارات هذا ما اعدا الجواهر والتحف والاثاث الثمين مما جمعه من القصور الملكية ودخل به روما تحمله العجلات الضخمة وراء مركبته مع الاسارى اولاد قلاوونطرا من انطوني وينهم تمثال اهم عوضاً عن شخصها وكانت باخر الموكب تماسيع للفرجة منها زاحفة ومنها سابحة في حوض تلاعها رجال من بلد تنطيره التي كان أهلها اخبارين بصيد وتربيه هذا الحيوان

(١٠) وأراد اغسطوس أن ينتقم من الاسكندرية فأمر ببناء مدينة بالمكان الذي ضرب فيه خيامه من جهة بابها الشرقي عند زحفه ضدها لتكون العاصمة الجديدة وسماها نيقوبوليس وبنى فيها المعابد ونقل إليها زينة معابد الاسكندرية وكهنتها ولكنها لم يتمها فهُجرت بعد قليل وعاد كل شيء منها للاسكندرية ، كما ان الاسكندرية لم تزل للآن آهلةً عامرةً تحمد بانيها ونيقوبولي لم يبقَ لها أثر ولا خبر لأنها لم تؤسس على التقوى وسلامة النية

(١١) وحسب عادة الفاتحين بذلك الزمان نقل الرومان ما أمكنهم حمله من مصر لبلادهم فأخذوا قثلاً محليًّا بالذهب لاله يانوس نصبوه في معبده في روما وصورةً من عمل نيشيا كانت من ذخائر الملكة المثيرة وأشياء كثيرة غير هذه والمستثنين القائمتين للآن في بيازا دل بوبولو وفي مونتي تشيتيورو من زمان اغسطوس

(١٢) ورأى اغسطوس بأن الوالي قورنيليوس غالوس لم يحسن السياسة في مصر فأبدله برجل حازم عاقل يدعى بطرونيوس

(١٣) فكان بطرونيوس يستخدم الجنود عنده لتنظيف ترع الري من الطين لعلمه بأن فائدة الفلاح تفيد جابي الخراج وفي أيامه صار بناء المقياس على جزيرة الفيلية ليعرف منه ارتفاع النيل

(١٤) ثم اذ كان بعد ذلك اليوس غالوس واليًا على مصر في هذا العهد

أَتَى السَّائِعُ الشَّهِيرُ اسْتَرَابُو زَائِرًا مَصْرُورًا وَرَافِقُ الْوَالِي لِسَيِّدِهِ (١) وَتَرَكَ  
لَنَا وَصْفًا شَائِقًا عَنْ جَمَالِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَعَظَمِ تِجَارَتِهَا الَّتِي كَانَتْ  
تَفُوقُ تِجَارَةِ إِيطَالِيَا بِأَسْرِهَا فَانِ الْمَرَاكِبُ فِيهَا كَانَتْ تَغْطِي وَجْهَ  
الْمَرْفَأِ وَشَطْوَطَتْ بِحَيْرَةِ مَرِيُوطٍ وَأَوْضَاحِهَا تَمْتَدُ لَا بُعْدَ مِنْ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ  
وَمَنْظَرُهَا مِنْ جَهَةِ الْمَسَارَةِ مِنْ جَهَةِ كَانَ مِنْ أَبْدَعِ الْمَنَاظِرِ  
حَسْنًا وَالْمَعَابِدِ وَالْقَصُورِ تَجْلِلُ أَكْثَرَ مِنْ رِبعِ الْبَلَدِ مُثْلِ السَّيِّدِ الَّذِي  
كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْمُلُوكِ وَقُبُرِ الْإِسْكَنْدَرِ وَدَارِ الْحُكْمَةِ وَالْمَوْزِيُومِ الْجَدِيدِ  
وَمَحْلِ مجَمِعِ التِّجَارِ وَمَعْبُدِ نَبِيُونَ وَالْتِيمُونِيُومِ وَالْقِيَصِيرِيَّةِ وَمَعْبُدِ  
سِيرِاَيِسِ الْبَدِيعِ وَالْجَنَازِيُومِ وَمَعْبُدِ بَانِ الَّذِي يُكَشَّفُ مِنْ سَطْحِهِ  
عَلَى الْبَلَدِ كَلَّاهَا وَالْمَبُودِرُومِ وَالْبَسَاتِينِ الْبَلَدِيَّةِ غَرْبِيِّ الْمَدِينَةِ وَالْمَقْبَرَةِ  
ذَاتِ الْبَنَيَاتِ الْلَّطِيفَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ مَا عَدَ الْقُبُورُ الَّتِي بِالْبَيْمَاسِ  
وَحَفَّاتُ بِحَيْرَةِ مَرِيُوطِ الْمَكْسُوَّةِ بِدَوَالِيِّ الْعَنْبِ الشَّهِيرِ بِجُودَةِ خَرْهِ  
وَجُوَانِبِ التَّرْعَةِ مِنْهَا إِلَى النَّيلِ الْمَبِيَّنِ بِالْأَزْهَارِ وَالْأَعْشَابِ وَالْأَشْجَارِ  
الْخَضْرَاءِ بَيْنِ بَهْرَجَةِ الرَّمَالِ الْبَيْضَاءِ حَوْلِهَا وَبِعِيدًا كَانَتْ تَرَى  
بَنَيَاتِ الْمَدِينَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا اغْسُطْسُوسُ . وَلَا عَجَبٌ مِنْ هَذَا  
الْوَصْفِ لِعَاصِمَةِ كَانَتْ فَنُونُ الْيُونَانِ وَغَنِيَ مَصْرُ مُسْتَخْرَجٌ لِزِينَتِهِ

(١) هِيَ اسْوَانُ الْمَدِينَةِ بِلَادِ عَادِ الْقَدِيمَةِ قَرْبَ جَبَلِ الْعَاكِيِّ وَفِيهِ ذَهَبٌ  
وَفَضَّةٌ وَجَنُوبًا مِنْهَا عَلَى خَمْسَةِ عَشَرِ لَيْلَةً جَبَلُ الزَّمَرَدِ

بينما هليو بوليس العاصمة القديمة التي هدّعها قيسي لم يكن باق من أثار مجدها سوى البيترين الذين درس افلاطون وصديقه اودو قوسوس بهما الحكمة . أما منف فانها كانت المدينة الثانية من مدن مصر لأن ثيبي وأبيدوس كانتا قد صارتتا بدرجة القرى . وعain استرابو في منف قتال الشيران وأذن له أن يطلع من نافذة على الثور المقدس أبيس في مربضه . وشاهد بالمساحية لقط المتساح المبارك وتغذيته بالحلويات والجزر . ورأى البطلسية تكاد أن تصاهي منف بجمالها نظراً لاعتناء الملوك بها بعد أن كانت لهم مسكنراً فان بنياتها وقوانينها كانت كلها يونانية كالاسكندرية خلافاً لباقي مدن مصر وكان موقعها بين بانو بوليس وأبيدوس حيث ها الآن القرىتان المنشية والجرجه وهذا هي الآن قد افتحت بينما معابد ثيبي القديمة المهد والبنيان لم تزل قائمة تشهد لها بالعظمة والشان . وزار ايضاً الصنم العظيم المكسور <sup>(١)</sup> ولكنه أبى أن يحكم بسبب مصدر النغم منه عند طلوع الشمس عليه . وشاهد البئر في سيننه التي يقع قعرها على حفة الشمس الشمالية تماماً في أطول يوم من السنة . ورأى براعة النوتية بانحدارهم بالشلال في قوارب الخوص . وزار جزيرة الفيله

(١) اصلاً تمثال امتحوطيف الثالث . ولما بهذا الزمان صار يصدر منه نغم على اثر زلزلة حصلت زعم الاغريق بأنه ابن طيطون والفجر وانه مهنو

بالقرب من سينيسي حيث وجد نصف اهلها من القبط والنصف الآخر من السودان

(١٥) ومن سوء رأي هذا الوالي كان طمعه بغزو العرب باليمين وسالمتهم لانه كان يرى تجاراتهم الواسعة وكثرة ابلهم آتية مصر بالاحمال المئونة من أموال الهند تتعاضب بها ذهبًا وفضة من المصريين فظنها من محاصيل أرضهم فزحف ضدهم بعشرة آلاف مقاتل ومائة وثلاثين مركبًا نزل بهم على شاطئ البحر الاحمر بدرجة ٢٥ من العرض الشرقي لكن أدلةً من العرب تأهوا به عمداً بقفارهم فلم يجد مدنًا ولا شاهد عربًا لا سيمًا وان أهل الوبر منهم لما عادوا بقدومه رأوا بأن الهرب من وجهه بأموالهم وماشيتهم انسكى له بذلك الشول من مقاومتهم فأقام سنتين بطلبهم يحاذر من التوغل بالبر خوفًا من العطش الى أن بلغه تسطيي السودان على مصر فهو لراجعاً ولحق بيرا كيه بدرجة ٢٤ من ذاك العرض وبعد أحد عشر يوماً ارسى في ميوس هرموس من بلاد مصر على البحر الاحمر

(١٦) في العصور الاولى من تاريخ مصر كانت السودان متزوج بلقتها ودينهما مع القبط أهل الصعيد لكن بعد تلك الازمان هاجر بعض العرب لافريقيا على شطوط البحر الاحمر ولما زار الصعيد استرا ابو كان عددهم قد تكاثر حتى صار نصف اهل مدينة قبطوس (١)

(١) هي فقط

منهم وكان عليهم مدار نقل أموال تجارة ثيبيه لا بل ان المؤرخ يوبار الصغير الروماني يقول بأن السودان كان في زمان اغسطسوس بيد العرب الذين كان دأبهم الغزو وغثرة القتال وغایتهم السلب واذا أصابوا منه شيئاً عادوا الى منازلهم مفتخرین بفروسيتهم . وكان قوادهم يدھون وجوههم كوجوه اصحابهم بالزنجفه . فهؤلاء العرب لما وجدوا الرومان مشغولين باليم زحفوا من مرو وبالشلال الرابع على الصعيد تقدوهم ملكة عوراء لكن اذ وصل غاللوس الى مصر طردتهم او لاً من ابو سنبل ثم ظل يطاردهم حتى دخل عاصمتهم نياطه (١) بجيشه المؤلف من عشرة الاف مقاتل منهم خمسةمائة يهودي والفالعبي بينما اولئك العرب كانوا ثلاثة الفا اما اكثراهم لا سلاح لهم سوى الدرق والعصي والقوس ومجاناتهم من الجلد . ووضع عليهم جزية يؤدونها لحامية تركها اليهم وعاد لصر راضياً بحدوده على سبعين ميلاً من سينينه . وللآن ترى في مرو قنطرة رومانية يبعد نجاحاً (١٧) ثم جاء اغسطسوس زائراً صاموس فأرسلت له الملكة العوراء وفداً تستعطفه بترك الجزية فأجاب طلبها وهذا برهان على ان مرو كانت مدينة راقية مهذبة وليس كما يستتتج من حالة جيش الغارة اختلط بالبدو والذعران المجاورين لها . اما وراء مرو فلا يوجد اثر لمدنية لاسما ان الجبال الفاصلة بينها وبين الحبشة الجنوبية البحريه لم

(١) هي الان المسماة حيل بركل على حفة الشلال الرابع

تُكَنْ تسمح بواصلات بين الأرضين وسكن الجنوب كان أكثرهم  
يهوداً استوطنوا عددهم واقتديهم من عهد سليمان ومنهم من وصل  
إلى مرو ولاذ بالملائكة لأننا نجد فيها بعد أن خصيّاً يهودياً كان خازنًا  
عندها لا بل إن دين مرو ولغتها كانا بهذا الزمان ساميّين حجازيين  
لا قبطيين

(١٨) أما لسان مصر الرسي وسكنتها في عهد اغسطسوس وعهد خلفائه  
فكانا باللغة اليونانية حتى كان سوّاح الرومان إذا كتبوا شيئاً على  
عاديات البلاد كتبوا بهذه اللغة. وكانت النقود منقوشة بهامه  
الإمبراطور واسمه من جهة والنسر المصري قابضاً على الصاعقة من  
الجهة الأخرى. ثم صارت تؤرخ بسني جلوس الإمبراطور وأولاً  
كانت صفتة فيها « ابن الله » عوضاً عن الوصف المصري القديم  
« ابن الشمس » لكن لما صارت مصر ولاية رومانية افرغها الرومان  
من الذهب والفضة وأبطلوا سكتها راضين بأخذ خراج الجنوب  
عيناً وكانت ذلك يبلغ حينئذ عشرين الف الف كيله أو أربعة  
أضعاف الخراج في عهد فيلادلفوس

(١٩) ولم يتحرش الرومان لدين المصريين لا بل إن معابده طنطيره  
وطاميس وهي الآن قلابشه بالنوبه يُرى محفوراً عليها باللغة  
الكهنوتية اسم اغسطسوس أو توقراطاً وابن الشمس وملك الاريات  
والصعيد وغير القاب كانت توصف بها البطالسة وملوك البلاد قبلهم

- وظلت السناتو كل عشرة سنين تجدد انتخاب اغسطسوس او توفر اطلاعاً وهو يتمنع محاهاة منه الى أن تم له بالملك اربعون سنة
- (٢٠) ولا يُنكر بأن اليونان قد أخذوا دينهم عن المصريين فاقتبسوا منهم اليقين بالبعث ويوم الحساب والجزاء على الاعمال، والآن نرى الرومان أيضاً ناصبيين في روما تمايل آلهة المصريين ومشيدين المعابد لها والفقراء بشارعهم يتسلون للمحسنين بمحق ايزيس وورجيل شاعر البلاط الملوكي يقول بقوتهم بالبعث على رأس الالف سنة، وكل ذلك رغمًا عن انكار اغسطسوس هذا الدين وتحريمه على الناس
- (٢١) ومن علماء هذا الزمان كان سوتيون الفيلسوف الاسكندرى الذي عنه أخذ سنكًا بصغره علم الاخلاق. وكان من مذهب يثاغوروس بتحريم أكل اللحوم لزعمه بأنه من الجائز انتقال أرواح البشر للبهائم المأكولة. وله تأليف لطيف جمعه من عدة مواضيع وسماه قرنوقوبيا. وكان العالم أرخيبيوس ناقد مزامير قاليماخوس من رجال هذا العصر وابن ابوليونيس مؤلف القاموس المفسر لشيد اوميروس. وكان بينهم ايضاً الشاعر ترييرون والمنطقي ارستونيقوس الباحث في اراء هزبود بالتكوين وتسلسل الالهة واما علم بكتاب اوميروس وتيمنالاوس ملك اسبارطا وعاشق هيلانه
- (٢٢) ولما مات اغسطسوس خلفه طباريوس الذي سار بالناس سيرة

حسنة فأحبته مصر واقامت الاسكندرية معبدًا على اسمه طرف الرصيف محاطًا بالاساطين وبمكتبة وووضعوا فيه مكتبة. وكان على أعلى كمة بالمدينة وامامه مسلتان من عهد طوطمس الثالث وحفر رمسيس الثاني احداهما المسماة مسلة فلاوفطرا وهي القائمة الآن على حفة التاميز في لندن وكان معهما مزولة تقسم النهار الى اثنتي عشرة ساعة على مدار السنة بدون نظر الى طوله وقصره صيفاً وشتاء وذلك لعدم وضع الضلع منها على خط قطب الارض الشمالي كما كان علّمه من قبل الفلكيون ايراطوسطين وهبارخوس

(٢٣) وابتداً طباريوس حكمه في روما باقامة العدل الصارم والضرب على أيدي الولاية الفلاليين حتى ان لما حاكم مصر اميليوس راقطوس توهم بأنه يرضيه بيعشه له خراجاً منها اعظم كثيراً من المعتاد كتب الى الامبراطور «قد وصلني ما أرسلته من الخراج لكن أعلم بأنني انما أقتلك على مصر لترعى غنمي فيها وتجزّ لي صوفها وليس لتسلاخها والسلام». وكذلك اذ مات أحد الولاية كانوا في مصر ووجدوا بين أمتعته قنالاً لمنلاوس من حجر قبطي اسود كان قد يمّا يُعدّ من ذخائر معبد هليوبوليس أمر طباريوس بردّه لسكنه فلأجل ذلك كانت السكينة توفره وتودّه وترسم اسمه على المعابد. وفي زمانه زيد الرواق البديع على معبد طنطيرا منقوشاً سقفه بمنطقة البروج التي ظنها العاما، اولاً من وضع الاقدمين مستغر بين عظم الثانق،

بنقشها بذلك المعد الضخم البسيط البنيان حتى فطنوا لبرج الميزان  
فيها الذي لم يمثل بهذه الصورة أَلَّا من عهد اغسطسوس والأَمر  
بهذا الرواق هو تشييده بزمان كانت مصر فيه بالفقر والضيق  
لَكَن اذا اعتبرنا بواعث التقوى زال الاستغراب او كَما قال الشيخ  
ابن الفارض

«ولقد صرفت بمحبه كلي على يد حسن فحمدت حسن تصرفي»  
اما طنطيرا المذكورة فهي لانوبوليس اليونانية واسنا الحديدة  
(٢٤) وفي السنة الثالثة من جلوس طهاريوس أَتَى جرمانوقوس قيسار  
والياً على المشرق وصعد الى ثبيه وسأَلَ كهنتها أن يفسروا له  
الكتابات القديمة التي على جدران معابدهم فأخبروه أنها تصف  
عذلة البلاد في عهد رمسيس اذ كان يخرج منها سبعاً مائة الف مقاتل  
أَخضعم بهم رمسيس ليبيا والسودان والفرس والكلدان والارمن  
والسور بين ووضع عليهم الجزية من ذهب وفضة وخيل وعجلات  
وعاج وبخور للمعابد وحرب لأَهل عاصمته . ثم انه زار صنم  
عمونو طوف وسمع نجمه الشهير وزار الفيلية وسیننه وهي اسوان الحديدة  
وابأيابه عَرَّج على الاهرام وبجيرة ميريس التي كانت تحفظ مياه  
طوفان النيل للريّ بعده . وشاهد في منف العجل المقدس ابيس  
وقدّم له بيده شيئاً من القوت وما أعرض عنه العجل تفأله الكهنة  
من ذلك واد بعده قليل مَرِض هذا الامير ومات قال الكهنة بأن

فأعلم قد صدق فأفسدوا عليه لأنهم كانوا قد أحبوه لطفه وكرمه وتجوله بينهم بلا حرس ولا تكليف. وكانت زيارة مصر ضد قانون أغسطس فعاتي طباريوس على دخولها بدون اذنه . وهذا أقول انه يظهر لي بأن «أليس» فيه تحرير لأن كتابته بلغة القبط تعامل *Hapi* بلغة الاغريق و معناها «الخفى» فصيحة لفظها تكون ايضاً «خفى» لأن آيا والفالا متراوحة قتان فيصبح الاسم عربياً . واما سيراليس فهو اسم جديد مشتق من اسمين او سيريس واييس

وكان يهود مصر في ذاك الزمان زهاء الف الف نسمة، <sup>قسم منهم</sup> (٢٥) <sup>أهلاً بعمره وبرهود</sup>  
كان ثلث سكان الاسكندرية في حينين منخمسة أحياء بالمدينة  
لهم فيما المشائخ والسنندرين وهيكل في عينون بدلاً من هيكل  
أورشليم الا ملن ظل منهم متمسكاً بسنندرين اورشليم وهيكلها  
ولكن بالرغم عن قانون قيصر الذي ثبت لهم امتيازاتهم القديمة  
ومساواتهم باليونان كان مركزهم بالبلاد حرجاً لأن اليونان ظلوا  
يحتقرونهم والمصريين كانوا يحسدونهم على امتيازاتهم ويسخونهم  
أولاد الشيطان تيفون

(٢٦) وكان بالقرب من الاسكندرية على تل يجوار بحيرة مريوط طائفة من اليهود يسمونهم التيرابيتين قد تعلموا التئشك من المصريين وتركوا لنا أول مثال من العيشة الرهباوية فيقول المؤرخ فيلو عنهم بأنهم كانوا لزهدهم بالدنيا قد هجروا منازلهم واهلهم وتركوا

امواهم وحسبوا انفسهم منفردين بصوماع لهم ، ورجالاً ونساء ، منهم من لا يذوق طعاماً سوى ثالثاً بالاسبوع و منهم مرة واحدة بالاسبوع ولا يجتمعون الا في يوم السبت ، الرجال من جنوب والنساء من جنوب لا يسبّين قيصاً يغطي ايديهم فيقف شيخ منهم يعظهم ثم يصافح وينصرفون . وكانوا يعتقدون بأن للاعداد اسراراً فكان المدد السابع عندهم مباركاً وسبعة بسبعة كانت عندهم الاسبوع الكبير فيعيدهون بالخمسين وفيه يأكلون سويةً متّشكين على الفش طعامهم الخبز وشرابهم الماء ونطحهم الملح والجرجير ، يخدمون انفسهم ويستحرمون الخاد العبيد وكانوا يختمون أعيادهم بالنشيد والتسبيح

بصوت واحد ومتّرادفين

(٢٧) هذا ما حكاه فيلوغونم ولكنه لم يذكر كيف كانت تُسَد احتياجاهم فأكثر الظن انهم كانوا يستغلون بنة نقل التوراة ويعتمدون من اثاثها ولم يوضح ايضاً اسباب هذا الزهد الا أن تكون مما دعى غيرهم لثله من قبل ومن بعد وهو ظلم الحكام وفساد طباع الجهور بأزمنة اكثراً من غيرها تتولد فيها كراهيّة الاختلاط بالناس وفتور بالعزم اللازم للقيام بالتكلّيف الاجتماعية

(٢٨) وكان ايضاً فريق آخر من اليهود في فلسطين ينسكون على شواطئ بحيرة لوط الا ان تنسكهم كان عن قناعة وعفة لاعن (٤)

يأس وكه للدنيا ، طريقة المصريين القدماء الذين كانوا ينتظرون عن  
معشرة الناس ويرون بالعذاب والشقاء فضيلة تكسهم رضى الاطه  
فيهود مصر كانوا من هذا المزاج ومنه تولد الرهبنة المسيحية في

تشبره

مصر بعد حين

(٢٩) وسنة ١٩ تذكر الرومان من اليهود في روما ونفوا منهم اربعة  
آلاف الى سردينيا لا سبب دينهم لأن الرومان كاليونان لم يكن  
يختطر لهم قط التمصب لذهبهم بل كان لسبب حفظهم السبت  
وامتناعهم فيه عن مشاركة الجهور بالاحتفالات الرسمية فشائع  
في اخلاقهم للدولة

(٣٠) وسنة ٢٣ قفل طباريوس بيت ضرب السكة بالاسكندرية  
لا سينا وان البلاد كانت بفقدانها استقلالها قد فقدت سكنتها الذهبية  
ولم يبق لها سوى عملة من فضة زائفة رومانية وصار الفن والجاه  
لروما وما وجد فيها ذهباً بهذا الزمان من ضرب طباريوس هو قليل  
جدآ باسم اغسطس تذكاراً له كزوج امه

(٣١) ومن ولادة مصر في عهد طباريوس كان افلاقوس او بليوس  
عرف اطوار سيده فساس البلاد على أحسن منوال وحفر الكهنة  
اسمه مع اسم الامبراطور على مهابد طنطيرا الكهنة تغير فيما بعد عما  
كان كما سررها عن قريب

## قاليفولا سنة ٣٧ م الى سنة ٤١

(٣٢) وسنة ٣٧ مات طباريوس وخلفه قاليفولا الذي كان يكره اليهود واد نصب تمثاله في معابد المملكة ولم تقبله اليهود بكتناسها فشى عليهم الاغريق بالاسكندرية وبرور اغريباً ملك فلسطين بالاسكندرية سخروا منه للدرجة انهم البسووا صعلوكاً منهم تاجاً من ورق ووضعوا بيده صولجاناً من قصب الفزار وداروا به الاسواق ينادونه باسم اغريباً وكان افلاقوس الوالي يرى ذلك ولا يعارض به لاستيائه من وجود شخص بالمدينة أعلى منه مقاماً مع ان اغريباً لم ير على مصر بياديه من روما الا باذن الامبراطور ونزل الاسكندرية مساءً كاحد الناس لا بل انه لم يأت بمركب من مراكب تجارة الاسكندرية الا لاجل الماء الذي تحمله هذه المراكب الكبيرة ويحل ل الشرب منه خلافاً للمستويات الخشبية بالمراكب الصغيرة التي لا يحل ل اليهود الشرب منها وذلک ربما من الفساد الذي يعتريها بالسفر الطويل

(٣٣) ولما رأى الرعاع عدم تحرش الوالي لسوء ادائهم طعموا ووثبوا على اليهود بمنازلهم وكتناسهم وعاثوا فيهم ومرزوا الاعلات المنشور بامتيازاتهم وحملوا قاثيل الامبراطور لكتناسهم ونصبوا لها فيها غصباً عنهم واذ لم يجدوا منها ما يكفي غرضهم اخذوا بعض قاثيل البطالسة

من الجنائز يوم ونصبوا بكتائبهم . ثم ان الوالي أصدر منشوراً به يصف اليهود بأنهم دخلاء فازداد الاغريق حمقة واليهود حنقاً واستعر القتال بين الفريقين ولكن يا ويل الفريق الضعف والحاكم خصمه ! فانهزمت اليهود واحتسمت بجي من الحسين واتهبت يومهم المحرقة بجيهم الآخر وانسل منهم رجل ليتسع قوتاً لا ولاده بالخفية فسكته الاغريق واحرقوه بالطريق ولأن الاغريق ادعوا بأن اليهود يخونون سلاحاً في يومهم قبض الوالي على ثمانية وثلاثين شيئاً من أكابرهم ليقررهم بخفية السلاح ولم يكن لهم ما يكشفونه له

فأمر بجلدهم بيد الجلادين المصريين زيادة في اهانتهم (٣٤) ولم تصل أخبار هذه الحوادث للإمبراطور حتى اغريباً بلغه ايها فغضب من عمل الوالي وبعث بالحال قائدأً ومعه فرقة من العسكر للسكندرية ليحضروا له هذا الظالم فلما وصلوا إليها نزلوها ليلاً وكسروا الوالي وهو مع أصحابه على العشا ، فمسكوه وقادوه لروما توأً بالاغلال

(٣٥) وكانت اليهود في تلك الليلة بعيد المظال فلما سمعوا حركة العسكر بالمدينة ورأوا المشاعل امامها خافوا خوفاً شديداً لئلا تكون الحركة ضدهم ، لكن اذ بعد قليل انكشفت لهم الحقيقة فرحاً وشكروا الله عل خلاصهم من هذا الجاثر وما من يدي الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سبلي بظالم

(٣٦) ورُحْصَنْ لهم بعْدَئِنْ بارسال بعث يقدّم شِكواهِم لِلإِمْپِراطُورْ فارسالوا بعْشَأَ يَرْأَسَهُ الْفِيلِيسُوفْ فيلو وَارسَلَ الْأَغْرِيقَ بعْشَأَ يَدْافِعُ عَنْهُمْ يَرْأَسَهُ ابْيُونَ الْمُنْطَقِيَ فَكَانَ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ بِدَائِيَّا بِحُضُرَةِ الإِمْپِراطُورِ الْمُرْفَضُوا وَضَعَ تِنْسَالَ جَلَالَتَهُ بِكَنَائِسِهِمْ فَلَمَّا اجَابُوهُ بِيَلِي وَقَبِيلَ أَنَّ يَوْضِحُوهُمْ سَبَبِهِمُ الْدِيَنِيَ قَطَعَ الإِمْپِراطُورُ الْحَدِيثَ وَفَضَّ الْمُجَالِسَ مُمْتَرِأً اقْرَارَهُمْ بِحُضُرَتِهِ اهَانَةً ظَاهِرَةً لَهُ ضَدَّ قَانُونَ الدُّولَةِ وَمُسْتَغْرِبَأَ عَلَى زَعْمِهِ حَاقِتِهِمْ فَانسَحَبَ فيلو كَثِيَّا وَهُوَ يَقُولُ أَنَّ يَكُنْ الإِمْپِراطُورُ ضَدَنَا فَانَّ اللَّهُ مَعَنَا

(٣٧) مُسْلُومٌ وَاخْبَارُ هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَانَّ اتَّنَا مِنْ مَؤْرِخِ يَهُودِيِّ فَانَّ لَنَا بِصَفَاتِ فيلو السَّامِيَّةِ وَمِنْزَلَتِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَكَبِيرِ سَنَهِ كَفِيلًا عَلَى صَحَّةِ شَهَادَتِهِ . وَهُوَ الَّذِي عَادَتْ مَدْرَسَةُ الْأَسْكَنْدَرِيَّةُ بِعِلْمِهِ إِلَى زَهُورِهَا بِزَمَانِ الْبَطَالِسَةِ الْأَوَّلِيَّنَ فَانَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا دِيَنًا، افْلَاطُونِيًّا مَذَهَبًا وَبِالْمَوْلَدِ مَصْرِيًّا وَلَا بِدِيَانِيِّ لِدَارِسِيِّ الْحَكْمَةِ وَالْبَاحِثِينَ عَنِ الدِّينِ مِنْ مَطَالِعَةِ كِتَابِهِ لِيَرُوا كَيْفَ كَانَ تَدْرِجُ الْأَفْكَارِ مِنْ مَذَهَبِ الْيَهُودِ حَتَّى وَصَلَتْ لِمَذَهَبِ الشَّهِيدَاءِ كِيُوسْتِينَ وَقَلَامِنْسَ الْمُسِيَّحِيَّيْنِ الْأَفْلَاطُونِيَّيْنِ وَكَانَ فيلو اُولَيَّهُودِيِّ اخْذَ عَنِ الْمَصْرِيِّيِّيِّنَ اعْتِقَادَهُ بِسَرِّ الْكِبَالِ بِالثَّلَاثَةِ مِنَ الْعَدْدِ وَجَمِيعِ الْأَسْنَى مِنْ حَكْمَةِ افْلَاطُونِ الْأَسْنَى مِنَ التَّوْرَاةِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ مُسِيَّحِيًّا

(٣٨) فِي جَاهِهِ هَذَا الْأَسْتَاذُ عَادَ لِيَهُودَ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ رَوْقَهُمُ الْأَدِبِيِّ حَتَّى

صار الاغريق يلهجون بكلامهم ويرون له بلامه وطلاؤه لم يعرفوها من الوثنين . واذ كانوا قد ابتدأوا من القرن الاخير ان يشعروا بأنهم ليسوا خير البشر واصبحوا يعتقدون بتفهم افكار جيرانهم نراهم الان يعترفون بأن اليهود هم اول العلاماء بمدرسة الاسكندرية

(٣٩) ونعم ان ابيون الرومي الصعيدي خصم فيلو كان منطقياً بليغاً ومصحح نشيد اوميروس الا انه لم يبق لنا من كلامه سوى ردد يوسيفوس على اتقاده على اليهود ومن كتبه سوى حكاية اندروقلوس والاسد بينما كتب فيلو تشهد لصاحبها بالعلم والفضيلة والتفوي التي لا يُعلى عليها

(٤٠) وقبل الوداع من قصة البطالسة يسوع ان نذكر بأن اغسططوس لما ساق سيلينا ابنته قلاوفطرا اسيرة لروما زوجها فيما بعد يوبا الصغير مؤرخ افريقيا واقطعهما بلاد المغرب بالارض عن والدها لكن اذ مات يوبا وخلفه ابنته بطليموس تغير عليه قالينولا ونفاه من مملكته فراح تائماً في بلاد اليونان واسيا الصغرى حيث لاق اكراماً يليق بابن البطالسة . ثم ان قالينولا احتال عليه وقتلها فلم يبق حيئاً من عائلة مصر الملكية اليونانية سوى دروسيلا حفيدة قلاوفطرا وانطوني زوجة انطونيوس فيلكس حاكم اليهودية الذي كان له قبلها زوجة اسمها دروسيلا ايضاً

## قاوديوس سنة ٤١ م الى ٥٥ وطريق الهند بحراً وتجارة القرطاس

(٤١) ثم مات قاليغولا وخلفه قاوديوس حصل عند اليهود فرح عظيم فطاشوا وتجمروا بالاسكندرية متهدّدين الا그ريق بسيوفهم وعلى رأسهم ديميتريوس زوج مريم ابنة اغريبًا الاكبر يطلبون اعادة امتيازاتهم القديمة ولم يسكنوا حتى اصدر قاوديوس منشوره باعادتها

(٤٢) وكان قاوديوس عادلاً حليماً لكن الولاة والعمال لم يكونوا كذلك فاجتهد باصلاحهم ووجد بالسنة التاسعة من ملكه ان مصر بحاجة للعدالة فسن قانوناً لحفظ حقوق الشعب من التعدي والظلم وأمر الوالي قنيوس كيتو بنشره بالبلاد لكنه لم يقم قضاة داخل البلاد للحكم بوجوب الشرع فكانه ما عمل شيئاً

(٤٣) وبنى مدرسة بالاسكندرية سماها باسمه وامر ان يقرأ فيها تاريخه عن قرطاجنه اياماً معلومة بالسنة وتاريخه عن ایطاليا بالمدرسة القديمة اياماً مثلاها . ونعم الامر ، لمادرس التاريخ من الفوائد الذاتية والعمومية

(٤٤) واعاد مصر حرية ضرب نقودها وباول سنة من جلوسه بدأ بضرب سكنته البدية بالاسكندرية وعليها تاريخ جلوسه وسنوا ملكه مما أفاد المؤرخين افاده عظيمة وهناك فصل آخر لسكة الرومان على سكة البطالسة التي وان كانت لطيفة فان كتابتها المصرية كانت مشوشة واما تلك فكانت كتابتها ورموزها المصرية صريحة ومتعددة الشكل

(٤٥) وفي هذا الزمان أكتشف الأغريق والرومان على طريق الهند بحراً من مصر واتسعت التجارة من وراء ذلك اتساعاً عظيماً . فقدر المعاصر والمؤرخ بليني الأكبر قيمة الذهب والفضة الصادرة سنوياً من مصر للهند بأربعمائة ألف ليرة من عملتنا الدارجة الآت ثم الأموال التي كانت تجلب منها وتباع في روما بربع مائة بالواحد اي بأربعين مليوناً وأعظمها كان من الحرائر والالاماس وأحجاراً كريمة أخرى ثم من التوابيل كالزنجبيل والبهار والفلفل عدا ما كان يجلب من أموال افريقيا الجنوبيّة كالعاج وسن الكركدن وجلد فرس الماء وصفد الاطوم والقرود والسعادين والعبيد آتية بحراً الى برلينية وهي سواكن هذا الزمان لأن البر عن طريق السودان واسوان لم يكن مأموناً . أما طريق الهند بحراً فكانت بالنيل الى قبطوس ومنها براً على الجمال الى سواكن مسيرة اثنى عشرة ليلة أو مائتين وستين ميلاً . ثم كانوا ينزلون البحر في منتصف شهر يونيو عند طلوع الشعري اليانية مع الشمس . وبعد ثلاثة ايام يصلون إما الى أوقليس على الشطوط العربية الجنوبيّة واما الى قانس على شطوط بلاد البخور من افريقيا الشرقية بالقرب من خط الاستواء وهناك كان الربيع الموسي ( وهو ما تسميه الافرينج الآت مونسون ) المكتشف عليه بذلك الزمان من التوبي هباليوس يحملهم فيخترون بالبحر العربي الى موزيريس من ملبار الهند حتى يصلون اليها

- بأواسط سبتمبر ثم إذا كان آخر ديسمبر يقلعون كما اتوا ببضائع الهند المُينة ولم يزل هذا الطريق هو الوحيد المعروف بين أوربا والهند إلى أن اكتشف البورتقاليون بالقرن الخامس عشر على طريق رأس الرجا الصالح فتعطل طريق مصر والبحر الأحمر ( كما تعطل طريق رأس الرجا الصالح بفتح ترعة السويس بأيامنا الحاضرة ) وتأثر منه تجارة العرب ومصر تأثيراً بليناً بسبب انقلاب مجرى التجارة
- (٤٦) وحكاية اكتشاف طريق الهند بحراً هي أن الرومان كانوا قد أهملوا بأكثراً ملوك مصر قد ضمّنوا خراج وكارث البحر الأحمر العائد لهم لتجارة رومي اسمه أنيوس فلوقا موس صاحب مراكب كان يستخدمها لهذه الغاية ويتاجر وأحياناً يقرصن بها حتى على شطوط العرب الجنوبيّة . في يوم ما طاح بأحد نوافذه مركبه مدفوعاً بريح شمالية قوية جداً قذفه إلى الأوقیانوس وتأهت به خمسة عشر يوماً إلى أن وجد نفسه على شط جزيرة لم يكن يعرفها فكانت سيلان وكان هو أول رجل أوروبي أتاهها لذاك الزمان وأفتشى طريقها
- (٤٧) وبجوار الطريق من قبطوس إلى سواكن كانت مناجم الرخام السماقي وجبل الزمرّد المسمى القلودياني لأن الإمبراطور قلوديوس كان قد حماه لنفسه
- (٤٨) ولما اشتهرت طريق الهند البحريّة بدأ علماء الجغرافيا يحدّون عزم المسافة بين الهند وأفريقيا والا فإن الجمهور لذاك الزمان كان يظن

بأن بلاد فارس هي بالقرب من الحبشة وكان اليونان يظنون بأن النيل يخرج من المشرق أو ما كانوا يسمونه الهند وهي البلاد المعروفة الآن بالحبشة أما اليهود فكانوا يقولون عن النيل انه نهر جيحون الآتي من جنة عدن غرباً دائراً حول بلاد قوش اي الحبشة (٤٩) والمؤرخ بليني بكلامه عن صنائع مصر يذكر خصوصاً الكولان اي الفافير أو البردي الذي منه أخذ الأفرنج اسم الورق لتراثه الفاء والباء فقالوا «پاپر و پاپيه» فيقول بليني بأنه نبات من جنس القصب ينمو بالمستنقعات التي يتركها النيل بعذاته، فيضانه فيؤخذ منه الخشب للوقد وللأثاث والزهر لزينة الأصنام والقشر لعمل الحال والمرآكب وحياكه الشراعات واللب منه لعمل القرطاس الذي يوجد منه ما يصعد عمله إلى ٣٦٠٠ ق.م وأجوده كان الكهنوتي إلى أن كان عهد أغسطس فصنعوا جنسين أحسن من الكهنوتي ، سموا أحدهما أغسطي والآخر ليوباني من اسم امرأة أغسطس وصنعوا أجنساً أدنى منها كالفالاني والانفيتياتيريك والسيتيك وأدنىها كان يسمى أمبوريتيك لا يصلح إلا لاصح وكان أجود هذا الكاغد رقيقاً شفافاً لا تتمكن الكتابة عليه إلا من جهة واحدة ففي عهد قلوديوس اخترعوا عمل جنس منه يصلح للكتابة على الوجهين وسموه القلودياني . ويقول بليني بأن مصر كان لها تجارة واسعة جداً بالستان والقطن أو هما يطلع بالقرب من تانيس

وبلوز يوم وبوطوس يالارياف والآخر بالصعيد ناحية النيل الغربية وان مخازن الحبوب الكبيرة كانت بالاسكندرية واليها جاء يهود فلسطين بأول هذا العهد يشترون منها لما امحت أرضهم (٥٠) وكان للصريين براءة بالصبغ وتفنن باللون لا يعرفها اليونان ولا الرومان وكذلك بالحبر الذي كانوا يكتبون به على أكفان الموتى وهو الذي نستعمله الآن لكتابه الثابتة على القماش . وكان عليهم بالاجمال بطريقة تحليل الأجسام وتركبها يفوق كثيراً علم جيرانهم ، وهكذا لما العرب اخذوا عنهم هذا الفن سموه خيمياً أي الفن المصري ، من اسم مصر القديم « خيم » كما ان اسم النفط مأخوذ عن المصريين ومعناه زيت الجبيل الذي وجده على سط البحر الاحمر من جهة الطور . وكان يظن لذاك الزمان ان لا وجود للنيل الا في مناجم ذهب السودان . أما رخام مصر فالمعروف منه اسماءه كلها رومانية كالابسيدوني للرخام النبوي الاسود من اسم ابسيديوس المكتشف له ، والطباري للرخام الاسود المنقط بأبيض من اسم طباريوس قيسر ، والاغسطي للرخام المعرق من اسم اغسطوس والبورفيري للسمافي الاون الذي تفتقروا بنحته بهذا الزمان أصناماً وتماثيل أجسامها منه والوجه واليدان والرجلان من الرخام الابيض تشييئاً بالأشخاص المكسوة (٥١) أما الحمر فان الذي كانت ترغبة اليونان والروماني بذلك الزمان

كان أعظمها من عصير بلاد اليونان وايتاليا وبعده كان المريوطى والثانويتى والفيومى ثم خفر انطلاً شرق الاسكندرية ثم وارد انطيفرا من ليبيا على بعد مائة ميل من الاسكندرية، وارداً خفر كان من عصير الصعيد، أما الشعب فكان مشروبه من عصير الشعير ولكن "آخر الخل" كان المصنوع من النبيذ المصرى وله الشهرة في روما وكانت يصنع أيضاً خفر فوار كالشمبانيا في سينيبيتس يسمى عيطلون

(٥٢) والخفر الغريب كان يأتي إلى الاسكندرية بحوار من الخزف على شكل البطة ذات عروتين عند الرقبة أكثرها من جزيرة رودوس وبعضاً من قورنث واقنيدس على شطوط آسيا الصغرى ومن قبرس وشيو وطاسوس التي كانت فيها مناجم الذهب قديماً ومن عباده على الاورتنس ومن جنوبى البحر الاسود ومن صقاليا ومرى السودان التي خفرها كان من عصير التمر لكثرته هناك وكل هذه الجرار قد عرف اصلها من شفتها التي وجدت بتراب الاسكندرية وعليها اسماء هذه البلدان ومن شكل هذه الجرار صارت العرب تسمى جرة الخمر بطة

(٥٣) والسامح استرابو والجغرافي بومبونيوس ميلا يذكرون بركة موريس المصطنعة ووسطها هرمان صغيران كانت تسمى ألفاً من الفدادين بحوار ارسينويه الا أنها كانت بزمان بليني قد جفت والحدرت مياها إلى بركة القبرون وأصبحت الأرضي حولها قفرأ ليس فيها

غير شجر الزبون البري وذلك لانها كانت بمنطقة الحسين سنة الاخيرة قد أهملت وتعطلت جدرانها . وبهذا الزمان زيد في معبد لا تو بوليس البديع المشاد من عهد البطالسة رواق منقوش عليه اسم قلوديوس وبعدها حفروا فيه أسماء خلفه وكانت عمدته جميلة الصنعة جداً رؤوسها بشكل اغصان النخل وزهر الفافير والمعبد كان مكرساً للإله اقنيب الذي له عددة اسماء عند اليونان يظن انها كلها تحريف اخبيه بلغة القبط ومعناها اليقوع وكان في لا تو بوليس معابد غيره لا إله من جنس السمك

(٥٤) وكان اسم السنة بلغة القبط بيت وهو ايضاً اسم طائر عندهم وكان اسم غصن النخل عندهم بي فزادوا عليه حرف التاء الذي هو هكذا ـ ودائرة تخته وصاروا يعبرون بذلك عن السنة الى ان صار البعض يسمون السنة طائراً او غصن نخل وكان اسم النخل بلغة الاغريق فينيكس فأخذوا هذا الاسم يرمزون به الى طائر خرافي وهو ما تسميه العرب العنقاء وتقلل عنهم الرومان بدون استقصاء خبره فلما كانت سنة 47 م وبها تم القرن الثامن من بناء روما زعموا بأن الطائر قد جاء من مصر وزار مدنهن وانه طائر عجيب (١) يأتي من العربية على رأس كل خمسة عشر سنة حاملاً رمة أبيو التي خرج من دودة منها ليلقنها المعطر ويحرقها على هيكل معبد الشمس

(١) ومثله عند اهل الصين

في هليوبوليس ثم يعود إلى بلاده ، وبه استشهد المسيحيون على حقيقة  
البعث وذكره قلامنس أسقف روما برسالته إلى القورنطينيين  
بهذا المعنى

### نيرو سنة ٥٥ م الى سنة ٦٨

(٥٥) وعند موت قاوديوس خلفه نيرو ، وظهر حينئذ في مصر رجل يهودي  
ادعى بأنه نبي وهيج اليهود للانتصار لأخوانهم في اورشليم فاجتمع  
إليه أربعة آلاف مقاتل على قول البعض أو ثلاثة ألفاً على قول  
آخرين سار بهم إليها لكنهم بوصولهم لحدود فلسطين لاقاهم الحاكم  
فلاقوس ومرق شمامهم . فشل هذا التعصب من اليهود من وقت  
آخر كان هو الذي يضرم الحقد في صدور الروم ضدهم وهكذا  
لما كان هؤلاً مجتمعين بالجنازيم لانتخاب بعث يرسله لروما  
دخل بينهم بعض اليهود بدعوى المساواة بهم فوق اليونان عليهم  
وطردوهم كجوايس وقادوا أن يقتلوهم لوا أن يأتهم المدد من  
أخوانهم ويرسل الحاكم طباريوس بعض مشائخهم ليردوهم فانسد  
الحرق حينئذ لكن مالبث الشر حتى عاد بينهم فاقتتلوا أيامًا  
واضطرب الحاكم إلى استدعاء خمسة آلاف من جنود لبيا لمساعدته  
على إخاد الفتنة ثم قام بحراسة اليهود إلى أن جمعوا قتلامهم من الأزقة  
ودفقوهم . أما قول يوسيفوس بأن قتلى اليهود بتلك الحادثة بلغ خمسين

الفأً ففيه ولا شك مبالغة عظيمة لما هو معروف من صداقه  
الحاكم لهم

(٥٦) ولكن لما كان من سياسة الملكة ان الوالي يعزل اذا وقع  
شغب بولايته لأنه لم يتلاصه أمر الامبراطور بعزل طباريوس وابداله  
بليبيوس الذي بوصوله من قليلاً للاسكندرية بستة أيام عدّ  
سفره من غرائب الزمان بالسرعة . ولهذا الوالي تاريخ عن مصر ذكره  
ستة كا بالاطر، عليه لكن لا وجود له الآن . وما ينقل عن لسان  
بليبيوس ان المساح الذي لا يرى الآن تحت ثيبيه كان كثير الوجود  
بالارياف بزمانه وانه قد رأه يطارد الدلفين بالقرب من اسوان

(٥٧) وبهذا الزمان كانت مراكب الاسكندرية ونوتتها أعلى شهرة من  
سواها وتجارتها مع ايطاليا أعظم تجارة فحصلت لنوتتها من وراء ذلك  
خبرة كافية بالطريق حتى كانوا اذا ساعدتهم الريح يقطمون مائة  
وخمسين ميلاً بنهار وليلة أما اذا قاومتهم الغربى منه التجأوا الى  
شطوط آسيا الصغرى واذا لاقوا هيجاناً عظيماً بالبحر التجأوا الى  
اقريطش او مالطا وربما دخل عليهم الشتاء فيما فيظلون محتملين  
بمكانتهم لدخول فصل الريح فلا يصلون الى ايطاليا الا بخمسة  
أشهر ، وهذا عين ما توقع بولس الرسول ورفيقه يوسيفوس المؤرخ  
بسفرها الى روما

(٥٨) ولأنَّ خليج مالطا كان اوسع وامن مرفاً بالبحر المتوسط وملائماً

مستمرًا المراكب مصر وآيتاليا أصبح أهالها خليطًا من شعوب شطوطه، ومن المجاجم التي وجدت بأرضها يظهر بأن أكثرهم كانوا مصرىين حتى في زمان الفينيقيين بانياً المعبد الكبير فيها لاله مصر المسمى من اليونان معبد خيم أو إيجا خيم . كما ان نقود الفينيقيين التي وجدت فيها ترى عليها من جهة صورة الله صقلياً ومن الأخرى صورة الثالوث المصري إيزيس وعزيريس ونفطيس والتي من زمان اليونان عليها صورة إيزيس من جهة وعزيريس بمحنيًا من الجهة الأخرى ومثل هذه النقود وجدت أيضًا بالجزيرة الصغيرة هنالك بين مقلعها وقرطاجنة المسماة قصيرة

(٥٩) في نفس السنين الأولى من عهد نيرو وهو فاصل وتحت وصاية الفيلسوف سنتاكا كانت المملكة مثالاً للعدالة والانصاف حتى ان نقود مصر لسنة الثالثة من جاؤسه على سرير الملك ضربت بصورته وعلى رأسه تاج مصر المزدوج واسمه عليها «السعد الفتى» وكان المصريون يشكرون من واليهم الجديد بلياوس اليوناني المصري الى انهم قالوا بأن النيل قد اقتدى بكرمه واحسانه فاتى بزمانه وافياً . لكن اذ شب نيرو واستلم زمام الملك تحول الحلم الى الحماقة والعدالة الى الظلم وعمل الولاية بسنة ملوكهم حتى ان بلياوس الذي اعطاه الامبراطور لقب طباريوس قلوديوس أيضًا تغيرَ عما كان فاظلمت الدنيا ونزل البلاء بالناس

٦) ومن أساتذة نيرو كان الفيلسوف خيرامون رئيس مدرسة الاسكندرية سالفاً وله تأليف صغير يشرح فيه طريقة الرهبان المصريين القدماء وكان زاهداً بالدنيا ويؤثر الموت على الحياة فقال فيه الشاعر الجان مارتيال بأنه لكبر سنه وفقره لم يعد يشعر بلذة الدنيا . أما علوم الاسكندرية فكانت بالقرن والنصف من حكم الرومان قد انحصرت بدرس المنطق

٦) وكان رئيس مدرسة الاسكندرية لعهد تراجان ورئيس قلم المخبرات بالولايات أيضاً الاستاذ ديونيسوس تلميذ خيرامون له قصائد يتغنى بها بالنيل ويسبق المصريين أهل الارض بالمدن والفلاحة والزراعة والعلوم ويجمال بلوز يوم الفينيقية الاصل التي نسميتها باليونيس ويعز الاسكندرية المقدونية مدینته وبضم ثيبة العظيم الذي تسميه اليونان ممنون محببها حبيبها اورورا (أي الفجر) وهي إلهة اليونان الخرافية المسحاة أيضاً ايوس والدة ممنون من أبيه تيطون . أما الصنم فهو حقيقة بالاصل تمثال الملك امنحوتيف بن طوطمس الرابع

٦) ومن تقرير مؤرخي الكنيسة يظهر بأن ابتداء التبشير بال المسيحية بعصر كان سنة ١٥١ من مرقص الانجيلي تلميذ بطرس الرسول ولكنها بالسنة السادسة من هذا العهد لحق بيوس في روما تاركاً الكنيسة الجديدة لعهدة حنانيا ، اما لا يذكر التاريخ عدد المتصررين الاولين

وذلك لأنهم كانوا من القراء والبائسين والشقيلي الاحمال الذين دعاهم يسوع ليكونوا شركاء في ملوكوت أبيه<sup>(١)</sup>، أولئك الذين كانت كهنة سيريس تلغفهم وتطردهم من وجهاها، لكن اذ تنصر الاغنياء والاكبر صار التاريخ يسجل الاسماء ويفخر بالعدد

(٦٣) وحنانيا هذا هو المشهور بأنه كان أول أسقف للاسكندرية والمؤرخ عوزيروس الذي كتب بعده باثني سنة يسرد لنا أسماء الاساقفة الذين خلفوه بدون انقطاع لذاك الزمان لكننا لا نجد دليلاً على جنسيةهم الا من أسمائهم . فان حنانيا قد كان ولا ريب يهودياً كما كان مرقص أيضاً . اغا خلف حنانيا نراه قد صار من اليونان وذلك لسبب انكسار شوكة اليهود وخراب اورشليم من الرومان بهذا الاتساع والاً فان اليهود الافلاطونيين لو لا ان فيلو المؤرخ يعين لنا أزمنتهم التي هي قبل التبشير بال المسيحية لفانهم من الاولين قبل أن تختلط الحرفات والتقاليد اليونانية والمصرية بالمذهب الصريح وتغير مبادئه السامية الى اراء خسيسة

(٦٤) وبكل هذه الازمنة الاخيرة كانت حامية الرومان لا تتتجاوز حدود برمبول وطاميس من ارض النوبة التي منها كانوا يستجلبون بالنيل حجر الرمل المرغوب للبناء وأما ما وراء هذه الحدود فكان متزوكاً لتصرف العربان اسلاف البشرىين الحديثين أولئك الغزاة

(١) ابيه وابيه والاهه والاهم (النجيل عيد القيمة ليوحنا الرسول)

الذين كان القبط يهابونهم ويعتقدون بأن لا رؤوس لهم وان عيونهم  
وأفواههم بصدورهم

(٦٥) وما سوى ذلك فان مصر كانت بأتم السكون والراحة ، حتى انه  
لما القائد وسبازيان عجز عن اخضاع اليهود في فلسطين بالعشر  
كتائب التي معه امكن لنيرو أن يسحب كتيبتين من حامية  
الاسكندرية ويرسلهما مددًا له تحت قيادة ابنه طيطوس . وسبازيان  
وولده طيطوس هما الرموز عنهم بسفر الوحي بالوحش الاول ذي  
العشرة قرون الخارج من البحر والوحش الثاني ذي القرنين الآتي  
برًّا ضد اليهودية

## الفصل الثالث

سنة ٦٨ م الى ٩٧ م

غابا اوتو ويتموس وسبازيان طيطوس ودوميتيان

(١) لهذا الزمان كان قد تم قرن كامل للمملكة الرومانية تداول الحكم فيه خمسة رجال بصفة تشبه الارث لكن بوت نيرو انقرض النسل الجولياني والقلوادياني ولما صعد غابا على كرسى الملك بارادة الجندي حاول أن يوهم الشعب الروماني اكتسابه الحرية

(٢) ثم أبدل حاكم مصر بطبيهريوس يوايوس اسكندر ابن حاكم سالف بها من هذا الاسم ومن منشور هذا الحاكم الذي وجدت صورته اليونانية محفورةً على عاديات المرج الكبير بينما الحوادث والانقلابات بالارياف دكت العابد فيها ومحى الآثار ، يعلم ما أراد غابا اصلاحه من المظالم فانه يحرّم اجبار أفراد الرعية على تحصيل الخراج او سجن الاحرار لأجل دين ليس عندهم ما يفونه به ان لم يكن دينًا أميرياً او تحويل جابي الخراج على مديون معسوس او أخذ مهر امرأة لوفاء دين بعلها ، ويلني كافة الفرائض التي وضعها بالخمس السنين الأخيرة ولأجل ابطال عادة التجسس التي كانت قد فشت بين الناس بعضهم على بعض بارتياح لها من الحاكم

بالاسكتدرية أعلن بأن أيَّ انسان اشتكي على الآخر بخفيَّةٍ ثلاثة شكايات ولم يثبتها يُغرم بنصف ماله ولا تقوم له شهادة او تسمع له دعوى امام المحاكم فيما بعد . ولأنَّ الخزاج كان يؤخذ عادةً على المسوقي بالغيل والدولة صارت تطالب به بحسب مساحة الاطيان زاعمةً بأنَّ مسؤولية تعطيل بعض المزارع من انسداد الترعات عائدة على الفلاح ، أمر بالعمل بالعادة ومن هذا الباب ما جاء بالحديث عن نبي العرب ، ما سُقِيَ بالغيل فقيه العُشر وما سُقِيَ بالدلو فقيه نصف العُشر ، ومن هذه القوانين يظهر بأنَّ الناس كانت باحتياج للرفق والعدالة

(٣) لكن حكم غلبا لم يطُل لأنَّ الذي يرفعه الجندي يخطه الجندي خلافاً للحاكم المستند على عهد الامة وذمته . وبعد سبعة أشهر انتقض عليه الجندي وقتلته . وما وجد من التقدُّد بعد ذلك باسمه مضر و بماً بالسنة الثانية من ملكه معناه انه ملك بأواخر سنة ودخلت عليه سنة جديدة بملكه وهذه كانت عادة الاسكتدرية بضرب التقدُّد

(٤) وعند موته سلَّمت روما زمامها لاوتو وتبعها المشرق وضررت الاسكتدرية التقدُّد باسمه . ثم اذ بعد ايام اتتها الخبر بقتله من جنود الجرمن التي بايعت قائدها ويتليوس ضربت تقدُّدها باسم هذا لكنها بعد قليل انكرته أيضاً وبأيام وسبازيان مختار جنود سلوزية

- (٥) واد وافى وسبازيان الاسكندرية باعه قتل ويتايوس بعد ثانية.  
أشهر من جلوسه على كرسى روما وان جنودها وجنود الجرمن  
ترىده ففرحت الاسكندرية بذلك وزينت وضربت نقوتها باسمه  
وعليها كملة «السلام» اشارة الى انتهاء القوضى والنزاع الداخلى
- (٦) وكان من سعى بنجاح دعوة وسبازيان في مصر وهيا له  
استقبلاً لائقاً ، العلماء ديون والفرات وابولونيوس فديون كان خطيباً  
يُلقب بضم الذهب والفرات كان فيلسوفاً افلاطونياً اقترب فيها بعد  
باينة حاكم سوريا وقطن روما وفيها اكتسب صداقه بليني الصغير  
وذكراً حسناً جداً وأما ابولونيوس وهو أشهرهم وأصله من تيانه  
بالقرب من طرسوس فكان أول اغريق طاف بلاد المشرق وأخذ  
عن حكاء بابل والهند وكهنة مصر علومهم وسحرهم حتى صار يُؤتَّم  
واحداً منهم وادعى بالاتيان بالمعجزات وبالنبوة ومؤرخه يقول بأن  
الشجرة المباركة كلامه ودعته بالاستاذ السماوي اما كتاب الوجي  
الذي رمز الى وسبازيان بالوحش وذكر النبي الكذاب الواقف  
امام الوحش فانه عني به ابولونيوس كما أنه هو الذي أشار اليه بولس  
الرسول بأنه المนาافق الذي سينكشف عنه الغطاء قريباً وذلك لانه  
كان قد زار طرسوس وانطاكية وافسوس وخطب فيهن بفلسفته  
يلينا كان الرسول بولس يعظ فيهن ايضاً بال المسيحية
- (٧) ولما رأى الاغريق نجاح الشعوذة كالمي التي بها ابولونيوس رغبوا

فيها فراجت حرقه الكهنة وشاع ذكر سحرهم فنهم من ادعى  
بنجاهة الارواح ومحاورة الجمادات والبهائم ومنهم من ادعى معرفة  
أجل الانسان من خطوط جبهته فثبت اعتقاد الجمهور بالسحر حتى  
ان القديس ايرونوموس لم ينكره فيما بعد ولا ما كان يُنقل عن  
سحرة الوثنين واليهود والسيحيين بناءً على أنه علمٌ لا سرٌ روحاني  
(٨) وكان أبولونيوس لاثذاً بوسبازيان رافلاً بمعته وسبازيان  
يكرمه ويصادق على دعوته ليسند بها سلطته امام الجمهور حتى انه  
لما طلب من هذا المشعوذ أن يدعى له بتأييد ملكه اجابه «أني قد  
مسحتك أمبراطوراً بسلطة من عندي» فصار المصريون يطلبون  
التبرك من سبازيان أيضاً ولما تقدم اليه أحدهم وفي عينيه رد  
وطلب اليه أن يبصق عليها زاعماً أن الآلهة سيرابيس قد أهمنته  
ذلك ليسقى، وأخر قد شلت يده طلب اليه أن يدوسها بقدميه  
لتشفى ضحك سبازيان منها لكنه اذ ألح عليه الناس ان يجib  
طاهما استدعى الاطباء واستشارهم فاشاروا عليه أن يفعل لأنه ان  
آفادها استقاد هو ايضاً ذكرًا وان لم يفدها لم يضره ذلك وعلى  
قول المزلفين اليه بأنه فعل وأفاد وهذا جائز بثل هذه الامراض  
لكن لسبب طبيعي قائم بنفس العليل لا بسر في الطبيب

(٩) ويقال ايضاً بأن سبازيان رأى عجيبة وهي انه دخل يوماً مبعد  
سيرابيس للصلوة ولما انتهى الى الغرفة القصوى حيث الصنم رأى

الشيخ باسيليديس جاثيًّا هناك وهو يعده طريح الفراش بعيدًا عازين  
ميلاً عن الاسكندرية فلما خرج سأْل الكهنة عن سبب وجود  
الشيخ بالغرفة فأجابوه بأن لا علم لهم باتيائه المعبد اصلًا ودخلوا  
الغرفة فلم يجدوا فيها أحدًا فبعث وسبازيان بالحال رسولًا لمحل  
إقامة الشيخ ويقال بأنه وجده ملقًّا على فراشه وعلى آخر رمق  
من الحياة

(١٠) ثم ان وسبازيان ردَّ ابنه طيطوس لليهودية ليتم فتح اورشليم  
فرحف طيطوس بجنبوده برًّا الى نيقو بوليس ومنها قطع الترعة الى  
طمويس بالقرب من منديس ثم مشى ليلهً الى تانيس وليلة ثانية  
الى هيراقليوم وثالثة الى بلوزيوم حيث جاز النهر وبالرابعة كان في  
قاسيوم والخامسة في اوستراتين حيث أخذ مؤئشه من الماء  
وبالسادسة كان في رينينوقولورا وبالسابعة في رفيع آخر حدود مصر  
ومنها دخل أرض فلسطين

(١١) وكانت يهود الاسكندرية لا تبالي بما حل بيهود فلسطين وهيكل  
اورشليم لأنهم كانوا من ثلاثة سنة وهم يجرون الى هيكلهم الجديد  
بعينون بالقرب من هليو بوليس ، لا بل ان أحدهم يوسف بن متياس  
الذي اشتهر فيما بعد باسم فلايوس يوسيفوس المؤرخ كان من عدد  
الزاحفين مع طيطوس ، فلما وصل طيطوس امام اورشليم وأحاط بها  
كان المدافع عن علي المدينة القائد سمعان وعن أسفلها والهيكل

القائد يوحنا وها الشاهدان اللذان يذكرا هما كتاب الوحي لكنهما اختلفا على طريقة الدفاع . ورغمًا عن شجاعة اليهود أخذ الرومان المدينة منهم وهدموا هيكلها في شهر ايلول سنة ٧٠ م او على قول اوريجين بالسنة الثانية والاربعين من صلب السيد المسيح وقاد طيطوس من أسارى اليهود حينئذ سبعة وتسعين ألفاً لمناجم صعيد مصر وهاجر كثيرون غيرهم لمصر هرباً من الجوع والشقاء راجين المواساة من أهل دينهم هناك لكنهم خابوا لأن اليهود مصر خافوا لثلا ايلافهم ينكى الحكم فأنكروهם ورذلوك وطردوهم ففرّوا بالصحراء تائرين ذاتين كل أنواع الهوان والعقاب حتى ان قلب يوسيفوس القاسي ذاته رقّ لهم فيما بعد

(١٢) إلا انه قد فات اليهود مصر بأن سقوط عاصمة ملتهم واذلال أهل دينهم من شأنه أن يسوق إلى اهانتهم أيضًا فإننا نراهم محترفين من الأغريق متهمين من الرومان حتى ان الحكم لوبوس أقفل هيكلهم في عينون أيضًا بأمر الامبراطور وساق كثيرين منهم بالاغلال إلى روما وساق يوسيفوس معهم فكان اسيراً إلى أن عرفه طيطوس فأطلقه

(١٣) ونعم ان ليوسيفوس فضلاً بالتاريخ لا ينكر وعنه نقلنا بعض أخبار اليهود الا انه كان رجلاً بلا مروءة ولا ناموس كافراً بدينه وقومه وامرائه الغريبة لكته بردّه على طعن ايون باليهود واحتجاجه بأقوال

فللسنة الاسكندرية قد أفادنا أفكارهم وأفكار اليهود ذاك الزمان التي لا وصول لنا اليها الآن من باب آخر

(١٤) أما سفر الحكمة المنسوب في بعض نسخ العهد القديم الى سليمان الحكيم فيظهر لنا بأنه من وضع أحد رجال هذا الزمان لأنه يذكرنا بأقوال فيلوبابن سيراخ ونفسه نفس يهودي مصرى متصر قد شاهد أعمال وسبازيان باليهود وعرف اهاتهم من المصريين ويدين من العيشة الرهباية ويزعم بأن الله لم يخلق الموت ويعظم الرجل الصالح الذي شتم وغيره وعذب لقوله بأنه ابن الله وبكلامه عن الخالق وحكمته وكلته التي بها أوجد الاشياء ترى المطابقة على أول قول جاء بذلك ذكر الثالث من كاتب مسيحي وهو تيوفيليوس أسقف انطاكية

(١٥) ولم يكن الاغريق اكثرا ارتياحًا من تصرف وسبازيان معهم لأنهم كانوا السابقين لمبادئه فلم يروا منه من المكافأة الا زيادة الضرائب واذ بلغه بأنهم يعيرونه بالبخل ويقولون بأنه طالب صديقًا له بستة دوانق كان قد أقرضه ايها شاط غيظًا منهم وجيابهم مثلها عن كل رجل منهم ثم عفى عنهم برجاء ابنه طيطوس ورحل الى روما بلقب الياق أي غسال الصحون كما كانوا لقبوا سلوقيوس قبله، ناھب تابوت الاسكندر الذهبي

(١٦) ولبث طيطوس في مصر نائباً عن والده فكان اطيفاً بالصريين

محبوبًا منهم واذ شاركهم باحتفالهم بالثور الجديد ايليس لابساً التاج  
الملوكي ليزيد بهجة الاجتماع شكاه الاغريق بزيارة أبيه على الملك  
(١٧) ومن آثار عهد وسبازيان في مصر كان أكالله معبد لاتوبوليس<sup>(١)</sup>  
الكبير للالله اقنيف ، وهو من أبدع بناءات مصر القديمة ، فزياد عليه  
رواق قائم على أربعة صنوف من العمدة رؤوسها منحوتة بشكل  
زهر الفافير وعلى سقفها صورة منطقة البروج كا في معبد طنطيرا  
واسم وسبازيان محفوراً فوق الباب الكبير

## دوميتيان سنة 79 م الى سنة 97

(١٨) ولما مات وسبازيان خلفه ابنه الأصغر دوميتيان الذي أباح  
لارومان دين المصريين وأقام في روما معبداً لآلهتهم ايزيس وابنها  
هوروس ومعبداً آخر لسيرايس فاشتغل المصورون بعمل التصاوير  
الممثلة ايزيس وعلى حجرها ولدها هوروس وتقش صورها الصياغ  
على فصوص الخواتم وطفق الرومان يقدمون على اقتدائها اقداماً  
عظيماً وراجت تجارتها حتى ان الشاعر يوينال المجان قال بأن  
الروماني قد باتوا يتعيشون من فضل ايزيس ، ولشدة حرسهم على طهارة  
معبدتها كانوا يستجلبون ماء النيل لغسله ولا غتسال كهنته . وبني  
دوميتيان مدرسةً فيه أحضر لها ما شاء من مكتاب الاسكندرية

(١) غربي منف على نحو سبعين ميلاً لجهة النظرية

وزرع لنفسه بستانًا على حافة نهر تiber الذي فاق بحسن ورده  
المصري الشتوي حدائق منف والاسكندرية

(١٩) وبزمانه كان الشاعر يوينال شيخاً وحاكماً عسكرياً على أطراف  
صحراء مصر، فيخبر بأنه وجد الجنود الرومانية هناك خالعة العذار  
لا أدب يردعها عن الفساد ولا مروءة تصدّها عن الجور على السكان  
والقضاء لا يقدرون على الوصول إلى الحقيقة لجازة الجانين لأن  
الشهدوا كانوا يخالفون من قول الصدق ضد الجندي

(٢٠) ولما كان هذا الشاعر مطبوعاً على الانتقاد رأى بعبادة البهائم من  
المصريين ما يشحذ قريحته فيقول بأنهم لعبادتهم أكثر البهائم لم  
يتركوا لقوتهم لحناً يستحلون أكله سوى لحم بني آدم ويستشهد على  
ذلك بما رواه من قتال كان بين مدينتي عمبس وطنطيرا البعيدتين  
مائة ميل عن بعضهما وكان أهل عمبس يعبدون التمساح وإلهًا  
آخر برأس تمساح اسمه سواف بينما أهل طنطيرا كانوا يعبدون الثور  
ولهم براءة بتصيد التمساح فالتحقوا يوماً ما بسيران كان لهم وتقاتلوا  
فأنهزم أهل عمبس إلا رجالاً منهم عثر وسقط فمسكه أهل طنطيرا  
ومزقّوه وأكلوه . ولأن اسم ملكة السماء عند المصريين هو  
ايزيس واسم الكرايات ايزي ظن يوينال بأن معبدتهم هو البصل  
فزاد بقوله عنهم بعد عبادتهم البهائم والطيور والأسماك والبقول  
لم يقتهم معبد سوى إله العفة

(٢١) وحكي ايضاً عن قتال آخر شاهده بين مدیناتي اخرين يخونونه وقيرو بوليس لأن هؤلاء كانوا يبعدون الكلاب فاصطادوا سمكةً يبعدها الآخرون اسمها او قصیر ينخونها و كانواها قفام أهل السمكة يقتلون الكلاب ويأكلونها و اشتعل القتال بين الفريقين الى أن صدتهم جنود الرمان عن بعضهم

(٢٢) أما المؤرخ باوتارخ فإنه مع عاصمه بوجود هذه العقائد عند الجبال من الناس يقول بأن اعتقاد الكهنة اذا كان بالله غير منظور وانهم كانوا لا يكتفون بالصلوة دون الحسنان ويزعمون بأن كل الاضر منه حلال وما ضرّ فهو الحرام<sup>(١)</sup> فلوا حركوا ناراً بالسيف كان ذلك حراماً لأن النار تضر بفرنده . ويقولون بأن ليس كل من ليس الكهان واغتسل وحقق رأسه بكلاهن وإن سُئلوا عن اسم الله أجابوا بأن الشمس واحدة أما اسماءها فكثيرة بلغات الناس وهكذا الله . وكان لهم عيد للله طوط يحتفلون به ليلة العشرين من القمر يأكلون فيها العسل والتين اليابس وينشدون « طيبة هي الحقيقة » ولكنهم بوجه الاجمال كانوا كسائر أهل المشرق يعتقدون بوجود إله صالح وإله آخر شرير ويعتقدون بأن الله الصالح مركب من ثلاثة بالعدد الذي هو عندهم صورة الكمال ، والزاوية التي بها يعبّر

(١) وهو مذهب فاسني جليل عند من تبصر

عن عوزيريس وايزيس وهوروس . وكان عيدهم الكبير تذكاراً  
ليوم حزن ايزيس على بعلها عوزيريس الذي قتله تيفون ونشر  
أشلاءه وبددها فيمعتها ايزيس ودفتها ثم نشأ ولدتها هوروس  
وثار بقاتل أبيه ، وانه كان تيفون ابان اسم احدهما هيروسوليموس  
والآخر يهودا هما أعداء المصريين لكتنا لا نرى أثراً يدلنا على هذه  
القصة بين رسوم ثيبة القديمة فربما انها مما جد بالارياف ومنها ركب  
الاغريق حكاياتهم اللطيفة عن حزن وينوس على معشوقها ادونيس  
او انها مأخوذة عن حكاية استارته الالهة الفينيقية (١)

(٢٣) ثم يينا كنا نرى هوروس بصورة فتى وعلى رأسه تاج صرنا نراه  
بصورة ولد صغير وأصبعه على فمه ، يعنون بذلك انه فاقد عن  
الكلام ، فالروماني لم يفهموا هذا الرمز وحسبوه اشارةً الى الصمت  
فسموه إله الصمت

(٢٤) ولما تمت الاحدى عشرة سنة لحكم دوميتيان طلب من السناتو  
اقالته فلم يقليوه وبایعوه لعشر سنين ثانية فاحتفلات الاسكندرية  
بذلك احتفالاً كبيراً وضربت تقويداً جديدة تورّخ جلوسه الثاني  
أدت من أبدع النقود المضروبة لذاك الزمان

(١) ويمثل هذا اليوم تحفه الان مصر بعيد ثم النسيم .

## الفصل الرابع

سنة ٩٧ م الى سنة ١٨١

نروي تراجان هدريان والانطونين

(١) النقود هي الأثر الوحيد لحكم نروي على مصر ولكنها تكفي لشئء عليه لأنها تؤرخ رفعه الجزية عن اليهود التي كان قدرها نصف مثقال عن كل انسان منهم وهو القدر الذي كان قدّيماً مفروضاً عليهم لخدمة الهيكل

تراجان سنة ٩٨ م الى سنة ١١٢

(٢) أما أجمل النقود المسكوكة لذاك الزمان فكانت التي لتراجان للسنة الحادية عشرة من ملوكه فانها بدلأ من تشخيصها الاتصارات الامبراطورية وفيضان النيل والألعاب والتعميد لسيرايس صارت ت نقش بالرموز المصرية واليونانية لا بل ان كيتها بهذا العهد والذي بعده فاقت كمية كل النقود المضروبة قبلها وأكثرها كان من النحاس بقطع صغير من وزن مائة وعشرة شعيرات الى مائتين وعشرين شعيرة وهو ما صارت العرب فيما بعد تسميه المثقال الذي

هو تسع وتسعون شعيرة وبعض هذه التقدّم كان من فضة لكنها  
غير خالصة

(٣) ورغمًا عن احتقار الرومان للمسريين واعتبارهم آداب وصناعة اليونان فانهم كانوا يشقون بأطبلاء المصريين ويقصدون مصر لمشاورتهم فكان أحد أطبلاء قيروا منهم ولما هر بوقراط المصري شفى بياني الأصغر من مرض كان بعيته كفأه هذا بأخذه له فرمانًا يجمعه رومانيًا، واذ لم تجز له القضاة هذه الجنسية لسبب نسله الشرقي تكالّفوا جعله أولاً يونانيًا وثمًّ رومانيًا اي حرّاً

(٤) ومن اقتصادات تراجمان الحسنة الذي كان تخزنه بأهرا، روما خراج سبع سنتين من حبوب مصر احتياطًا من جدب يطرأ على زراعة مصر ويقطع واردها فجرى خلفه على هذه القاعدة سنتين وأتى زمان أخلت فيه مصر ورأت الاسكندرية انقلاب الآية بأن روما صارت تقدّمها بالطعام وتفتخر باقتصادها وكرمها على المصريين

(٥) وهذه الزمان كانت الاسكندرية لم تزل قطبًا لتجارة المشرق مع أوروبا ومرسى لمرأكب سوريا تزدحم فيه السفن بشرائطها المختلفة الالوان والأشكال وميدانًا لتجار المسكونة من كل لون وزي واسنان

(٦) أما أهلها فانهم على قول أحدهم ديون المقرب بفم الذهب لم يكونوا حسني السيرة قط بل ان همهم كان بطونهم وفروجهم وسباق الخيل وحرقهم الهرج ليضحكوا الرومان بسفاهتهم

(٧) وبعد أن كانت الرومان قد أخْفَقْت بزحفها ضد العرب في عهد أغسطسوس نراها الآن قد احتلّت حجر عاصمة النبط ولم تزل آثاراحتلالم لها بعهادة سنة ظاهرة للآن

(٨) ومن آثار هذا العهد وبزمان حاكم مصر لوقيوس سولبيقيوس سيميوس ما زيد على معبد بانوبوليس<sup>(١)</sup> بالصعيد باسم تراجان بالسنة الثانية عشرة من ملكه ورواق معبد سيرابيس وايزيس بالمرج الأعلى بالسنة التاسعة عشرة من ملكه وأيام حاكم مصر مرقس روتيليوس لوبوس وكان تراجان بأول سنة من ملكه قد بني معبدًا صغيرًا في دنديره بالقرب من معبدها الكبير تذكّرًا لزوجته باوليننا باسم وينوس الفتاة ومع سكوت التاريخ عن حوادث هذا الزمان نفهم من صورة تقدّس الاسكندرية للسنة الرابعة عشرة لトラجان قدومه إليها آيّاً من فتح أرمينيا والعراق وبلاد العرب راكبًا على عجلة تجرها أربعة أفيال، ومن صورة تقدّس للسنة السادسة عشرة من ملكه نفهم اقلاعه عنها بهيئة الإلهة ايزيس ماسكةً شراعًا تدفعه الريح عن جزيرة الفنار

(٩) وبهذا الزمان حصل انتقامه بصلاح الترعة التي بالقرب من

(١) وتدعى أيضًا خيميس وهي الآن أخيم ومنها خرج ذو النون الإنجيلي رئيس الصوفية

بوسطى التي هي الآن تل البسطة وكان أول خرقها من نيقو ثم اعتقى بها فيلادلفوس لكن لضعف مصب النيل إليها بهذا الزمان رأوا أن يجعلوا رأسها فوق ما كان لحفظها من تسطى الماء المالح فابتدأوا فيها من بابل بالقرب من منف آخذين بها إلى هليو بوليس ثم شينيا وترانوروم وهيلوبوليس وسيريابيون إلى البركة المالحة العليا ومنها إلى البحر الأحمر وهناك بناوا لها سدًا يوضع سمه قليسمون على عشرة أميال جنوبًا من ارسينوبيه التي كان تراكم الرمل على ساحلها قد أبعدها عن البحر ولا يعلم كم طال استعمالها بل المعلوم بأنها تعطلت من عدم الاعتناء بها حتى أصلحها العرب عند استيلائهم على مصر. وعليها بزمانهم ركب حجاج الأفرنج بطريقهم ليت

### القدس

(١٠) ولما كانت الاسكندرية أم التزوير الكتائسي فبلا شك أن منها

خرج تركيب وصايا الأسباط الاثني عشر من تلقيق يهودي متصر فأثار به شجا المسيحيين لتبشيره بعود المسيح على رأس الألف سنة واليهود لاشارة به قرب رجوع ملوكهم فهاجوا ضد الرومان وأقلقوهم

(١١) والأرجح أنه بهذا الزمان أيضًا نشر الشاعر حسقيل نشيده الحماسي

باللغة اليونانية بخروج اليهود الأول من مصر كأنه يغريهم بالخروج

منها ثانية، لكن لم يصل إلينا من هذا النشيد سوى بعض مقاطيع

(١٢) فيوجود مثل هذه التصانيف كان إيمان نتاج حركة أفكار يهود

ذلك الزمان إماً سبباً لها لأننا نراهم بالسنة الثامنة عشرة من هذا العهد هائجين ضد الأغريق ، وبالتالي بعدها عاصين على الرومان . وكانوا بأول الأمر الفشة الأقوى بالقرى فهرب منهم اليونان للإسكندرية لكن لما اجتمع هؤلاء مع إخوانهم بالإسكندرية صاروا هم الحزب الأقوى فوقعوا على اليهود فيها وعاذوا فيهم . وما انتصر لهم يهود القيروان تحت قيادة أحدهم لوقواس تفاصيل الخطاب حتى اضطرّ الإمبراطور لارسال جيش جديد وأسطول لمحارتهم فأصابهم عدداً وافراً وهرب الباقيون للبراري والقفار تايمين يتلاصصون

(١٣) فبمثل هذه الحالات سقط اعتبارهم وضاعت امتيازاتهم بالملائكة ومع خراب هيكلهم بأورشليم وقتل هيكلهم الآخر في عينون بأمر وسبازيان أصبحوا أدلاً ، قاطنين فالت أفكارهم للتوراة وتأويل النبوات المشيرة إلى زمان إتيان المسيح فتتصدر منهم كثيرون إذا عصفت ريح الغنى قصفت أخا

عناء ولو بالفقر هبت لربّه  
وربما أنهم بهذا الزمان قد كلفوا ثانية لدفع الجزية التي كان نروى  
قد عفاه منها

## هدريان سنة ١١٧ م إلى ١٣٨

(١٤) في السنة السادسة من حكم هذا الامبراطور النشيط نراه زائراً مصر بعد أن كان فقد أحوال اسقوطلاندا شماليًا راغبًا بالاطلاع على أحوال مملكته برمتها. وربما ان الذي دعاه لزيارة مصر كان قتالاً ثار بين أهل منف وهليوبوليس لأجل عجل ادعى فريق منهم بأنه أبييس والآخر بأنه مناوس بعد أن كان قد مضى لمصر عدة سنين وليس لها عجل مقدس . وإذا كان هدريان صاعداً بالنييل لزيارة ثيبة سأله المتجمرين عن بخته فأجابوه بأنه لا تم له السعادة حتى يفقد أعز ما عنده وكان نديمه الشاب انطينوس يسمع ذلك فقال أجعلني أنا أكون أنا الفداء ورمي بنفسه للماء بالقرب من القرية المسماة ييسه هيلك وحزن الامبراطور لفقده حزنًا عظيمًا فشاد بذلك المكان مدينة تكون تذكاراً لمروره سماها انطينو بوليس وزينها بالمعابد ولم تزل آثارها ظاهرة للآن ازاء هرموبوليس على الضفة الشرقية من النيل وصار الرومان يكرمون تمثال انطينوس كأحد الآلهة ويقيمون له عيداً بالألعاب والسباقات مما كان يستغربه أهل الصعيد بأكرام الآلهة ثم بالسنة السابعة من وفاته ضربوا له نقوداً بالاسكندرية باسم انطينوس الفتى

(١٥) واجتمع الامبراطور بعلماء الاسكندرية وحادثهم وزار ضريح

پومي وأنفق مبلغاً كبيراً على زينة البلد وبنيات جديدة فيها فأكرمه أهلها بأن أبدوا اسم شهر ديسمبر إلى هدريان ولكن إذ لم تتبعهم الملكة أعرضوا عنه . ومن العلامة الذين أكرمه هدريان كان ديونيسيوس استاذ الفلسفة في ميلتوس وافسس وبوليون الخطيب الذي كان يحتال في أنحاء المملكة بخاشيته وخدمه على نفقة الدولة للخطابة

(١٦) أما علامة الاسكندرية بهذا الزمان فكان منهم اپيان مؤرخ الفتوحات الرومانية والمنطقي ابولونيوس الذي لنا منه حكاية الراعي الذي يقال بأنه رقد سبعاً وخمسين سنة ثم اتبه <sup>(١)</sup> وحكاية رجل مات وظل شبحه يأتي بيته إلى ان ضجرت امرأته ولم يتركها حتى أحرقت موئيته

(١٧) وعاد اليهود بهذا الزمان لعصيائهم فانهم سنة 130 قاموا بأورشليم ضد واليها تيوس روفوس وحشد لهم يهود مصر والقبروان لكنهم أخفقوا ونُكِلُّ بهم

(١٨) ومن الكتابات العديدة على صنم ثييه العظيم تعلم زيارة هدريان الثانية لها مع زوجته صابينا بالسنة الخامسة عشرة من ملكه وهي سنة 131 التي تقود الاسكندرية تشير إلى دخوله إليها ، وتعلم أسماء

(١) ولعل هذه الحكاية هي المشار إليها بخبر أهل الكهف الوارد بالقرآن أو ان هذا خبره بما ذكرموا انه حصل بعد هذا الزمان

بعض ولاة مصر الذين لم يذكرهم التاريخ وإنما فإن أسماء الزائرين  
تکاد تغطي ساقى الصنم ولو أمكنهم للأوا ثلاثة والخمسين قدمًا  
منه بتفاهمهم المعتادة أما الصنم المذكور الذي أصله من حجر  
واحد كان حينئذ مكسوراً ولما رأته الملكة صاينا ورآه قبلها استرابو  
ويونسال وبوزانياس كان نصفه على الأرض وإن لم تسمع منه  
الملكة بأول صباح نغمه المشهور تکدرت فبالغ سمعته (١)

(١٩) ومن هذه الكتابات أيضًا عدة أبيات باللغة اليونانية ا يوليك  
القديمة التي هي ألطاف مخرجاً من الدوريك تؤرخ زيارة هدريان  
وملكته لمدينة كما أننا نجد اشارة لهذه الزيارة بصور من الفسيفسا  
في بالستريينا التي تبعد ليالتين عن روما ، تمثل النيل وقساحاً ساحجاً فيه  
وحصان . النهر وزهر البشرين والأمبراطور قائمًا بحذاء معبد هناك  
ومناظر من الصعيد والسودان وحيوانات كالزرافة والفهد ووحيد  
القرن والطير الخرافي فينكس وبئر أسوان الفلكي . والافرج تسمى  
الفسيفسا موزايكًا وتزعم بأنها محرفة من اسم موزيوم الاسكندرية  
حيث وجدوا آثار هذه الصنعة لكن لا يبعد أن يكونوا قد أخذوا  
هذا الاسم من العرب فيكون محرفًا من مجّرع وهو أصلًا من أحجار

(١) قبل انكساره لم يكن له نفم الذي سببه اصر طبيعى يصادف أحياناً  
بالصخور المنحورة عند الفجر من الموارد فيها متى سخن فيخرج صافرًا

طبيعية أما الآن فأكثره من حجارة مُصطنعة وله معنى بنفس  
الواتيكان قد شهدناه فيه

(۲۰) وهذا من سبعين سنة قد مضت للآن على التبشير بالمسيحية من  
مرقص الانجلي وصار عدد المسيحيين بالاسكندرية كثيراً إلا أن  
حالة البلاد أحوالاً لم تتحسن فاتنا ترى هدریان يكتب حينئذ  
لصديقه سرويانوس ما يخواه

« من هدریان اغسطسوس إلى سرويانوس ، سلام . أما بعد  
ففسر التي كنت تطلب لي في مدحها إليها العزيز فاني أجد أهلاً قوماً  
بلا رصانة ولا تمييز فنهم من يعبد سيرابيس ويدعى بأنه مسيحي  
ومنهم من هو من كهنة المسيحيين ويكرم سيرابيس وليس منهم  
كافر ولا حاخام أو سامر ي لا ويعمل بالسحر وكفهم محبوون  
على حب الفتنة والصلف والضفاعة لكنهم أغبياء أصحاب همة وأهل  
صناعة بعمل الزجاج والقرطاس والكتان وعندهم حرف للعرجان  
والعميان والمكتوعين يعبدون إلهًا واحدًا هو لا شيء وهذا أني قد  
أوتيتهم كل إحسان وأعدت لهم امتيازاتهم وزدتهم لعلهم يشكرون  
ويحسنون طويتهم »

وزرى على تقد السنة السادسة عشرة من هذا العهد صورة  
الملكة متكئة على أريكة في مركبها اشارة إلى سفرها من  
الاسكندرية

(٢١) وبالزمان الآخر إذ صار سيرابيس أعظم آلهة المصريين قابض الأرواح والديان في اليوم الأخير ضعف يقينهم بغيره . ولما سُئل هاتف الغيب عن الإله أجاب «أنا را ، أنا هوروس ، أنا عوزيريس» أو كما تقول الروم «أنا أبو أنا ، الرب أنا باخوص » أنا محرّك الساعات ومدبر الفصول مجرّي الهواء والأعصار ومعيد الليل والنهار أنا رب الأفلاك وأنا النار الأبدية القرار . فمن هذا الاعتقاد نتج اشتباه هدريان بدين القوم . وكان يريد أن يضيّف المسيح إلى عداد آلهة الرومان لكنه كان يكره إقامة التمايل بالمعابد حتى صارت العارية منها تعزى إليه فيما بعد . وكيف كان الأمر ليس من الغريب وجود نزعة من عقائد الأقدمين عند المتصرين لذاك الزمان

(٢٢) فإن المسيحيين الأولين كانوا يهوداً من معاصري الحواريين وجدوا بالسيّح المنتظر تيمّاً لدينهم . وأما القبط والاغريق فأنهم أحالوا الدين لما وافق خرافاتهم الأولى ، وإلياهم عن بولس الرسول بتحذيره تيموتاوس من المناقفين . وكان قيرنطوس أول من سعى لتطبيق المسيحية على فلسفة الأقدمين فكان يزعم بأن يسوع هو روح من الأرواح التي يبعثها الأزلي من زمان لزمان لتسوس العالم الأرضي ، وكثيرون يظنون بأن سفر الوحي هو من وضعه لما فيه من المشابهة لهذا المذهب

(٢٣) أما مؤسس المسيحية على المبادئ المصرية فهو باسييلديس القائل

بأن المهدى من الله وان المؤمن معصوم من الخطيئة وان المادة أذية  
كالمهلوى واغدوه هو الإله الواحد ذو سبع صفات يسوس بها  
الكون ( ربا هي العقل والكلمة والفكر والحكمة والقدرة والعدالة  
والسلام المذكورة بسفر الوحي ) وان الشيطان هو الله الشر وكان  
يسمى الله الخير « ابراقاس » لأن معناه لا تؤذني ، ومجموع أعداد  
حروفه يجاوب على عدد أيام السنة ٣٦٥ فكانتوا يتبركون بهذا  
الاسم ويكتبونه على احراز يلبسو منها لاوقياية من الامراض والهفوات.  
كما ان من وصف المصرين إلههم هوروس بالختنفاء وصف  
القديس امبروز يسوع بالختنفاء الصالحة

٢٤) ومن معاصري باسييليديس كان قربوقراطيس الاسكتندرى الاعم  
بأن النفوس إذا شعرت بصفاتها الإلهية التي لها قبل التجسد تألهت  
وأن يسوع كان من أشعر بها، وكان يقول بأن آداب السلوك غير  
ضرورية. وخلقه ابنه ايقانس على هذا المذهب وزاد عليه شيئاً من  
الفلسفة الافلاطونية. وبعده ظهر ايزيدوروس بن باسييليديس يعلم  
بمذهب أبيه في هذا العهد. وبالعهد التالي ظهر والنتينوس الصعيدي  
المولد الجاعل للإله من ثلاثة افونما. وظهر غيره بمذهب يسمى  
عوفيتا وهو كرام الحية فقالوا بأنها المسيح أو أعظم منه لأنها أول  
عارف بالخير والشر وكانوا يصنعون أحرازاً بصورتها وباسم يهوه  
أيضاً كما باسم ابراقلس

(٢٥) وكافة هؤلاء القوم كانوا يعتقدون بالسحر والرق ولم يكتب بالتعاونيذ والخطاب للآلهة والشياطين والاقسام عليها التجيب غرضهم وكتب أخرى بالتنجيم والفراسة ومكالمة المجادلات مع أن الفراسة علم طبيعي ومكالمة المجادلات من الشعوذة المخضبة التي تسمىها التكلم من البطن وكتب الرق إنما أساسها فكأن ما نعرفه الآن « بالهيلينو تيسم » العلم الطبي

(٢٦) ثم إننا إذا نظرنا إلى الدين المصري القديم وجدنا بأنه قد جاز فيه بأن عوزيريس يُقتل وأن يكون مع رآ وهوروس إلهًا واحدًا وأن سيكون للبشر قادٍ منهم يوم الحساب

(٢٧) أما الساكن المسيحي الذي يعتمد عليه بعد المعاصرين للحواريين فهو يوستن اليوناني الأصل السامري المولد الذي درس الفلسفة الأفلاطونية بالاسكندرية وتنصر عن اقتناع عقلي ثم ذهب لروما مبشرًا بالدين الجديد ولأنه أهان الأصنام فيها قتله الامبراطور أنطونيوس بيوس وصار يُعرف بيوستن الشهيد

(٢٨) وكانت العادة قد جرت بأن استاذ الفلسفة الأفلاطونية بالاسكندرية يكون أثينيًّا فكأن بالقرب من هذا الزمان استاذها أثيناغوروس، لكنه بعد قليل تنصر وهو ويوستن كانوا أول العلماء المتصررين لذاك الزمان لكنه لما خاطب الامبراطور مارقوس اوريليوس بهذا الدين لم يتجاوز فيه الشهادة بالبعث والتوحيد

وبأن المسيح هو حكمة الخالق وإرادته وبأن المحبة واجبة حتى للأعداء.

ولاعبٌ والناس لم يخلقا سدىٌ وإن لم تكن أفعالهم بالسدية  
 (٢٩) وبعهد هدريان كان ضرب النقود غزيراً وبشكل جديد فان منها ما كان عليه صورة مركب يدفعه الهواء اشارةً إلى قدوم الامبراطور لمصر بالسنة السادسة من جلوسه ، ومنها بالثامنة بصورة أنطينوس كأحد الآلهة و منها بالحادية عشرة عند تجدد انتخابه لعشرين ثانية ما عليه اسماء بعض جهات مصر والحب الصالحة والشريقة بصورة ايزيس رب العشق وسيرايس رب الخوف وصورهما مع ولدهما هوروس قائمًا على نسر بعد أن كانوا يمثلونه برأس نسر فقط

انطونيوس بيوس سنة 138 م إلى 162

(٣٠) ولما انتقل الملك إلى أنطونيوس بيوس صادف ذلك انتهاء الألف واربعمائة وستين سنةً من دور الشعري اليهانية الكبير (١) وهي النجم المسيحي أيضاً سيريس والكلب الذي يطلع من

(١) أي ان الشهور ترجع إلى مدارها الاول وهو ما تسميه الافرينج « العام البلاطونيك » كما تسمى الموى المذري « العشق البلاطونيك » أما بخلاف ذلك فالنسبة إلى افلاطون وفلسفته هي « بلاطونيست أو بلاطونيسيان »

جنوب مصر أيام قليلة قبل فيضان النيل ويتندّه المصريون سنتهم من طلوعه وبدوره هذا يتظرون رجوع طيرهم الحزافي ويتيمنون به فأقاموا لذلك الأفراح وضرروا التقدّب بصورة هذا الطائر الميمون الذي تسمّيه اليونان فينيكس المذكور آنفًا في هذا الزمان كانت مصر بعدها وأمان وفيضان النيل لا ينقص عن ستة عشر ذراعًا في متّف وهو الحد المرغوب من قبل سبعة سنتين بزمان المؤرخ هيرودوتس ومنه يتضح بأن سطح أرض البلاد لم يرتفع عما كان قبل هذا الزمان الطويل (٣١) ولما شاعت حرفة التنجيم بين الأغريق صارت الاسكندرية تضرّب تقدّبها بصور الأبراج . وفقراء اليهود وجدوا بذلك وسيلة لاكتساب المعيشة فنساءهم كن يجلسن بالأسواق ينجمن للناس ويفسّرن الأحلام . ومن أوراق وجدت مدفونة مع موئمه في ثيابه تفصل طالعًا بيامه بالدرجة والحقيقة مع أبراج الشمس والقمر والكواكب بذلك الوقت أمكن لنا معرفة زمان هذا الامبراطور تماماً بحساب الفلك . ووجد أوراق غيرها تفصل أبراج كل ساعة من هذا الزمان بغاية الدقة والضبط لاستعمال النجّارين

(٣٢) لكن لم ينحصر علم الفلك حينئذ بالتنجيم فان قلوديوس بطليموس الفلكي والجغرافي كان إذ ذاك زينة مدرسة الاسكندرية واليه ينسب اكتشاف دوران الشمس والقمر والكواكب حول الارض من الشرق للغرب مرّةً بالأربعة والعشرين ساعة ، والحال أن هذا

علم قد عرفه الأقدمون وهو أثبته بالبراهين فصار ينسب اليه  
وبوضعه الجسطي <sup>مدوناً</sup> الكسوفات التي عرقها بابل والاسكندرية  
في مدة <sup>الثمانين</sup> سنة قبل زمانه قد أمكن لنا تحديد زمان ملوك بابل  
والفرس واليهودية ومصر تحديداً باشاً . وبتفصيله طريقة عمل الكرة  
الأرضية ورسم الخارات يكاد أن يحيط بهذا الفن على ما نعرفه  
الآن كما ان افاداته الجغرافية تفوق بدقها كل وصف من نوعها  
ظهر لذاك الزمان . وكتابه بالإنقاض هو أحسن ما لدينا من أراء  
الأقدمين بهذا الفن

(٣٣) وبهذا الزمان أمر الامبراطور بمساحة السكك العسكرية بالملوك  
وسموا بذلك الدليل الانطوني فكانت سكك مصر العسكرية ستة  
أو لها من النوبة إلى بابل على طول حافة النيل الشرقية وثانية من  
منف شرقاً إلى هليوبوليس وهي اليهود وقليسمون حيث تمر بقرعة  
ترابagan للبحر الأحمر وثالثها من منف إلى بلوزيوم متصلة بالثانية  
على مسافة ثلاثة ميلاث عن بابل ومتفرقة عنها عند شينا وترانوروم  
ورابعها من الصحراء إلى البحر الأحمر عن طريق سيرابيون خمسين  
ميلاً من قليسمون وهي أقصر من الثانية ب نحو مائة ميل تمر بحافة  
النيل الغربية عند هيراسيقاميون بالنوبة إلى الاسكندرية منحرفة  
عن النيل عند اندروبوليس على بعد ستين ميلاً من الاسكندرية  
وخامسها من فلسطين إلى الاسكندرية على شاطئ البحر المتوسط

من رافعه إلى بلوز يوم صاعدة بـ١٣٧ هـ بـ١٣٨ من طوفان النيل بتلك البقعة ثم لاحقة بالسكة السالفة عند اندره بوليس وسادسها من قبطوس على النيل إلى براينقه من البحر الأحمر وبينهما عشرة منازل أو ما نسميه أيضاً قنوات بين كل منها ليلة أو خمسة وعشرون ميلاً. نعم إن سينه كانت آخر حدود مصر الرومانية إلا إن سلطة الرومان لم يكن لها فعل فوق هيئا سيقاميون ابتعاداً عن مجاورة عربان تلك الجهة من أسلاف البشاريين وغيرهم أصحاب العيون الخفية

(٣٤) ومن المؤرخ الريان نعرف كيف كانت أحوال مدن شواطئ البحر الأحمر بذاك الزمان والمسافات بينها والسكان فيها وأهمية تجارة مصر الداخلية والخارجية إلا إن إذ كانت الأموال الواردة لمصر تنتقل من يد ليد ويلد ليلد بطريقها من بلاد العرب كان الرومان يجهلون مصدرها الهندي والحبشي ويظلونه عريضاً. فان المصريين كانوا يرسلون نسيج السكتان وأواني الزجاج والنحاس والصفر لسك النقود والحديد لعمل السلاح ويستجلبون العاج وسن الكركدن والفولاذ الهندي والخبر والحرير والعبيد وصدف السلاحفاء والمر والبعور والتوابيل ولتسهيل تجارةهم في البلاد العربية كانوا يهدون ملوكها الخييل والبراذين وأواني الفضة والذهب. ويدرك هذا المؤرخ تجارةهم بالحبوب والزيوت

والقند وعراكب الخوص وهي أول مرة عثرنا بها على ذكر القند  
ومع ذلك يظهر بأنه كان صنفاً قد يُعرف بـ، إذ لو يكن حديثاً لكان  
المؤرخ أشار إليه خاصة

(٣٥) ومن بعض الكتابات على ساق أبي الهول بالقرب من الأهرام  
نعلم زيارة هذا المؤرخ له وخبراً آخر كان يجهله وهو وجود الأطباء  
بعمية الجيش الروماني فأن أحدهم المسماً استقليبيادس الكاتب اسمه  
هناك يقول بأنه كان طبيب الفيلق الثاني ومن كتابة على قطع من  
الحروف بقلم رومي ردي بصفة وصولات بالرسومات على صادرات  
الخطة والغول والجزية نعلم بأن الجزية التي كانت ستة عشر درهماً  
في عهد وسبازيان صارت بعده سبعة عشر درهماً فضة وهي بالنسبة  
حال ذاك الوقت تحسب فاحشة إلا أن تكون مضروبة على أرباب  
البيوت من الرجال فقط

(٣٦) وبهذا الزمان صار بناء معبد بالمرجة الكبيرة للإله عمون اقنيف  
وفيه تمثال الامبراطور رافعاً قرانيه لهذا الإله ولوزيرهيس وايزيس  
وهوروس، وبنى أيضاً هذا الامبراطور مرسىً بالاسكندرية لسباق  
الخيل، وبابين للمدينة سمى أحدهما المواجه للبحر شمساً والآخر  
المواجه بحيرة مريوط قرراً، وفتح بينهما طريقاً واسعاً يخترق المدينة  
عرضًا لكنه لم يكن له ليخلو زمانه من البلابل فأن أهالي الاسكندرية  
أثاروا فتنة فيها وقتلوا الحاكم وينار خوص فاستحقوا عقاب الامبراطور لهم

## مارقوس اوريليوس سنة ١٦٢ م الى ١٨١

(٣٧) ثم انتقل الملك إلى مارقوس اوريليوس فضررت الإسكندرية تقدوها باسمه ، والتي للسنة الخامسة من جلوسه ترى عليها صورة انسان عظيم الجثة متكئاً على تمثال أبي الهول وحاملاً بيده قرناً ملؤه فاكهة وعنباً وحولي العاج بين يديه ومن فوقه ستة عشر طفلاً تسمى بلغة الرومان « كُوبِيد » وكل ذلك رمز إلى النيل العظيم وبركته وارتقاعه ستة عشر ذراعاً ، وبلغة الرومان « كُوبِيت ». وكان وسبازيان نقل صنماً على هذه الصورة إلى روما وأقامه في قصر السلام بصفة إله النيل . وبالسنة الحادية عشرة من هذا العهد ترى على التقدود صورة الإلهة ايزيس قابضة شراعاً تدفعه الريح لجهة المنارة اشارةً لقدوم الامبراطور إلى الإسكندرية

(٣٨) وفي السنة المذكورة انتقض الجندي المؤلف من العزبان المستأجرة وتفرق في القرى يبعث فيها فزح القائد اوديروس قاسيوس ضد هم ونكل بهم فإذا عاد بجيشه منصوراً لعبت الجماعة برأس الجندي فصالحوا باسمه امبراطوراً على الشرق فأذعن لهم ومشى بهم الاستيلاء على سوريا تاركاً ابنه ميقيانوس حاكماً على الإسكندرية فاستقبله جيش سوريا بالخضوع لكن إذا بعد قليل جاء الخبر

بزحف مارقوس ضدَّه نكثوا عهدهم معه وقتلوه وقتلت جنود الاسكندرية ابنه وعادت البلاد لطاعة مارقوس (٣٩) وهو بوصوله للاسكندرية أعلن عفوه عما كان، وأكثر ما فعل بأولاد قاسيوس الآخرين فإنه أبعدهم تاركاً لهم نصف ميراثهم وكان يتجلو بالمدينة كأحد الأفراد ويزور المعابد ويحضر مجالس العلامة بالوزيوم وأقام تمثاله بالمدينة لابساً الجبة الرومانية لا ، الملوكية كسلفاته

(٤٠) وكانت الاسكندرية لم تزل قطبًا لعلوم الدنيا بأسرها لا مشيل لكتتها ولم تكن بعد قد أثَّرت فيها المسيحية بل كان اشتغال النسّاخ العديدين بجوار المكتبة ، وأكثرهم من البنات ، بنقل كتب الأقدمين بالخط الروحي الديواني والنمسخي

(٤١) وأكثر كتب هذا الزمان بالخط الديواني كانت على الرق وقليل ما وصل اليانا منها ككتاب مسامرة الالباء للعالم أثيناؤس من نوقراطيس بالقرب من سايس<sup>(١)</sup> على حافة النيل الغربية الذي يقول بأنه جمعه من ثمانمائة كتاب مختلفة المواضيع . وقاموس واليريوس هر بوقراطيون الاسكندرى يفسر فيه كلام خطباء اليونان العشرة .

(١) الان صالحجر

(٧)

والفتاوي الائتية ويدرك سير الأشخاص الذين أمع إليهم الخطباء .  
وكتاب بالعروض يسمى الانجيريديون من تأليف المنطقي هيقاستيون .  
وكتاب باصطلاحات التعبير والكلام المنحوت بسائر الفنون لذاك  
الزمان تأليف المنطقي يوليوس بولوقس من نوقاراطيس أهداه  
للامبراطور قومودوس . ونسمع بكتاب من تأليف خيرون معاصر  
بولوقس بأخبار كهنة مصر وترجم ملوكها لكنه يا المأسف مفقود  
(٤٢) ومن كتب هذا الزمان أيضاً كتاب المحاورات للوقيان كاتم  
أسرار حاكم مصر يُستنتج منه ضعف اعتقاد الجمور بمنتهيهم القدم  
لأننا نراه يتجرأ على السخرية من عبادتهم للبهائم والأباريق ومن  
حزنهم لموت العجل اليس وتصديقهم بالسحر ونصبهم المؤميات  
خذآهم وهم على الطعام كأنها تشاركم به ووضعا رهينة عند حاجتهم  
للاستئراض وحلقهم رؤوس شبانهم إلا ذوابة يرخونها فوق اذنهم  
الى كعاده ملوكهم في ثيابه من قبل الفين وخمسين سنة

(٤٣) لكن لم يتم هذا المهد حتى توالت الدلائل على انتشار المسيحية  
في مصر وأعظم برهان على ذلك أنازى مطران الاسكندرية  
مضطراً لرسم ثلاثة أساقفة لمدن الداخلية . والعاما ، الوثنيين أكثر  
اشتغالاً بالتنديد على الذهب الجديد ومن رد اوريجين على  
اعتراضات أحدهم قلسوس نعلم بأنهم لم ينفوا صحة الحديث الانجيلي ولا  
المعجزات المنسوبة لكتبهم ليسمعوا لكتبهم يعتبرونها من نوع السحر وينكرون

قدامة التوراة زاعمين بأنها منقوله عن مذهب المصريين القديم بالتوحيد ويحتجون بأن علماء اليهود لا يرون بالنبوات ما يشير إلى مجيء المسيح بذلك الزمان ويدعّون بأن المذهب المسيحي يُبْطِل الهمم عن الاستغلال بالعلوم وغفرانه للخطأ مما يغير بهم على المعاشر فلذلك نرى بأن رد أوريجين على هذا التقرير ينحصر بتأويله للنبوات وباستشهاده بسمو آداب المسيحيين وتقسيم بهذا الدين رغمًا عما أصابهم من الاضطهاد والعقاب، وباستناده على النبوات يبرهن على أن الاختلاف بين اليهود واليسوعيين إنما هو على تأويله فقط بينما قلسوس يعترض على قصص التوراة برمته وخبر خلقة آدم فيها على صورة إله لا صورة له فولاً أن مجمع نيقايا فيها بعد يضلّ ويُكفر من خالف تأويله من اليهود لما آل الجدال بين أهل الكتاب إلى التلاعن والعدوان

(٤٥) ومن الحيل المصرية المنكرة كان تلقيق الكتب لأغراض الدين كالنشيد السيلاني الذي هو خلاف النشيد الوثني قبله من هذا الاسم والقليمنطينا أو اقرار قلامنس أسقف روما وكلها تزوير مخصوص من عمل يهودي متصر ولا شك لأنه ينكر الوهية يسوع التي كان متسكًا بها قلامنس رومانوس كل التشك

## الفصل الخامس

سنة ١٨١ م الى ٢٤٩

قومودوس . برتينكس . نيجر . سويروس . قارقلاء . مقرينوس  
 الاجابلوس . اسكندر . مقسيمینوس . بليينوس  
 آل غورديان . فيليب

قومودوس سنة ١٨١ م الى ١٩٤

- (١) ابتدأ قومودوس حكمه بقتله أولاد قاسيوس الذين كان أبوه قد  
 أكتفى بابعادهم وحَلَقَ رأسه إلَّا داثَرَةً بالوسط اقتداءً بكونه مصر  
 ليجوز له أن يحمل عصاً أو يسُس بالاحتفالات الدينية
- (٢) وبزمانه كان الصعيد قد أمسى قليل السكان فقيراً لضعف التجارة  
 مع البحر الاحمر بطريق اسوان وخراب بلاد النوبة
- (٣) لا بل ان تجارة الاسكندرية نفسها كانت قد خفتَ عن قبل من  
 جراء مزاجمة مدينة قاتويوس على الضفة الغربية من النيل بالقرب  
 من ابو قير لسهولة مدخلها للمراكب الصغيرة وخلوّه من صخور

مدخل الاسكندرية فصار مصب النيل هناك يعرف بالمصب القانوني وهي المدينة التي انتقل اليها عدد من الكهنة قبل انتشار المسيحية والفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وفيها كرس قومودوس هيكلًا لسيرايس وفيها كانت تصنع الجرار القانونية لحفظ أجزاء الجسد التي لا تصلح للتحنيط ، رؤوسها من أربعة أشكال ، شكل برأس بومه وشكل برأس كلب وشكل برأس أسد وشكل برأس انسان

(٤) ويرى اسم قومودوس بالكتابية الكهنوتية على معبد مدينة قونترالتو بوليس أيضًا وهو معبد قديم من بناء البطالسة وربما انه لم يكن آخر امبراطور نُقش اسمه على معابد مصر القديمة إلا أن المعابد التي من بناء الاغريق قد انمحى أثراها ومعابد الصعيد التي عليها المعلول بتاريخ مصر لم يتجدد شيء منها نظراً لفقر الكهنة أولاً، وثانياً لظهور ضعف يقين الجمهور القديم حتى أن القضاة أصبحوا لا يقيسون حكمًا لعوائد المصرية ، وعدها ذلك لانتشار المسيحية مع ما فيها من اليقين بالبعث ويوم الحساب المطابق للدين القديم

(٥) أما الكهنة فكانوا لا يزالون يقتربون بعلومهم ويخافظون على تقاليدهم وشرائعهم فكان كلّ منهم يحفظ عن ظهر قلبه الكتاب المختص بوظيفته من وصايا الإله طوط وهو مرکور اليونان وعطارد العرب وبتطوافاتهم الاحتفالية كان المنشد بينهم يتقدم الكل حاملاً

آلات الموسيقى ويليه المترجم حاملاً ساعة الرمل وغضن النخل  
المرموز به عن السنة وبعدة يأتي المنشي حاملاً طوماراً وشا كلأً  
دواة ثم الحاچب حاملاً عصا الشريعة واناء الضحية وأخيراً يكون  
الكافن رئيس المعبد وكليم الآلهة فهؤلاء الاربعة أصناف من  
الكهنة كانوا يحفظون عن ظهر قلبهم ستة وثلاثين كتاباً من هذه  
القوانين وكان صنف خامس منهم أطباء يسمونهم بستوفوري  
يحفظون ستة من الكتب الباقيه ومن وظائفهم حمل الصنم بهذا  
الطواف . ومجموع هذه الكتب كان عندهم كالتوراة عند اليهود  
والانجيل عند المسيحيين

(٦) ولكننا رغمًا عن ذلك نراهم بهذا الزمان قد أصبحوا يتلمسون  
عذرًا لعبادتهم الأصنام والبهائم بأنها بظاهرها الحسي أكثر تأثيراً  
على عقول العامة وأما الباطن منها فسره في صدور العلماء وهو أن  
الالوهية خالق غير منظور وغير محسوس وهذا عين ما نقله عنهم  
افلاطون بعد ما أتى هليوبوليس لدرس علومهم وما هيأه الأفكار  
لقبول المذهب الناصري أولًا ثم إلى مسخه مصر ياً

(٧) وكان بالاسكندرية معبد مشاد من أربعين سنة أي في عهد  
فيلادلغوس مكرًا لقيريس وبروز بين الإلهتين الخرافيتين كدبر  
للعذاري الطاهرات اللواتي كن بالأعياد يطفن شوارع المدينة  
حاملات سلة مقدسة فشاع بهذا الزمان أن ما يحملنه ضمن السلة لم

يُكَلِّفُ إِلَّا الْحَيَاةَ عَلَيَّ الْحَطَبِيَّةَ الْأُولَى وَالْمَوْتُ وَإِنْ طَهَارَهُنَّ عَيْرَ صَحِيْحَةَ  
فَسَقَطَ اعْتِبَارُ هَذَا الدِّيرَ

(٨) فَبِالْحَمْلَالِ عَرِيَ الدِّينُ الْقَدِيمُ عَلَى هَذَا الْمَوَالِ لَمْ يَبْقَ لِلنَّاسِ مَا يَجْمِعُ  
كُلَّهُمْ أَوْ مَنْ إِلَّا يَسْتَحِيْبُ أَدْعِيَتْهُمْ فَلَمَا سَمِعُوا بِالْأَنْجِيلِ وَمَعْنَاهُ  
«الْبَشَرِيَّ» بَادَرُوا إِلَيْهِ وَتَرَجَّمُوا مِنْهُ أَحَدَ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ بِصُورَةِ لَمْ  
تَكُنْ الْيُونَانِ تَعْتَبِرَهَا وَلَمْ تَصُلِّ إِلَيْنَا لِتُحَكَّمَ بِهَا لَأَنَّهَا ضَاعَتْ بَعْدَ  
الْتَّشَارِ تَرْجِمَةَ الْكِتَابِ بِرْمَتَهُ لِلْغُلَّةِ الْقَبْطِيَّةِ

(٩) وَمِنْ هَذَا الْحِينِ ابْتَدَأَ الْاِنْقَسْمَانُ وَالْخَلْفَ بَيْنَ الْمُسْكِيْحِيِّينَ وَذَلِكَ  
لِأَنَّ أَمْرَجَةَ الْقَبْطِ أَهْلَ الصَّعِيدِ نَسْلُ عَبَادَ ثَيِّبِهِ الْوَرَعِينَ كَانَتْ غَيْرَ  
أَمْرَجَةَ الْأَغْرِيقِ الْمَرَحَّى نَسْلُ عَبَادَ قِيرِيسِ وَبِرْوَزِ بَيْنَ أَوْ بِرْسَوْفِينَ  
فَأَوْلَئِكَ تَعْبُدُوا وَتَقْسِفُوا وَنَسْكُوا وَقَالُوا حَاشَا لِلْمَسِيْحِ أَنْ يُصْلِبَ بِلَ  
شُبُّهِ ذَلِكَ لِلنَّاظِرِيِّينَ وَأَنَّ اللَّهَ رَفَعَ إِلَيْهِ سَالِمًا حَيًّا وَأَوْلَاءَ رَأَوْا بِالْدِينِ  
الْجَدِيدِ مَا يَشْحَدُ قَرِيْحَتْهُمْ عَلَى الْفَلَسْفَةِ فَقَالُوا بِخَلْفَ مَا قَالَهُ الْقَبْطُ  
وَعُدَّ هَذَا الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ كُفَّرًا مِنَ الْطَّرَفِيْنِ

(١٠) وَمِنْ تَرْجِمَةِ الْأَنْجِيلِ لِلْغُلَّةِ الْقَبْطِيَّةِ كَانَ ابْتَدَأَ اسْتِهْمَالُ الْحَرُوفِ  
الْيُونَانِيَّةِ فِيهَا فَصَارَتْ مِنَ الشَّمَالِ لِلْيَمِينِ خَلْفًا لِبَاقِي لِغَاتِ الْمَشْرُقِ  
إِلَّا أَنَّ الْقَبْطَ زَادُوا عَلَى الْحَرُوفِ الْيُونَانِيَّةِ سَتْ صُورَ مِنْ لَغَتِهِمْ  
فَصَارَتْ كَلِّهَا ثَلَاثَيْنِ حَرْفًا وَتَلَكَ الصُّورَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا مُخَارِجٌ يُونَانِيَّةٌ  
هِيَ لِلْبَلْهَرَهُ وَلِلْكَهَرَهُ وَلِلْكَهَرَهُ وَلِلْكَهَرَهُ وَلِلْكَهَرَهُ وَلِلْكَهَرَهُ

الوقت لم يعد استعمال للكتابة الكهنوية سوى بالمعابد الوثنية (١١) وبهذا الزمان كان الفيلسوف المسيحي بنطليوس الأثيني الذي حذى حذو أثيناغوروس وأسس مدرسة الفقه المسيحي بالاسكندرية التي خرج منها بعده بهذا القرن مشاهير العلامة المسيحيين . إنما إذ تكاثر عدد المتصرين بأواخر القرن التالي وجمع أخلاق الناس صار العلم بنظر هذا الجمهور كالكفر والزندة ، والجهالة جلباب المؤمنين وكان بنطليوس أول مبشر بالحبشة بالسيح ويقال بأنه أحضر معه للاسكندرية نسخة عبرية من التحيل الحواري متى عثر عليها عند أحد اليهود المتصرين الذين عرفهم بأسفاره لكنها لا أثر لها الان فلم يوجد من ترجمتها اليونانية لا سبيل للاتفاق على صحته

(١٢) ومن معاصري هذا الاستاذ كان العالم اقليمنس الاسكندرى وقد خلفه برئاسة المدرسة المذكورة وربما انه كان أول من فسر الكتابة الكهنوية بالكلام اليوناني بوجه يقرب من الاكتشافات الحديثة . وله تأليف كثيرة لا يألف فيها من الاستشهاد بأقوال إفلاطون وهذا الصنف من العلامة هو ما تسميه الافرنج افلاطونى والعرب التصوف إذ إن الاعتبار فيه إلى حسن السلوك وصفات الجنان وحصر الجدال بالأعمال لا الأقوال لأن العمل هو نتيجة العقل والجوهر أما القول فنتيجة الحس والعرض

بريتينكس سنة ١٩٤ م ونيجر سنة ١٩٤ م الى ١٩٦

(١٣) وقتل قومودوس خلفه بريتنكس على كرسي روما ولا أثر له في مصر إلا بالنقوش لأنه لم يعش سوى ثلاثة أشهر

(١٤) وكان قومودوس قد استعمل قائداً يدعى بشينيوس نيجر أدي الأسود للمحافظة على الصعيد من تعدي العربان الذين كانوا يسمونهم شرقين<sup>(١)</sup> وكان هذا الرجل عاقلاً حازماً ساهراً على القيام بوظيفته يشارك أفارقه بأعمالهم الزراعية وينعمون من شرب الماء حتى أنه لما حامية أسوان سأله يوماً أن يمدّها بشيء من الماء أجابها بأنّ ما في النيل يكفيها وكذلك لما كانت موقعة مع العربان انهزمت فيها جنوده وشكّت من عدم وجود الماء عندها قال لها ماماً فإن العرب لم يكن لهم خير أيضاً

(١٥) فلما مات بريتنكس كان الأسود واليّاً على سوريا فرفض مبايعة سبتيموس سويروس وأعلن نفسه إمبراطوراً وبايته جنود مصر فلشد جنوده ومشى بها لمحاربة خصمه سويروس في بانوينا من بلاد النمسا الحديثة فالتقى الجيشان في ميزيا على الساحل الجنوبي من بحر مرمرة وقتل الأسود في مدينة قيزقيس التي العرب أخرتها سنة ٦٧٥ م ومحّت أثراها وهي مدينة قديمة كانت على لسان من بحر مرمرة

(١) سرازون باللغات أروبا لا تينيته سرازون

## سبتيموس سويروس سنة ١٩٦ م إلى ٢١١

(١٦) ولما مات الاسود أتى سويروس زائراً مصر واهراماً وثبيه ومعابدها وضحك من عبادة سيرابيس والبهائم فيها ومنح الاسكندرية استقلالها الاداري لأنّه لم يعد يحسب للأغريق حساباً يقلّه بعد انكسار شوكتهم وبني فيها معبداً لإلهة الارض رحبا اليونان واوپس الرومان وحّاماً سماه باسمه

(١٧) وبهذا الزمان هاجر الاستاذ بروقلاوس من نوقراتيس لعدم الراحة فيها من تقلب الأحكام قاصداً اثينا حيث أقام مدرسته وكان يأخذ من الطلبة مائة درهم أي نحو أربع ليرات انكليزية من عملتنا الدارجة مرة واحدة على تعليمه وباتصال هذا الاستاذ من البلد المذكور مستقط رأس اثينايس ويوليوس بولقوس أفل نجم العلوم فيها

(١٨) والمؤرخ الوثني اسبارطيانوس يقول بأن سويروس حرّم على الناس مذاهب اليهود والمسيحيين وأما المؤرخ المسيحي عوزبيوس فيقول بأن اضطهاد المسيحيين بالسنة العاشرة من هذا العهد قد كان فظيعاً جداً في كل أنحاء المملكة وفيها استشهد بالاسكندرية ليونيدس تاركاً سبعة أولاداً كبرهم كان اوريجين الشهير فيها بعد إذ ان الله سبحانه سخر له امراة غنية ربته وعامتة فتشاء نابغة زمانه عالماً باللغة العربية التي لم يكن يوناني يلتفت إليها وتمكن من قراءة

- التوراة بلغتها الأصلية وذلك في مدرسة أقليمنس  
وهما كان من الحدثين فاتنا نعلم بأن الوثنين لم يكرهوا اليهود  
والسيحيين عن غيره دينية بل مجردًا عن أمر سياسي كانوا يخافون  
معه من عصبية اليهود ودعوى المسيحية للمساواة بين الناس
- (١٩) فقال حيئند تروليان القرطاجي إن الامبراطور يرضى من عبادة  
المصريين للهاتم ويغضب من عبادتهم لا إله غير منظور . ولما أغلقت  
مدرسة الاسكندرية ظل اوريجين يعظ بالدين سرًا إلى أن  
انفرجت الازمة فعيّن رئيسًا للمدرسة بأمر المطران ديميتريوس ثم  
اختلف معه واستعفى من وظيفته
- (٢٠) فخلفه بالمدرسة الاستاذ هيراقلاس وبزمانه ابتدأ اقدام الاجانب  
للاسكندرية لدرس هذا الدين ومن جلتهم كان يوليوس الافريقي  
آتياً من فلسطين ليأخذ دينه عن الاسكندرية بدلاً من الجليل  
وانطاكية وهو الذي وضع تاريخه المسيحي مستندًا فيه على تاريخ  
مصر مانيطون وكلها مفقود الآن ولو لا نقل عوزيروس عن الافريقي  
لما عرفنا عنه شيئاً ولا عن مانيطون
- (٢١) وبرهانًا على قصر مصر بهذا الزمان هو أن النقود التي ضربت  
بلاسكندرية بعهد سوريوس كانت كلها من النحاس أو مطالية فضة

## قراءلا سنة ٢١١ م الى ٢١٧

(٢٢) ولما مات سوирوس خلفه ابنه قراءلا وجيكا لكن بوصولها لروما قتل قراءلا أخيه واستبد بالملك وحده وكان قصيراً ضئيلاً وكان اليونان بالاسكندرية قد عرروا سوء خلقه وبلغه بأنهم قد هجوه فلما كان بانطاكيه بعث يخبر أهل الاسكندرية بأنه سيأتي لزيارتهم وليستشير الإله سيرايس باموره

(٢٣) فاستعد القوم لاستقباله بالليةقة والاكرام وهيأوا الاهيا كل لقراينه وبوصوله للبلد دخلها بين المشاعيل والمصايح والزيينة والانعام الموسيقية والروائع العطرية والزهور المثورة وبعد أخذه الراحة قدّم ذيحيته بعده سيرايس وزار ضريح الاسكندر وخلع عليه منطقته الملكية وزناره المخل بالجواهر وخواتمه المثينة فعجب الناس من خشوعه وتقواه وتعشموا خيراً

(٢٤) وإذا كانت المدينة خاصة بالترجفين وزاهية بالملاعب والأفراح ليلاً ونهاراً أمر الامبراطور بأن يجتمعوا له شبان الاغريق بفسحة في ظاهر البلد ليستعرضهم وينتخب منهم فيلقاً وطنياً لها، خرجت الوف منهم واصطفت لاستعراضه يحفهم جهور من أقارب وأصدقاء آتين للفرح معهم بهذا الامتياز فشى الامبراطور بين الصفوف والجموع تهتف له بالنصر والبقاء بينما جنوده الرومانية تحيط بهؤلاء الشبان

عن بعيد ثم بدأت تقدم رويداً رويداً إلى أن دنت منهم وأتمت  
الحلقة عليهم فانسل "قرافلا" من بينهم وباطئاته اشارة للجند صو بوا  
حرابهم نحوهم وصدموهم صدمة من لا يخشى قواداً وأعماوا سيفهم  
بهم حتى صبغ الدم وجه الشاطئ، وامتلاً قعر البحر من الفارين  
وعاد قرافلاً لانطاكية مشتفيًّا من أغريق الاسكندرية. ولكونهم  
عذله على قتله أخيه وضع سيفه الذي قتل به أخيه قربانًا على  
هيكل سيرابيس وأمر بتسكير مراح العابهم وقطع عنهم هدية  
الطعام المعينة لهم من الخراج ومدّ سوراً وسط المدينة يقطعها نصفين  
لزيادة تحصينها منهم إذ أصبحوا هم الأعداء والقطط الأصدقاء ومن  
أعضاء مجلس روما يدين الامبراطور بدينهم ويشيد معبداً لإلهتهم  
ايزيس في وسط روما

مقرينوس سنة ٢١٧ م الى ٢١٨

والاجابلوس سنة ٢١٨ م الى ٢٢٢

(٢٥) ثم إذ كان قرافلاً زاحفًا ضد الأكراد قتله أحد الجندي، يقال  
بدسيسة من رئيس جنوده مقرينوس، فأعلن هذا نفسه حينئذ  
امبراطوراً وطار الخبر لمصر فضررت قوادها باسمه ولكنه بعد  
شهرين انتقض عليه الجندي وقتل، ويقال بأن صاعقة هبّطت عند

موت قرافلاً على هيكل سيراييس ولم تضرّ منه شيئاً سوى سيف  
قرافلا الذي كان هناك فاذابته

(٢٦) ولما مات مقرئينوس بايعت جنود سوريا باسيانوس بن قرافلاً  
وأخذت له بيعة مصر وأخذ هو لقب الاجابلوس أي كاهن معبد إله  
الشمس الفينيقي الأجل وحكم في روما إلى أن انتقض عليه الجنيد  
وقتله سنة ٢٢٢ وفي مذته أفرغت أنابير روما من خراج مصر المخزن  
فيها وتعطل ما كان يراد من اقتصاد سلفه

### اسكيندر سنة ٢٢٢ م إلى ٢٣٥

(٢٧) ولما مات الاجابلوس غير مأسوف عليه، خلفه اسكيندر سويروس  
وكان شاباً لطيفاً حليماً فاستهان به اليونان ولقبوه بالسوري والكافن  
والخاخام

(٢٨) وبهذا الزمان اشتهر الاستاذ الافلاطوني عمونيوس سقاس  
بفزانة عالمه وعقله وصار تعليمه يُعرف بالافلاطونية الجديدة لكنه لم  
يترك لنا من كلامه شيئاً تحكم به سوى شهادة تلامذته بلوتينوس  
وحيرينوس واوريجين الافلاطوني ولونجينوس الذين أخذوا عنه  
أجل الصفات . ومن مدارسهم خرج فيما بعد أولئك اليهود  
الافلاطينيون الذين كادوا أن يدعوا مسيحيين لولا أن مجمع نيقية  
يلعن اليهود وينفرهم من الالتباس لهذا المذهب

(٢٩) وأفضل عاماً هذا الوقت كان اوريجين المسيحي السالف الذكر لكن لأنكاره العذاب المؤبد والصلوة ليسوع أغضب أسقفه وتخلى عن رئاسة المدرسة لتاميذه هيراقلاس وهاجر للقيصرية سنة ٢٣١ ومنها انتقل إلى صور حيث أكرمه السوريون وكان يدحض مذهب مرقيون الذي اخالط بالقرن السادس بالذهب المانوي وهو أن إله الخير نور وإله الشر ظلام وفيه يقول المتنبي ماجناً :  
 وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب  
 (٣٠) وبعد قليل مات المطران وانتُخب هيراقلاس لهذا المنصب وهو لرأى ثقل الوظيفة من عظم انتشار المسيحية في مصر باشر برسم عشرين أسقفًا جديداً لمدن البلاد فصار هو أكبرهم فلقبوه بالبابا أي الأب الأكبر

(٣١) واشتهر بهذا الزمان أيضاً من عاماً الوثيين هيروديان صاحب تاريخ روما من عهد مارقوس اوريليوس وهو زمان قلت مؤرخوه . ولوالله ابولونيوس قبله تأليف عديدة بعلم المنطق

غورديان سنة ٢٣٨ م الى ٢٤٣

(٣٢) ومات اسكندر سويروس تاركاً ايتاليا عرضةً لمطامع القواد فdam التنازع بينهم لسنة ٢٣٨ حيث استقر الامر لغورديان بيوس حفيض غورديان حاكم قرطاجنة . فتلى قيود الاسكندرية لسنة ٢٣٧ باسم

مقسيمن وباسم ابنه مقسيموس وباسم اثنين من آل غورديان  
لسنة ٢٣٨ وباسم مقسيمن ومقسيموس وبليينوس وبليينوس  
نيوس وغورديان لسنة ٢٣٩

(٣٣) ولأن الفرس رأوا تضعضع المملكة الرومانية بهذا الزمان ابتدأوا  
بالتسطي على أملاكها الشرقية فزحف غورديان ضدّهم موقنا بالنصر  
حسبما تعوده الرومان من قبل لكنه فاته بأن جنوده كأخصامه كانوا  
غير أولئك الذين عرفناهم قدّيماً، فلما رأى من جنود الفرس والعرب  
والسوريين أنصارهم المجريين ما لم يكن بالحسبان فانهزم من وجههم  
ويقال بأن قائد جيشه فيليوس قتله، ولم يمض زمان بعد ذلك حتى  
خرجت مصر وبقيت البلاد الشرقية من يد الرومان ليد الفرس  
وكان الفيلسوف باولينوس قد ترك مدرسة الاسكندرية ذاهباً بعية  
الجيش الروماني ليدخل بلاد فارس ويكتشف على علومهم لكنه لما  
رأى فشل الرومان نجحى بنجاحه إلى إيطالية بعد مشقة عظيمة ومنها  
انتقل إلى روما حيث أخذ بتدرّيس الفلسفة الإلّاطونية

فيليوس سنة ٢٤٣ م إلى ٢٤٩

(٣٤) وأكل الحكم إلى فيليوس فضررت الإسكندرية تفودها باسمه  
وكان أصله عريياً من بصره ويذهب البعض إلى أنه كان مسيحيّاً  
ولما تطعنه أهل الدانوب أرسل عليهم القائد ديفيروس، لكن هذا

انتقض عليه سنة ٢٤٩ وأعلن نفسه امبراطوراً فشي فيليبوس ضده  
وتلاقيا بالقرب من ويرونا على بعد اثنين وسبعين ميلاً من وينيس  
فانكسر فيليبوس وانتقض عليه جنده فذهبوا واستقر الملك لخصمه

## الفصل السادس

سنة ٢٤٩ م الى ٣٢٣

ديقيوس . غالوس . واليريان . غيليانوس (عصيان)  
 قلوديוס . اورييليان (عصيان) طاقيطوس . بروبوس  
 (عصيان) قاروس . ديوقلتيان . (عصيان الكبير)  
 غاليريوس . ليقينيوس

ديقيوس سنة ٢٤٩ م الى ٢٥١

- (١) وكان اضطهاد المسيحيين مستمراً لهذا الزمان لا لغيرة دينية بل  
 كما قلنا قبلاً لغرض سياسي وهو الخوف من أن المسيحية بدعواها  
 إلى المساواة تنقض سيادة الرومان والاغريق على الشرقيين فكانت  
 بنظرهم مزعزة للأحكام ومحركة للعصيان كالكومونيسم بهذا الزمان  
 (٢) فلما توالت السعيات بهم لحاكم الاسكندرية اميليانوس بمحجة  
 إفسادهم أخلاق المصريين أخذ باضطهادهم فهرب منهم كثيرون  
 للصحراء وطور سيناء حيث صاروا غنيمة باردة للعربان ولكن

أكثراً أنكروا دينهم ليتخلصوا من العذاب وكان من جملة الفارين ديونيسيوس أسقف الاسكندرية . ثم ان اميليانوس مات فعاد الأسقف لكرسيه ولما ذاك الجمهور الذي أخفى دينه أراد الرجوع للكنيسة وقبل الأسقف توبتهم ، اعترض عليه بعض المسيحيين البعيدين عن الاسكندرية وجورحاً كهوا وشكوه لأسقف روما فشذ هذا أساقفة الملة ليفتوا بالخلاف فحكموا ديونيسيوس مصوّبين رأيه .

(٣) وكان ديونيسيوس خليلاً لهرقلاتس برئاسة المدرسة أولًا ثم بالأسقفية ومن كتبه العديدة نفهم مذهبه بالشلثيث ردًا على من ذهب إلى أن الأقانيم هي ثانية ومن قال إنها ثلاثة وعلى مذهب بولس أسقف ساموسطا على الفرات بأن الكلمة والروح القدس هما صفتان لفعل صادر من الأزل لا اقnonمان ميزان عنه . ومذهب ساينيليوس أسقف بطليموس بالقرب من القبور بأن الإله واحد أحد وهو نفسه الظاهر بصورة يسوع .

واليريان سنة ٢٥٣ م إلى ٢٦٠

(٤) وخلف ديفيروس غالوس وهذا خلفه اميليوس اميليانوس . ثم انتقل الملك إلى واليريان سنة ٢٥٣ لكنه تبادل هذه الانقلابات السياسية من عهد سويروس للآن مما نتج منها من القلق والاضطهاد لم

يُكَلِّنُ لِيَتَرَكُ غَيْرَ تَأْثِيرٍ سَيِّئٍ عَلَى حَالَةِ مَصْرِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ فَإِنَّا نَرَى  
حَرَكَةَ تَجَارَتِهَا وَصَنَاعَتِهَا قَدْ تَوَقَّتْتُ وَعَمَالُهَا افْتَرَتْ وَجَاعَتْ وَاجْتَحَفَ  
الْوَيَّابَ نَصْفَ سَكَانِهَا

(٥) وَكَانَ الْقَسْمُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَلْكَةِ الرَّمَانِ مَتَرْوَكًا بِالسَّنِينِ الْآخِيرَةِ  
لِعَهْدَةِ أُودِينَاطُوسَ السُّورِيِّ مَلِكِ تَدْمِرِ الَّذِي بِحُكْمِهِ وَحْسَنِ تَدْبِيرِهِ  
رَفَعَ شَطْرَهُ بَعْدَةَ قَصِيرَةَ لِدَرْجَةِ الْمَالِكِ الْعَظِيمِ وَوَقَّعَ الْبَلَادُ مِنْ تَعْدِيِ  
الْفَرَسِ، فَلَمَّا آتَى الْحُكْمَ إِلَى غِلِيَانُوسَ بْنَ وَالِيرِيَّانِ وَكَانَ مِنْهُمَا  
بِلَذَّاتِهِ وَشَهْوَاتِهِ لَمْ يَرَ بَدًّا مِنْ التَّخَذُلِ أُودِينَاطُوسَ شَرِيكًا لَهُ فِي الْمَلَكِ

(٦) لَا سِيَّما وَانْ الْحَبْرَ بِهِ وَالِيرِيَّانَ عَلَى يَدِ سَابُورِ مَلِكِ الْفَرَسِ  
كَانَ قَدْ زَعَزَعَ أَرْكَانَ الْمَلْكَةِ وَصَارَتْ كُلُّ وَلَايَةٍ تَبَاعِ حَاكِمَهَا.  
فَجُنُودُ سُورِيَّةِ بِاِيَّتِهِ قَائِدُهَا مَقْرِيَانُوسُ امْبَاطُورًا عَلَى الْمَشْرُقِ  
وَتَبَعَّتْهَا جُنُودُ مَصْرِ، وَكَانَ شِيخًا كَبِيرًا السِّنِّ فَأَشْرَكَ ابْنِيَهِ مَقْرِيَانُوسَ  
الْأَصْغَرَ وَقِيَّوسَ مَعَهُ بِالْمَلَكِ. وَضَرَبَتِ الْإِسْكِنْدَرِيَّةُ تَقْوِدُهَا بِاسْمِهِمْ  
مَدْةَ سَنِينَ مِنَ الزَّمَانِ لَكُنْهُمْ قَتَلُوا ثَلَاثَتِهِمْ لَا أَقِيْدَةَ لَهُمْ دُومِيَّانُوسُ  
قَائِدًا جَيُوشَ أُورِيلِيوسَ امْبَاطُورَ الْبِلَاقَانِ وَطَرَقَ سُورِيَّةَ بِمَسَاعِدِهِ  
جَيُوشَ أُودِينَاطُوسَ

غِلِيَانُوسَ سَنَةُ ٢٦٠ مَ إِلَى ٢٦٨

(٧) وَعِنْدَ مَوْتِ وَالِيرِيَّانِ خَلَفَهُ ابْنُهُ غِلِيَانُوسُ عَلَى كُوسِيِّ رُومَا. وَكَانَ

حينئذ حاكم الاسكندرية اميليانوس، فيوماً ما ضربت الجنود خادماً له يونانيًا لأنه قال لهم بأن حذاءه أحسن من أحذيةتهم فتجمهر الأغريق حوالي قصره يشكون من تمدي الجندي ورشقوا نوافذه بالحجارة لكنه لم يعبأ بهم بل استدعى الجندي لكتفهم فشمت الجندي بالاغريق وصاحت باسم الحاكم امبراطوراً

(٨) وبأيته بقية جنود مصر فأعلن نفسه امبراطوراً باسم اسكندر وأظهر حزماً فائقاً بسياسة البلاد وأراح ثيبي من تسفي العربان وقطع الخراج عن روما لكن بعد قليل حضر القائد تيودوتوس بجنود غليانوس وحاصره بالبروخيوم إلى أن ظفر به فأنماه خنقاً

(٩) وكان هذا الحصار طويلاً بذل بثنائه روساء المسيحيين وسعهم لتخفييف بلايا الحرب فعلى طلبهم أذن تيودوتوس لغير المحاربين بالخروج من البروخيوم وكان أحدهم عوزيبيوس الذي صار فيما بعد أسطقراً على انطاكية، يتوجول بالخنادق لاغاثة المجرحى، وأحدهم أناطوليوس يسعى داخل الحصن بالصلح حقنًا للدماء

(١٠) وكان واليريان قد أظهر أولاً رفقه بال المسيحيين إلى أن لوه حماقة الأغريق عن عزمه فعاد إلى اضطهادهم، أما غليانوس فإنه لشعوره بضعف الملكة حينئذ ونظره كثرة المسيحيين والاعتبار الذي لهم بالبلاد رأى الترفق بهم أولى فأكرم أساقتهم كرؤساء دينيين

محترمين من الدولة فتحسنت إذ ذاك حالة المسيحيين للدرجة لم تعهد  
من قبل

(١١) وعاد الأسقف ديونيسيوس لكرسيه فرأى الاسكندرية كالجنة  
من أثر الحصار والطرقات مملوءة من جثث ضحايا الجوع والوباء  
رغمًا عن اهتمام المسيحيين بدفن الموتى وعيادة المصابين غير مبالين  
بالعدوى التي ذهبت بكثيرين منهم ضحية مروءتهم وتقواهم

(١٢) ولقصر مدة مقرنيوس واميليانوس واضطراب الاسكندرية لم  
تضرب بها نقود باسم أحد منهما بل ظلت باسم غليانوس كشريك  
والده أولاً ثم كامبراطور واوديناطوس شريكًا له

(١٣) وباثناء هذه الحوادث تقهقرت مدارس الاسكندرية من  
مسيحية وغيرها علمًا وعملاً ما عدا مدرسة أنطوليوس المذكور  
بحصار البروخيوم الذي كان يميل إلى فلسفة أرسطو وله كتابات  
في الرياضيات ويعاد الفصح وصار فيها بعد أسفه على انتهاكية بعد  
عوزيروس فانها كانت محظوظة هذه الفلسفة بينما عونيوس الوثني كان  
يفضل فلسفة أفلاطون (١)

(١٤) وبهذا الوقت كتب نيكوس أحد أساقفة مصر ردًا على قول  
الزاعمين بأن لقصص التوراة رموزًا روحانية واستشهد بكتاب الوحي ✓

(١) والفرق بينهما أن أرسطو كان دهريًّا وأفلاطون الهيئيًّا

فأجابهُ رئيس الأساقفة ديونيسيوس بأنَّ كتاب الوحي المنسوب إلى الحواري يوحنا ليس له فلا يُسْتَشَهِدُ به، على أنَّ كثيرين يعزوونه إلى قيرنطوس الغنوسيطِيَّ (١) لما فيه من المشابهة لأقواله وثُوقي ديونيسيوس سنة ٢٦٥ ولُكْبِر سنه لم يحضر مجمع انطاكية الذي حُكِمَ على بولس من سامو سطه بالكفر.

(١٥) ومن عامَاء هذا الزمان الوثنيين كان الاستاذ بورفيريوس الأفلاطوني تلميذ بلوتينوس وخالف عمونيوس له تاريخ مفید جداً عن زمان البطالسة، وغيره بالفلسفة المصرية وكتب طوط ونفاستها وكتاب في الطريق المؤدي للسعادة الحقيقية

(١٦) ولمَّا كان أوديناطوس بقيد الحياة كانت هيئته ساطيةً على الفرس أعداء الرومان لكنه إذ قُتل غيلة مع ابنه هيرودوس سنة ٢٦٦ واستلمت أرملته زينوبيا زمام الملك فقدت الملكة حسن تدبيره ورأيه فلم تستتم الأمور بين الملكة وغليانوس ولما أرسل جنوده ضدها هزمتهم، وإذ مات هو سنة ٢٦٨ رحفلت على مصر مدعيةً أنها من نسل قلاو فطرا وان البلاد إرث لها ولولديها هيرينوس وتيولاوس

(١٧) فكان أمير جيشها زبده وانضمَّ إليه القائد المصري تيوجين

(١) غنوسيطِيَّ هو ما نسميه «العارف بالله» وضدُّه الغنوسيطِيَّ أي الكافر

و معهم من العرب والسوريين سبعون الفاً فلاقاهم القائد الروماني  
بروباتوس بخمسين الف و هزمهم لكنه باثناء القتال رأى بعض  
جنوده تردد فظن بأنها تهرب من العدو و لعظم تأثيره من جيانتها  
قتل نفسه

## قلوديوس سنة ٢٦٨ م إلى

(١٨) فا فقدت مصر حيش ذي لرأي روما و بايكت قلوديوس و ضربت  
الاسكندرية تقدوها باسمه

## زيونوبيا سنة ٢٧٠

(١٩) و مات قلوديوس سنة ٢٧٠ و خلفه أخوه قسطيلوس لكنه هذا  
مات أيضاً بعد سبعة عشر يوماً فاغتتلت زيونوبيا هذه الفرصة  
وزاحت ثانية على مصر و امتلكتها فضربت الاسكندرية التقدود  
باسمها و ازدانت تدمر بستاب مصر ولم تزل تُرى فيها ثمانية أسطoirin  
من رخام مصر السماقي طول كل منها ثلاثة قدمات كانت قد ياماً قائمة  
امام بابي معبدها الكبير

(٢٠) وكانت زيونوبيا امرأةً جميلة المنظر سمراء عيناء قنواة الانف لها  
صوت كصوت الرجال نقيه العرض لاكتسبيتها قلاؤفطرا وكانت  
تتكلم بلغة الرومان ولغة الاغريق التي كانت لغة دولتها الرسمية ولغة

القبط عدا لغتها السريانية، وكانت يعيشها وبالاطها تجمع بين عظمة ملوك الفرس واقتصاد البداوة. فمثلها امرأة ومثل حزمنها جعل الناس بذلك الزمان أن يعجبوا من رجل كغليانوس ضعيف العزم وامرأة تسوس نصف الملكة بعزم وحزم الأبطال

✓ (٢١) وجعلت زينوبيا انطاكية وباميرها عاصمي مملكتها، احدها لمقام الصيف والأخرى لمقام الشتاء وتركت مصر ولاية تابعة لملكتها وكان دينها كلغتها سوريا صريحاً، فان اسم زوجها معناه بغية الالاهة ادونيسيط واسم ابنتها وبعلاطوس معناه بغية الاله بعل، وبما أن الكثير من جيشها كان من العرب افتخرت بانتصارهم عربان الصعيد وأصبحت أصعب انتياداً للاغريق وأعلى أنفاقاً

اوريليان سنة ٢٧٠ م الى ٢٧٥

(٢٢) لكن بجلوس اوريليان على كرسي روما نراه أولاً راضياً أن تكون زينوبيا شريكة له بالملك فضررت الاسكندرية تقدوها بصورته من جهة وصورتها من الجهة الأخرى لكنه ما لبث قليلاً حتى اختلف معها فاربها بمحض وأسرها وحملها إلى روما مكرماً مثواها إلى أن ماتت بعد أن كانت الملكة أربع سنين في تدمر وبضع أشهر في مصر

(٢٣) وترك اوريليان مصر لحكم ابنتها وبعلاطوس وضررت

الاسكندرية تقودها بتلك السنة بصورة اورييليان من جهة لأول سنة من جلوسه بصورة وبلاطوس من الجهة الأخرى للسنة الرابعة من ملكه كانه يعد سفي ملكه من موت أبيه . أما اسمه عند اليونان فهو أثينودوروس والتاريخ لا يذكر لنا قبل الآن ولذا بهذا الاسم لاوديناطوس

(٢٤) ولما كانت سنة ٢٧١ استبد وبلاطوس بالملك وأسقط اسم اورييليان من تقد مصر وأخذ لقب اغسطس فكان ذلك سبباً لسقوطه وموته وبه افترض نسل زينوبية بالشرق

(٢٥) وعادت مصر لحكم اورييليان لكنها لما كانت قد اعتادت على المصيان لم ترضخ لسلطته طويلاً لا سيما وأن اليونان كانوا قد قلّوا وذلّوا والمصريين والعرب قد زادوا وعزّوا بانتصار زينوبية فأنفروا أن يحكمهم غريب عنهم فباعوا رجلاً من سلفكيه يُسمى فرموس على الأمرة وهو اتكللاً على قوم كان قد مضى عليهم ستمائة سنة بالعبودية والهوان طمع أن ينال بهم سلطنة الاسكندرية

(٢٦) وكان فرموس رجلاً قوي الحاش هاماً عظيم الثروة من وراء تجارة واسعة مع الهند وصناعة الورق ، وداره في سلفكيه من أجل دور ذلك الزمان مزينة كواتها بالزجاج الملون الحكم التركيب بالحمر إلا أنه كان فظلاً جافياً غليظاً وكانت قوته بربان الصعيد والبدو أنصار زينوبية فحمل عاصمه قبطوس ولما جاءه اورييليان يحاربه خاض

الممعنة مع رجاله لكنه أخذ أسيراً وفرق جنوده فأمر اورييليان بتعذيبه وقتلها، ولأن روما كانت بوجل لثلاً يفوتها خراج مصر من الحبوب بعث لها اورييليان بشائر انتصاره بسرعة لطمأن

(٢٧) ويظهر من تاريخ الرومان بأن اورييليان قتل قائداً في مصر يسمى دوميتيانوس أما وجود البعض من قواد الاسكندرية باسم دوميتيانوس لسنة الثالثة من ملكه فلا علم لنا من هو إلا أن يكون رجلاً آخر بهذا الاسم لا سيما وأن كتابة هذه التقويد هي بالحرف اللاتيني الذي لم يكن دارجاً بالاسكندرية بذاك الزمان ، والتقويد التي باسم اورييليات ترى غير منقطعة سنة بعد سنة من موت قلوديوس لسنة ٢٧٥ وكلاها من النحاس تبرهن عن افتقار البلاد التي كانت روما لا تنفك عن استنزاف ثروتها

(٢٨) وأقام اورييليان القائد بروبوس حاكماً على مصر وكان رجلاً حازماً هابه الأفريقيون بالقيروان والعرب والسوريون بتدمر وبأوان السلم كان يشغل جنوده بترميم الترع والقناطر والمعابد . وفي مدة ولايته زاد اورييليان نصف السدس بخراج الحبوب عدا ما زاده بخراج الزجاج والقرطاس والكتان حتى انه اضطر لزيادة المراكب لنقلها الى روما

(٢٩) أما المسيحيون فكانوا بهذا الزمان بأتم الراحة والطهان حتى ان البطريرك نير وتجاسر على بناء كنيسة بالاسكندرية باسم القديسة

مریم وربا انها كانت أول كنيسة رسمية بُنيت في مصر وكانت الصلة فيها كما في سائر البلاد لذك الحين باللغة اليونانية إلى أن افترق القبط عن اليونان وصاروا يصلون بلغتهم

(٣٠) ومات اوريlian ولم يوص فقامت أرملته بادارة المملكة بصورة وقىست لأن القانون الروماني عسكري لا يسمح بالملك للنساء . أما الاسكندرية فانها ضربت حينئذ تقدوها باسم الامبراطورة سويرينا

پروپوس سنة ٢٧٦ م الى ٢٨٣

(٣١) وفي سنة ٢٧٦ لما انتخبت روما تاسيطوس امبراطوراً ضربت الاسكندرية النقود باسمه على ستة أشهر وكان هذا حد ذكره بها

(٣٢) ومات تاسيطوس وخلفه أخوه فلوريان وبايته روما، أما مصر فانها كانت تريد حاكمها پروپوس امبراطوراً وهو لا يرضي إلى أن وهو يستعرض الجندي في أحد الأيام خطف بعضهم جبة حمراء عن ضم هناك ورمها على ظهر پروپوس فخاذه الجندي بالامبراطورية ثم ثبوا دعوته في اسيا الصغرى وسورية وإيطاليا فبايته جنود هذه البلاد أيضاً وقتل فلوريان وبعد قليل مشى پروپوس بجيشه لبلاد الفال وجرمانيا لتوطيد السلم

(٣٣) لكنه بعد سنة أو سنتين إذ بلغه تعدى العربان على الصعيد واحتلتهم البطلية عاصمة أرض ثيبة عاد إلى مصر فردهم ونكّل بهم

وبابايه إلى روما دخلها بصفة غازٍ برهاناً على أن انتصاره كان أمراً خطيراً

(٣٤) وكان اوريليان قد أقام أيضاً القائد ساطورينوس محافظاً على الحدود الشرقية محرّماً عليه دخول أرض مصر لكنَّ پروبوس لأنهما كه بأطراف المملكة دعاه لولاية مصر وكان رجلاً شريعاً للغاية شهيراً بخدمته للملكة في إسبانيا والغال وافريقيا فدخل الاسكندرية بجيش كبير فطاش اليونان من رؤية موكيه وسلّموا عليه امبراطوراً باسم أغسطسوس أما هو فأنكر ذلك، ولقطع الأسباب رحل عنهم بجنوده إلى فلسطين لكنَّ إذ بلغه انتشار الخبر ووقوعه تحت الشبهة خاف أن يُغدر به فأعلن نفسه امبراطوراً ثمَّ بعد قليل طرقته جنود پروبوس فوقع أسيراً ومات خنقاً خلافاً لقصد پروبوس ورغبته

(٣٥) ولما توفي پروبوس سنة ٢٨٣ قام بالسلطة قاروس وإبناه نوميرانوس وقارينوس وأثرهم الوحيد في مصر كان التقد المضروبة باسمائهم بالاسكندرية وبعض تقد هذا الزمان كان أيضاً باسم فيلق تراجان الثاني المصري الذي كان مقيماً على الدوام بالاسكندرية وكانت له الرخصة بضرب ما يلزمها من التقد لحاجته فكان يضر بها صحيحة بينما تقد البلاد كانت كلها مغشوشة

عصيان وفوضى سنة ٢٨٣ م إلى سنة ٢٨٥

ديوقليتيان سنة ٢٨٥ م إلى ٣٠٥

(٣٦) ثم آلت الحكم إلى ديوقليتيان سنة ٢٨٥ لكن سنة ٢٨٨ خلع الصعيد طاعته وبایع أخْوَسَ امبراطوراً شرقياً. فبعث ديوقليتيان القائد غاليريوس ضدَّه وما لم يقدر على تطويق العصاة حضر ديوقليتيان بنفسه سنة ٢٩٢ فدُوخهم ولحقهم إلى قسطنطين وبوسيريس فهدمهما

(٣٧) ولما بلغ حدود مصر الجنوبيَّة رأى أنه من العبث دوام التشتت بالسودان، والخارج منها لا يفي ببنقة جبایته، فصالح البلاد التي بين الشلال الأول والثاني تاركاً لهم ما كان من أرض التوبه على سبعين ميلًا من أسوان ومتعدداً بأمدادهم يبلغ سنويًّا ماداموا محافظين مع جيرانهم عربان الصعيد على السلم. ثم أحكم تحصين حدوده الجديدة بالفليَّة ولم ينزل أثر سوده بطرف المقول من حافة النيل الشرقيَّة شمالي الشلال ظاهراً للآن

(٣٨) لكن لسبب ضعف العنصر اليوناني بالبلاد بذاك الزمان مع ازدياد حمية المصريين وكرههم للدولة لم تلبث الاسكندرية إلا قليلاً حتى هي أيضاً بايعت أخْوَسَ فاضطر ديوقليتيان أن يعود ثانية

لصر وامتنعت عنه الاسكندرية فحاصرها ثانية أشهر ثم دخلها وقبض على أخلوس وقتله واحترق قسم كبير من المدينة وبدخوله للاسكندرية سكم فيه فرسه فتفاءل من ذلك وظن أنه يفدي نفسه باستعمال الرحمة خرّم على جنوده القتل والسلب وأعطى الناس الأمان فشكروه على إحسانه ثم نصبووا له ولفرسه تمثلاً من القلّاع على العمود المعروف بعمود بومي بساحة معبد سيرابيس وكتبوا على قاعدته ما نقرأه الآت «إلى الامبراطور العظيم راحم الاسكندرية ديوقليتيان المنصور» أما المثال فلم يبق له أثر الآن

- (٣٩) ولما كان تماذياً العصيان قد طال ورأى ديوقليتيان بأن نفقات الحرب لم تعجز المصريين ظن بأن لهم سرّاً بتحويل المعادن الخصيصة إلى ذهب وفضة فأمر بجمع كتب السحر والكيمياء التي عندهم وأحرقها . إنما حقيقة الأمر هي أن اليأس وحده كان السر في هذا الجلد الطويل وهو الذي أدى أخيراً إلى خراب البلاد التام من توقف التجارة بالنيل وتعطل الزراعة والصناعة لعدّ لم تكن مصر تعرفه من زمان احتلال الفرس لاسيما وإنها كانت بالستين الستين الأخيرة قد عصت على روما ست مرات وقلّ فيها العنصر اليوناني واعتزل ألف عديدة من القبط رجال ونساء بالاديرة من جراء عدم الامن وضيق المعيشة
- (٤٠) فلتفوّية العنصر اليوناني رأى ديوقليتيان أن يزيد بالاحسان

لقارائهم من خراج الحبوب فأُتت النتيجة بخلاف القصد لأنهم أخذوا حينئذ إلى البطالة وزادوا ثُمّاً على اليهود والمصريين وتسافهوا على الحكم وكانوا الأدنى سبب يتجهرون ويثيرون الشعب والفتنة بالمدية مشهرين سلاحهم بوجه اليهود والمصريين الذين لم يكن جائز لهم حمل السلاح ولا اقتتاله

(٤١) ثم انه الذى رخصة ضرب النقود المصرية وأبدلها بالنقود الرومانية فانقضى بذلك عهد تلك النقود التي كانت بنفسها كتاباً مفتوحاً للتاريخ وقد جمعها العالم سويفاً بكتابه المسمى « نومي اجيبي امبراطوري » أي أسماء امبراطورات مصر

(٤٢) ومن أشنع حوادث هذا الزمان كان اضطهاد ديوقليتian للمسيحيين ، فإنه سنة ٣٠٤ حرم على الناس اتباع هذا الدين بسائر المملكة وهدم الكنائس وأمر بحرق كتبها ونفي أو قتل من تمسك بهذا الدين ، فكثيرون من المسيحيين هاجروا لسوريا ولكن العدد الأكبر كان يستحيل عليه أن يهاجر أو أن يقاوم فاستشهد منهم كثيرون إلا أن يكون المؤرخون الكنائسيون قد بالغوا بما نقلوا عن عدد هؤلاء الشهداء

(٤٣) ولكن لا يمكن إلا تصديق المؤرخ عوزبيوس الذي يخبرنا بما رأه بعينه من الاعدام يوم واحد قتلاً وحرقاً حتى كُلّ الجلادون وذابت قلوب القضاة من الشفقة على هؤلاء المساكين وينهم كثيرون

من أهل العلم والشرف والمال كبطرس أسقف الاسكندرية وكتبه فوستوس ودايوس وعمونيوس والعالم فيلياس أسقف طمويس وحزقيايوس جامع القاوس الرومي وناقل الكتاب السبعيني والاسقفين باخوميوس وتيودوروس ووكيل الخراج فيلوروموس الخطير المنصب الذي العرض

(٤٤) اما بعض المستشهادين كعيديسيوس الذي شتم القاضي ورد نصيحته بالخلفاء واطمئنه على وجهه ففعله هذا بحد ذاته يستوجب القتل في مثل هذه الظروف

(٤٥) وكان المؤذجون بتنفيذ هذا الامر السلطاني الشنيع قوليانوس حاكم مقاطعة ثيبة وهيروفلايس حاكم الاسكندرية مؤلف الكتاب المسمى فيلا ليتيس أي محب الحقيقة نعرفه فقط من رد عوزيروس عليه وفيه يكذب الحواريين ويزعم بأن المعجزات المنشورة عن ابوالونيوس هي أصدق خبراً وأعظم خطرأً من المزعوة ليسوع الناصري

(٤٦) فكان هذا الاضطهاد أشد ما عرفه المسيحيون من الرومان ومع ذلك فاننا نراهم سنة ٣٠٥ م مهتمين بانتخاب اسقف جديد للاسكندرية وينهم الكاهن اريوس الذي اشتهر فيما بعد اشتهرًا سيئًا بالتاريخ الكنائسي

(٤٧) ولما في سنة ٣٠٥ تنازل ديوقليتيان عن كرسي روما ، استولى (٩)

غاليريوس على مصر وباقى مملكة الشرق واستولى قسطنطين  
خلوروس على مملكة اروبا فغاليريوس ترقق نوعاً ما باليسريين  
اولاً

### مقسيمن سنة ٣٠٥ م الى ٣١٢

(٤٨) ويُعرف غاليريوس بمقسيمن ثم انه أعاد الاضطهاد على المسيحيين  
وأخذ الجوايس ضد هم فكثرة الشياطن والسعيات واشتبه الجار  
بالجار وصارت الناس تطلب من الحكام ابعاد كنائس المسيحيين  
لوراء اسوار المدن . واذ صار علماء الهيئة يُورخون السنين من عهد  
ديوقليتیان سُمیَ المسيحيون ذاك العصر عصر الشهداء

(٤٩) واذ كان لا بد من وجود كثيرين من المسيحيين من كتموا  
دينهم وقت الاضطهاد فانهم عند اكتشاف الازمة أرادوا الرجوع  
لكنائسهم خصل ضدهم ما حصل في عهد ديقيوس وكان من  
أشد أخصامهم أحد أساقفة الصعيد المسئي ملاطيوس لكنه باقي  
الأساقفة والجمهور كانوا على قبول توبتهم وأما أصر على رأيه كفروه  
وطردوه وحزبه من الكنيسة الجامعة

(٥٠) لكنه لشدة رفضه ظل يترقب مسيحيّاً يجرحه فسمع بأن اريوس  
كان كنيسة البقاله ي تعرض على القول بالوهية يسوع فشكاه  
للاسقف واضطرب هذا الى مرافعته فهرب منه الى فلسطين وظل

هناك إلى أن دعاه مجمع نيقا ( وهي الآن ازنيق ) بالعهد التالي لمثل هذه المرافة

(٥١) وبهذا الزمان وما كان فيه من احتطاط اليونان مادياً وأديياً واضطربت البلاد المتواли شاعت عبادة مترا ، إله الشمس الفارسي ، بالاسكندرية وكان مثاله كشاب ينحر عجلًا ويجانبه كلب وحية وكان معبده المسماً مترايوم بصرح آباء بلاد بمكان قذر . وشاع أيضًا مذهب ماني الفارسي بواسطة تلامذته پاپوسن وهرمز وهو ان إله الخير من نور وإله الشر من ظلام

(٥٢) ولهمج الناس كثيراً بذهب هيرافاس القبطي بأن الأجسام لا تُبعث بل الأرواح فقط فيّ السريحيين الذين كانوا يستندون بيقينهم بالبعث على يقين المصريين وتخفيطهم موتاهم من الفي سنة

(٥٣) وبهذا الزمان كان تعويل السريحيين المصريين على النقل السبعيني المصحح من حزقياوس الاسقف المستشهد بالعهد السالف ولشهرة الاسكندرية العلمية كانت الكنائس البعيدة تطلب هذا النقل منها ما عدا القسطنطينية وانطاكية فان اعتمادها كان على نقل لوقياوس وفلسطين أيضًا التي كانت تعتمد على نقل اوريجين القديم ولكن فيما بعد صار نقل حزقياوس الاكثر استعمالاً الا انه لتفنن النسخ فيه وتعليقهم عليه الحواشي صار التابعون يعتبرونها كالأصل

كما فعل قبلهم اليهود بنقل التوراة فأُتت الترجمة اللاتينية منه أكبر من أصلها اليوناني

(٥٤) وبهذا الزمان أيضًا ترجم القبط النص السبعيني لغاتهم المئفية والصعيدية والبشمورية حرفاً بحرف من اليوناني لا بل إن كل كتابة من خص منه كانت يونانية

ليقينوس سنة ٣١٣ م إلى ٣٢٢

(٥٥) ولما مات مقيمين بطرسوس على يد ليقينوس خلفه هذا على مملكة الشرق ودخلت أروبا في حكم قسطنطين بن قسطنطيوس وبالعشرين الأولى كان قسطنطين يحاول الغدر بليقينوس إلى أن ضاق صدر هذا منه فزحف ضده إلى تراسيا بمائة وخمسين ألفاً من الماشة وخمسة عشر ألفاً من الفرسان وثلاثمائة وخمسين مركباً لكنه اضطرّ فيما بعد إلى المهادنة وطلب الصلح فلم يرض منه قسطنطين إلا التسليم ضامنًا له الحياة فسلم له على هذا الشرط ثم ان قسطنطين غدر به وأماته شنقاً فعادت المملكة كلها بيد إمبراطور واحد

## الفصل السابع

سنة ٣٢٣ م الى ٣٧٨

قسطنطين . ابنه قسطنطيوس . يوليان . يوبيان . والننس

قسطنطين سنة ٣٢٣ م الى ٣٣٧

(١) يمتاز حكم هذا الامبراطور عن غيره بالانقلاب العظيم الذي حصل فيه بدين المملكة وهيئتها عند تنصيره سنة ٣٢٣ ، فان اضطهاد المسيحيين قد توقف بالحال واعفيت كنيتهم من كل التكاليف الملكية والعسكرية . أما تنصيره فغير معلوم ان كان عن اقتناع أم سياسة ، اما المعلوم هو ان المسيحية لم تصل لكرسي الملك حتى كانت دين الاكابر والاغنياء فيه وبعد أن رأيناها تبوء وتعلو تحت الاهانة والجحود من الحكام سررها الآن وسيلة لقرب منهم والتزلف لهم فان كثيرين اعتنقوا الدين الجديد عند تنصير الملك ولما يدخل اليهان في قلوبهم واصبحت الاغلبيه المصريه منهم تقدر أن تصنف الاقلية اليونانية من هذا الدين بالكفر كما سبق للفئة اليونانية عينها مع الفئة اليهودية المتنصّرة قبلها

(٢) أما تنصر اليونان بالاسكندرية فإنه كان أولاً من نوع الفلاسفة وليس عن اقتئاع بدور ربانى، كما انهم بدخولهم مصر مع الاسكندر تركوا مذهبهم ومعابدهم في نوقراطيس واتبعوا أديان سيرابيس وميترى، ثم صاروا يضطربون منها إلى أن شاعت بينهم فلسفة افلاطون التي هيأت أفكارهم المسيحية. وقبل تنصر قسطنطين كانت المسيحية قد عمّت كل بلاد مصر، وترتيب كنائسها كان قد تم تقريرياً على ما نراه الآن. فلزمان هيراقلاس وديونيسيوس كانت الكهنة تتنتخب الأساقفة والشمامسة تتنتخب الكهنة فديونيسيوس كان يصدر بلاغاته الأسقافية باسمه وأسماء كهنة أبرشيته لكن بعد ذلك تغير هذا الحال إلى الاستبداد ولما القى قسطنطين جلبه على رؤساء الكنيسة كثير منهم زادوا على امتيازهم الكبيراء والبخل وحب الجاه

(٣) فلعبت بهم الأهواء النفسانية وابتداأت الاقسامات الكنائسية وانفصمت عرى ذلك الاتحاد الذي كان الاختطاب يربطهم فيه. فان قسطنطين كان قد آمن اما بالوهية يسوع واما برسالته ولكننه اذ صار يسأل أساقفة الاسكندرية عن مذهبهم بصفة ملك الحب والرحمة وجدهم يتلاعنون ويتشاخنون فيما بينهم على آرائهم فيه بعيدين عن مبادئ ذلك الشارع الوديع الحنون

(٤) ومن وجود مصر زماناً طويلاً برق العبودية لليونان والرومان فانها كانت قد وتم بالدين أولاً وأخراً وفيها نشأ الاقسام بين

فَتَذَهَّبُ إِلَى أَنْ يَسْوَعَ الْابْنَ هُوَ مِنْ جُوْهِرٍ وَاحِدٍ مَعَ الْآبِ .  
 وَفَتَّةٌ تَذَهَّبُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ جُوْهِرٍ يَأْتِيهِ يَوْمًا هَذَا الْبَحْثُ لَمْ يَكُنْ قَدْ  
 خَطَرَ بِفَكْرِ الْعَالَمَاءِ الْأَوَّلِينَ وَلَا بِفَكْرِ الْيَهُودِ الْمُتَصَرِّفِينَ أَوْلَا الْمُؤْمِنِينَ  
 بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُتَنَبَّرُ . وَيَوْمًا الْيُونَانُ يَعْتَقِدُونَ بِهِ كَالْحَكْمَةِ الْرِّبَانِيَّةِ ،  
 وَالْكَلْمَةِ عَلَى مَذَهَبِ افْلَاطُونَ . وَالْمُصْرِيُّونَ الْأَوَّلُونَ يَعْدُونَهُ مِنْ  
 أَحَدِ الْآيَاتِ الْرِّبَانِيَّةِ فَإِنَّ اقْلِيمِنْسَ رُومَانُوسَ صَدِيقَ الْحَوَارِيِّ  
 بُولُسَ يَدْعُوهُ الْكَاهِنَ الْأَعْظَمَ وَالرَّبَّانِيَّ لَا سُوَى . وَحِينَما دَعَاهُ  
 الْوَثَّيَّوْنَ الْمُتَصَرِّفِينَ إِلَيْهِ مَتَجَسِّدًا انْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ  
 الْمُتَصَرِّفِينَ ، وَدِيُونِيسِيُّوسَ أَسْقُفَ الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ يَدْعُوهُ بَكْرَ الْخَلِيلِيَّةِ  
 وَأَوْرَيْجِيُّونَ لَا يَرَى أَنْ يُصْلَّى لَهُ . فَالْأَسْكَنْدَرِيَّةُ حَوَّلَتِ الْأَفْكَارَ إِلَى  
 الْجَدَالِ بِالصَّفَاتِ وَالْتَّجَبِيرِ بِالآرَاءِ وَالْمَنَازِعَاتِ إِلَى حَدِّ الطَّعْنِ وَالْأَضْطَهَادِ  
 شَنْشَنَةً عَرَفَنَا هَا مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ صَلَبُوا الْمَسِيحَ فَكَانَهُ لَمْ يَأْتِ  
 (٥) فَلَمَّا بَلَغَ الْإِمْپَرَاطُورَ وِجُودَ هَذِهِ الْحَالَ وَلَا سِيَّماً مَا كَانَ بَيْنِ أَسْقُفِ  
 الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ اسْكَنْدَرَ وَالْكَاهِنِ ارِيُوسَ سَاءَهُ ذَلِكُ وَطَلَبَ مِنْ  
 الْأَسْقُفِ أَنْ يَكْفُّ عَنِ مَنَاظِرَهُ هَذَا الْكَاهِنُ حَبَّاً بِالسَّلَامَةِ لَكِنْ  
 لَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ كَبَّةَ الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ هَاجُوا وَمَاجُوا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقْوِيَ  
 حَزْبُ ارِيُوسَ بِذَلِكَ وَأَصْرَوْا عَلَى طَلَبِ مَرْافِعِهِ فَاضْطُرَّ الْإِمْپَرَاطُورُ  
 لِحُشْرِ أَسْاقِفَةِ الْمَمْلَكَةِ لِيَحْكُمُوا عَلَى الْجَلَافِ فَاجْتَمَعُوا مِنْهُمْ فِي نِيَّقَا

سنة ٣٢٥ مائتان وخمسون استقناً وعدد كبير من كهنة المشرق  
وأسقف أماثن من الأفريقي

(٦) وهناك احتمم الجدال وكاد يأول إلى المضاربة والقتال لو لا ان رهبة  
الامبراطور وحامه يضعن حدًا للخصام . وامتاز حينئذ الشهاد  
انطسيوس بحرارة مقاومته لآريوس ثم عاد المجلس للوقار وجرى  
أخذ التصويت لرأي الخصمين فنجم عن تضليل آريوس والحكم  
بأن يسوع ابن هو إله من جوهر واحد مع الآب وسموا هذا  
المذهب «الموموسيني» وقرروا قانون اليمان المعروف الآن  
بالنفي وعينوا وقوع الفصحى الذي تقيمه اليهود ليلاً تمام القمر  
الرئيسي ، بأن جعلوه يقام بالأحد الذي يتلو تمام هذا القمر ولعنوا  
اليهود وانقض المجلس مكتفيًا بنفي آريوس غير مدركيًّا ما أثاره  
بصدور المصريين من الخيلاء بانتصار حزبهم مما جعلهم فيما بعد  
شوكة بحسب الامبراطور ناصراً على اليونان أصدقاء دولته  
بالاسكندرية

(٧) وبهذا الزمان كان أسقف الاسكندرية هو الذي يعين لأساقفة  
البلاد حلول الفصحى فيجري بлагه بجرى الامر لسيحي المسكونة  
لأن روما كانت قد فقدت كرسي الملك واورشليم سقطت من  
عزها والقسطنطينية لم تبني بعد

(٨) ثم بعد زمان قدم آريوس استرحاماً للامبراطور بالغفو عنه مبرهناً

بأنه لم يجده عن قانون إيمان الرسُّل فعَى الامبراطور عنه وكتب لاسقف الاسكندرية بلياقة ودَّه لكنيسةه لكنَّ الاسقف كان إذ ذاك عين ذلك الشهاس اثناسيوس خصم أريوس الالد بمجمع نيقا فأبى الامتثال لطلب الامبراطور مدعياً بأنَّ قبول هذا الكاهن عضواً بالكنيسة غير جائز دينياً، فرفض الامبراطور اعتراضه وطلبه للوقوف بين يديه ولما وجده مصرًا على رأيه أبعده إلى صور وهناك أقام مجمعاً من الاساقفة سنة ٣٢٥ لمرافعته فكروا بفساد رأيه واعادة أريوس لوظيفته فظلَّ مُسْعَدًا مدة هذا العهد كلها

(٩) ولكنَّ أقل ما يقال عن شناعة الاستبداد من الرؤساء المسيحيين هو أنه بازدياد سلطتهم دخل الكنيسة رجال غير لائقين بها اتخذوها وسيلة للحصول على غايات زمية وأغراض ذاتية بعيدة عن التقوى والرأفة المسيحية

(١٠) وكان أولاً الاسم العام للمسيحيين «النصارى» وذلك لأنَّ أولئم كانوا من اليهود قوم الناصري يسوع، ثم لما شاعت المسيحية بين المصريين وذهبوا مذاهبهم فيها كفروا أولئك اليهود القائلين بأنَّ يسوع هو المسيح والنبي الاعظم المستظر، فلما جمع تقياً لعن اليهود كره الجمُّهور الاتساب للنصارى وأنحصر هذا الاسم بعد زمان قسطنطين بيهود الحبشة واليمن والمنتصرين

(١١) ومن مآثر هذا الزمان كان بناء القسطنطينية سنة ٣٢٨ وانتقال

كرسي الملك اليها فهانت روما حينئذ بأعين الناس وفاقت الاسكندرية خوفاً من تحول رياستها الدينية لعاصمة المماليك واحتقاف عاماً منها بكرسي الملك لا سيما وإنها لضعف العنصر اليوناني فيها كانت قد أمست تدعى من زمان ديوقلتيان المدينة المصرية بعد أن كانت تدعى المدينة اليونانية على حدود مصر وفلاً هكذا جرى فانتابنرى عند بناء القسطنطينية ان جاذب اليونان لحرّ مصر قد خفّ وانقطعت مادة هذا التسلل فيها

(١٢) وقل قسطنطين احدى مسلات مصر لزينة عاصمه الجديدة وجلب مسلة أخرى من هايو بوليس للإسكندرية اينقلها لعاصمة أيضاً لكنه توفي قبل أن يفعل وتقلها ابنه فيما بعد الى روما . وأخذ قسطنطين مقياس النيل أيضاً من متحف سيرا بوليس ووضعه باحدى كنائس العاصمة ليُبطل احتفال المصريين الدينى بفيضان النيل فتناول كهنة مصر الوثنيون من عمله لكن اذ تمّ الوفاء بتلك السنة صار المسيحيون يحتفلون به كعيد كنائسي . وأحضر الامبراطور من الاسكندرية خمسين نسخة من الانجيل لاستعمال كنائس القسطنطينية محررة على الرق من تصريح عوز بيوس أسقف القىصرية

(١٣) ولم يبقَ حينئذ للعلماء الوثنيين من عصى ، فقل الاقدام على مدارسهم وصار علييوس وصديقه يامبليخوس مدرسي فلسفة عمونيوس وپلويتيوس يتجلان بين الاسكندرية وپرثاموس وروما

وكل ما وصل إلينا من تأليف أو لهما هو كتابه بباديء الانقام مرتبة على خمسة عشر رصداً وعلاماتهما على سطرين كان سطراً منها الصوت والآخر للعود يقال بأنها علامات يثاغوريّة . وأما ثانيةهما فيوجد له لالآن عدة تأليف مذهبها فيها يشبه مذهب أفلاطون

(١٤) وأقام الاستاذ سوپاتر بتدريس الفلسفة الافلاطونية بالاسكندرية وكان يدعي بأنه أفلاطون الثاني ، ولادة من الزمان كان قسطنطين يوده ويكرمه ثم أنكر عليه مذهبة وقتلها وعلى قول المؤرخين الوثنيين انه قُتل عليه رفضه ان يُبْرِي ذمته من قتلها ابنه

### قسطنطيوس سنة ٣٣٨ م إلى سنة ٣٦١

(١٥) ولما مات قسطنطين خلفه بالملك أولاده الثلاثة مُقسمين المملكة بينهم فجلس قسطنطين الثاني على كرسي القسطنطينية وكونستان أصغرهم على كرسي روما وقسطنطيوس على كرسي انطاكية كمُحاصرة المشرق ، فزاد بذلك انحطاط مقام الاسكندرية السياسي . ولما أصاحت أنطاكية سفر التكoin بترك عشر سنين منه تبعها بذلك الاسكندرية لكنها فيما يلي ظلت مدة حياة هذا الامبراطور تدعى الاسباقية بأمور الدين

(١٦) وكان قسطنطيوس على مذهب اريوس بينما أخواه كانوا على مذهب اثناسيوس فتجاسر هذا تحت حمايتهم على الرجوع للاسكندرية

لَكُنْ لَمَّا بَعْدُ قَلِيلٍ نَشَطَ الْحَرْبُ بَيْنَ هَذِينَ الْأَخْوَيْنِ وَقُتِلَ قُسْطَنْطِينُ  
 الْثَانِي تَنْشَطَ قُسْطَنْطِيُوسُ لِدُفْعٍ مَدَاخِلَةً كُونْسْتَانْتُنِيُوسَ فِي أُمُورِ مَلَكَتِهِ  
 وَعَزَلَ اثْنَاسِيُوسَ مِنْ كُرْسِيِهِ وَأَقَامَ مُجْمِعًا مِنْ الْإِسْقُوفَاتِ بِانْطَاكِيَّةِ  
 لِيَنْتَخِبَ أَسْقُوفًا عَوْضَهِ فَانْتَخَبُوا أُولَاءِ عُوزِيُوسَ مِنْ حَصَنِ لَكْنَهِ  
 اسْتَعْفَى مُشْعَرًا بِأَنَّ الْمُصْرِيَّيْنَ لَا يَرْضُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ أَسْقُوفًا  
 أَرْيُوسِيًّا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ أَكْرَاهُهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَانْتَخَبُ الْجَمْعُ حِينَئِذِ  
 أَسْقُوفًا عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ غَرِيُورِيُوسَ الْجَسُورُ عَلَى أَيِّ مَقَوْمَةٍ تَصْدِرُ  
 ضَدَّهُ مِنْ أَهْلِهِ

(١٧) ثُمَّ أَنَّهُ قَرَرَ الْفَاءَ « إِلَهُ مِنْ إِلَهٍ جَوَهْرٌ وَاحِدٌ مَعَ الْأَبِ » وَابْدَأَهُ  
 « يَبْكِيَ الْمُخْلُوقَاتِ وَصُورَةُ جَوَهْرِ الْأَبِ » وَبَعْدَ بَضْعِ سَنِينِ التَّأْمُونِ  
 هُنَاكَ مَجْمُعٌ آخِرُ وَسُنْ « قَانُونًا أَقْرَبَ إِلَى مَذْهَبِ اثْنَاسِيُوسِ لَكِنَّهُ  
 لَا يَكْارِهُ أَيْضًا وَحْدَةَ الْجَوَهْرِ مَعَ الْأَبِ رَفِضَهُ الْمُصْرِيُّونَ وَاللَّاتِيُّونَ  
 وَصَارَ كُلُّ فَرِيقٍ يَضْلُلُ الْآخِرَ وَيَعْنِيهِ

(١٨) وَلَمْ يَجْسُرْ غَرِيُورِيُوسُ عَلَى الْقُدُومِ لِكُرْسِيِهِ حَتَّى أَمَرَ الْإِمْپَرَاطُورَ  
 الْقَائِدَ سِيرَانُوسَ بِمُخْتَارَتِهِ فَأَدْخَلَهُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ لِيَلْلَامَ وَبَالْغَدِ أَقِيَّ بِهِ  
 لِكَنْيِسَةَ مَحْفُوفَةً بِالْجَنْدِ فَوَجَدُوا اثْنَاسِيُوسَ قَدْ سَبَقُهُمْ إِلَيْهَا مَعَ  
 أَتَبَاعِهِ وَأَغْلَقَ أَبْوَابَهَا، لَكِنَّ لَا تَهَدِّهِمُ الْقَائِدُ خَرَجُوا مِنْ بَابِ السَّرِّ  
 حَتَّىَنِ وَتَبَعَ ذَلِكَ اضْطِرَابٌ بِالْمَدِينَةِ وَشَغْبٌ وَأَقْطَعَ وَارَدَ الْخَرَاجَ عَنِ  
 الْبَلَدِ أَيَامًا خَلَافَ اثْنَاسِيُوسَ مِنْ الْمَسْؤُلِيَّةِ بِذَلِكَ وَهَرَبَ إِلَى رُومَا أَمَّا

حزبه فلذكونه أكثر من الحزب الاريوسي فضل هائجًا حتى انه احرق الكنيسة مؤثراً ذلك على تركها بيد الاريوسيين ثم انه قوي عليهم الى أن امكنته طردتهم من كل كنائس وأديرة مصر

١) وبعد سبع سنين من هذه الحال مات غريغوريوس وبرجا اسقف روما وكونستان أعاد قسطنطينيوس اثناسيوس لكرسيه مشرطًا عليه عدم التحرش بالاريوسيين

٢) لكنه برجوعه لا يرى شرعيته أغلب الاستبداد . فقسم من حزبه من القبط لم ترضهم معاملاته لمواطنيهم الاريوسيين فانتقضوا عليه وانفصلا عن كنيسته منضدين الى كنيسة الاسقف ملاتيوس

٣) وبهذا الزمان بدأ الحكام يشعرون بالانقلاب الناتج من انتشار المسيحية أولًا ثم من دخول الامبراطور في دينها واعطائه للأساقفة رتبة الامراء

٤) ثم مات كونستان فعاد قسطنطينيوس لعزل اثناسيوس سنة ٣٥٤ لكنه لا يلقي بذلك تعبًا جائلاً الى أن في سنة ٣٥٦ اختفى اثناسيوس وظل مستترًا عن الحاكم سيريانوس في غرفة صبية اجارتة لآخر هذا العهد

٥) فلما أعجز سيريانوس أمره أرسل الامبراطور القائد سباستيانوس حاكماً على مصر وماموراً بالقبض على اثناسيوس حيًا أو ميتًا . فرفع

حينئذٍ حزب أريوس قرنه وانتخب جرجس من قبادوسيا أستقفاً على الاسكندرية

(٢٤) وكان جرجس رجلاً عالماً هاماً لكتنة أقل حكمة وسياسية من خصمه وكان أبوه خياطًا من أيفانيا في آسيا الصغرى فلما رأى نفسه بهذا المقام الخطير تجبره وترفع بسلطته فأضطهد أخصامه بكل أنواع العذاب والقتل والابعاد حتى كاد أن يحاكي عمل ديوقيتيان بال المسيحيين فكره الناس اسم الامبراطور ناصره وحط من شأن الاسم المسيحي بين أعداء هذا الدين

(٢٥) وبهذا الزمان كانت البلاد التي على الطرف الجنوبي من البحر الاحمر قد ابتدأت أن تُعرف أكثر من قبل بالاسكندرية فان الرحالة ميرويوس وصل اليها في عهد قسطنطين ودخل أخصُّم عاصمة الحبشة فرومطيوس رفيقه سعى بارشاد أهلها للمسيحية والمتاجرة مع مصر وعاد اليها أستقفاً بأمر اثناسيوس وقسطنطينوس بعده أرسل بعثاً مع الراهب تيوفيليوس لأهل حمير الصابئين نسل أولئك اليهود المستوطنيين في البلاد من عهد سليمان فبني لهم الكنائس ثم انتقل للحبشة عوضاً عن فرومطيوس الذي عزله جرجس الاستقفا الاريوسي فأحكم فيها ربط عرى الوداد مع شعبها اليهودي الاصل أيضاً الذي كانت العريان تتجوز بينه وبين مصر. ووُجد هناك بجنوب العاصمة مستعمرة سورية يُقال بأن الاسكندر أسكنها تلك البقعة. وكانت

لغة تلك البلاد كلها عربية غير لغة السودان وبها تُرجم لهم الانجيل من اليوناني لكن انتشار الدين الجديد بينهم لم يتم لقرنين بعد هذا الزمان لسبب الموضع التي كانت تطأها من وقت لآخر فتقطع مواصلتهم مع الاسكندرية

(٢٦) وها انا نرى كلما تقدمنا بتأريخ المسيحية في مصر كلما بعدها عن أزمنة العلم ودخلنا غياوب الجهل الممتد منها الى أوروبا فان الرهبانية التي نشأت من نسخ انتطينوس وتولى المصريين في عهد فيليبيوس قيصر على حافة بحيرة لوط لم تكن الا تقليد رهبانية الوثنيين واليهود من قبل ، والمعجزات النسوية لبعض الرهبان المسيحيين من بين الالاف من رجال ونساء في عهد قسطنطين وعهد اولاده ليسها جزءا مما نقل عن رهبان الوثنين قبلهم

(٢٧) لا بل ان هؤلاء الرهبان المسيحيين تقلدوا عادة رهبان الوثنين السالفين بحق رؤوسهم الادائة في وسطها وحق لحاظها وشوارعهم فحرم عليهم ذلك اثناسيوس وحرم أيضاً عليهم استعمال الرق والافراط بالصوم للتأخر به ومكالمة النساء والاغتسال بالحمامات العمومية وحفظ السبت . وبعد هذا الزمان بسنين قليلة صار وضع قانون الرهبنة المطهّل المعمول بأكثره للآن

(٢٨) ومن الاخبار عن بعض هؤلاء الرهبان خبر أحد هم عمون الذي يقال بأنه كان رجلاً ذا نعمة اقرن بصبية حسناء لكنه باليوم

والساعة أغراها بالتزام العفة وهجران العالم نادراً بالاً يغسل طول حياته ولا يغير ثوبه كي لا يرى جسده عرياناً . وعلى قول مؤرخه الكنائسي انه كان اذا اضطر أن يقطع ساقية تأتيه الملائكة فتحمله كيلا يليل وفأه يندره

(٢٩) واشتهر بعده الناسك انطونيوس المقيم في ذاك الوقت بالقرب من هيراقليو بوليس الزاعم بأن روح عمون أتته وعلمه الفرائض الدينية فكان سكنه بين القبور حيث أتاه الشيطان بأشكال شئ منها انه أتاه بشكل اسود ونور وذتاب وحيات وعقارب وزنابير كثيرة واذ انتصب ليصلّي هربت من وجهه توًما . ومنها انه أتاه بشكل زائر لكنه اذ سمع اسم يسوع ولّى هارباً . ويزعمون انه كان يشفى المرضى ويخرج الشياطين بعلامة الصليب ويعلم بالغيب وينكر فائدة العلوم لمن اهتدى للدين ، وهكذا لما شاع ذكر فضائله ومعجزاته كتب له الامبراطور كتاباً فلم يكتنه أن يرد له الجواب بلغة اليونان لكنه قد خلف بعض وصايا للرهبان باللغة القبطية ترجمت فيما بعد لليونانية وبواسطتها عد من الآباء اللاهوتيين . وبعد أن قضى بهذا النسك عشرين سنة خرج يعظ الناس ضد المذهب الاريوسي

(٣٠) وبالاجمال فان تاريخ الكنائس بهذه الازمنة يرى مفعماً بهـل هذه الاخبار ولكل زمان حال تـحـار بها الافـكار

(٣١) ومن علماء المسيحيين بهذا الزمان كان سيرابيون اسقف طمس

وصديق انطونيوس ، له كتاب نفيس ضد المذهب المانوي ، إنما العالم السني فكان الأعمى ديديروس رئيس المدرسة اللاهوتية الريادي البليغ المتبحر في الفلسفة الوثنية واليه كانت تشد رحال الطلبة من كل فجٍّ وكان مولعاً باثناسيوس وعلى مذهبة حتى قال الاريوسيون بأن كل عالم لذاك الزمان كان على مذهبهم الاّ هذا . وله شرح على الانجيل ومقالة ضد المانوية

(٣٢) وفي كل هذه الجدلات الدينية وثنية كانت أم مسيحية ، نرى روما في غالب الأحيان تابعةً لاراء مصر ، فان كونستانطن لما أراد أن يهدى بعض نسخ من الكتاب المقدس طلبها من اثناسيوس . وكانت روما مثل مصر تكره مذهب اليونان الاريوسي وهكذا لما جيروم الروماني زار مصر قال بأنه وجدها على المذهب الحقيقي الرسولي . ولكنه مع اعترافه على مذهب اوبيجين يشهد له بالعلم والفضيلة والتفوي

(٣٣) أما عامة ذاك الزمان الوثنيون فنهم المنطيق افتوبيوس الذي يكتب شهراً عظيمة بحكمته وفضاحته وكان يميل الى مذهب ماني فأتاه طالب علم يدعى عطيه ، اريوسي المذهب ثم صار يجادله بالدين الى أن طلبه للجدال بحضور من الجماعة فتجادلاً ولكن قبل (١٠)

أن تظاهر النتيجة اعتلَّ الاستاذ ومات فقال الاريوسيون بأنَّ  
حجتهم قتلتَه

(٣٤) وسنة ٣٤٧ قتلت الاحدى عشر قرناً من بناء روما فضررت تقوتها  
بتلك السنة وعليها صورة الطائر الخرافي «فينكس» بصورة نسر  
بريش آخر وأصفر وهو المسحى عند العرب العنقاء، وأهل الصين  
يزعمون بأنه طائر ميمون يظهر بالبلاد عند اكمال سعادتها

(٣٥) ومن كلام يوليوس فرميتوس بالوثنيين يظهر بأنهم كانوا بذلك  
الزمان قد تركوا عبادة البهائم وغيرها وحصروا عبادتهم بآيزيس  
وعوزيريس والنيل . وكان عيدهم الكبير يوم حزن آيزيس على  
زوجها عوزيريس الذي قتله تيفون الشقي حسداً فيحلقون فيه  
رؤوسهم ويطوفون بالمدينة بأكين منتحبين يضربون على صدورهم  
ويقطعون جلودهم ثم يزعمون بأنهم يبحثون عن اشلاء القتيل التي  
القاها تيفون بالنيل فترىهم ايها آيزيس بمساعدة اخوها نفطيس  
والقناص اتو بيس فيدفونها ثم يعيدون فرحيين . واسم آيزيس باللغة  
الكهنوتية حيز

(٣٦) وبهذا الزمان اشتهرت ايدوس<sup>(١)</sup> الصعيد بمعبدتها للإله بيسا  
العجبائي فقصده الناس من مصريين وغربيين يستشرونها في

(١) هي المسماة الآن المدفونة

حظوظهم ويقدمون له الضحايا ومن جملتهم كان أحد ولاة مصر بارناسوس فاما بلغ الامبراطور خبره عزله ونفاه ولكنه لم يتحرش لكنه المعبد لما كان لهم من السلطة على عقول كثيرين من ذاك الجهور

(٣٧) وربما انه بهذا الزمان ايضاً الف هيستيون الرياضي الشبيه كتابه الذي يزعم فيه بأن لأبراج الفلك فعلاً يؤثر باجسام الناس وطبائعهم فأعطى لكل بلاد برجاً لكن بدون اعتبار خط الطول كأنه قسم الأرض كالفلك الى شرق وغرب ثم قسم كل برج الى ثلاثة منازل كل منها عشر درجات كما هي بالمنطقة المرسومة على سقف معبد دنديره من زمان تiberios المؤلفة من اثني عشر برجاً فزعم بأن صفة كل انسان تتبع صفة النجم الطالع مع الشمس يوم ولادته وقد رأيت بزماننا هذا كتاباً اميريكياً يسند هذا الزعم

(٣٨) أما الحكم بهذا الزمان فإنه كان قد ضعف لدرجة انه أصبح كالعدم ، لا يضر ولا ينفع ، فاستقلّت فيه أكثر المدن والقرى بالصعيد أو احتمت الصغيرة منها بالكبيرة تحت سيطرة أحد الاساقفة حتى صارت اوامر الامبراطور نفسه لا تعمل فيها

يوليان سنة ٣٦١ م إلى ٣٦٣

(٢٩) ولما مات قسطنطيوس خلفه يوليان وهو آخر امبراطور قويّ فلم

يرضو تصرف المسيحيين ضد أخصامهم الوثنيين . وادأرسل هؤلاء  
بعشاً ل القدسية يتظلمون من حاكمهم ارتيموس ومن الاسقف  
جرجس ١ طلب الحاكم اليه وبعد محاكمته في خلقينونيا أمر بقتله  
فطمع الوثنيون بانتصاره لهم وثاروا ضد المسيحيين بالاسكندرية  
فقبضوا على الأسقف وداسوه بأرجلهم حتى الموت وقتلوا أيضًا  
رئيس دار السكبة دراقونيتوس لأنه كان قد هدم لهم معبدًا بتلك  
الدار واهلكوا معه أحد الأعيان ديدوروس لأنه كان قد نكاه  
بعص نواصي الشيان المصريين المختصين به بمحاجة إنها أثر وثني وقد  
كانت أصلًا عادةً عندهم مختصة بالسلسل الملكي من عهد رمسيس  
ثم صارت بزمان البطالسة علامةً لشرف النسل ثم أصبحت عمومية .  
وحملوا جثث الثلاثة على الجمال إلى حافة البحيرة فأحرقوها هناك  
وذرروا رمادها بالهواء حتى لا يتركوا لها أثراً يرجم اليه المسيحيون  
لینوا فوق كنيسة

(٤٠) وادأرسل الامبراطور خبر جنایاتهم أنبيتهم عليهم وتهددهم بالعقاب  
لا أكثر ان عادوا لشلائهم جعل كل اهتمامه بالاستيلاء على مكتبة  
الأسقف المقتول متهدداً وكيله بقطع رأسه ان فاته كتاب واحد منها

(٤١) أما حزب اثناسيوس فلم يعبأ بقتل هؤلاء الاريوسيين بينما  
الامبراطور مع عدم مبالاته بما حلّ بهم كان يكره اثناسيوس

وحزبه أشدَّ الکره فلما عاد اثناسيوس للإسكندرية بدون اذنه  
غضب عليه وأمر بطرده من كل أرض مصر

(٤٢) ولم يتعزز لميور المسيحيين أكثر من نظره اليهم بعين الاحتقار  
وعدم قبولهم بالمدارس السلطانية. فسأَّء ذلك مسيحي الروم وسورية  
وAsia الصغرى. أما القبط فانهم كانوا بعد سقوط الاريوسسين لا يهمهم  
علم أبداً لا بل انهم أمسوا بعد قليل يكرهون العلم والعلماء ككرههم  
للسياطين

(٤٣) لكنَّ حب الامبراطور للعلم وتشييده مدرسة جديدة بالإسكندرية  
للنَّ الموسيقى ووضعه لها الجوائز لم يُعد الوثنية شيئاً إذ كان الخراب  
قد عمَّ وطمَّ بلاد ثيابه مقرَّ هذا الدين من جراء تسطي العربان عليهما،  
والقيروان أصبحت قاعاً صفصصاً . والنيل صار مزية لقبط حتى  
أصبح الفلاح يُؤثر الجلد على اداء الخراج وإذا تخلص من الدفع  
بسکوى الفاقة هرَّ عطفه مفتخرًا بنفاذ حيلته على الدولة . أما  
الإسكندرية فكانت لم تزل أول مدينة بالعلوم ومكتبتها ذات  
السبعين ألف كتاب لم تزل اعظم مكتبة بالدنيا كما ان السيرابيوم  
حاويها كان اعظم بناء على وجه الارض بعد القبة تولَّ معبده يوبيتر  
في روما، وهو المشتري وبرحيس العرب

(٤٤) أما السيرابيوم فكان معبَد سيرابيس على التل "غربي المدينة  
وله مدخلان احداهما للعجلات والآخر للرجل من مائة درجة كل  
السيرابيوم معبَد اما في المقدمة والآخر موسى دولة سيرابيس مسلوب  
بعضهم "خليفة الراية لفاسق دفعهم وآزاد اب وناره تزلاع ابراره في  
الارض" (ابن سطحه) ولعمود ارتفاع اعلى "كذا ذكرها في كتاب تهذيب الديار" (ابن عثيمين) =

درجة أعرض من التي تحتها وباعلاه رواق على اربعة أعمدة وصحن البناء مشكوف تحوطه رواقات على صفين من العمد وفي البعض منها خزانات الكتب وعلى سطحه قبة مذهبة ورؤوس أعمدته محلاة بالصفر والذهب وجداره زاهية بالنقوش والصور وفي وسط ساحته عمود شاهق يستهدي به الملائكون عن بعد . وكان صنم الإلهة القائم داخله من عهد البطالسة خشباً مكسوباً حلةً مجهرةً ، ولقاعته كوةً يقع منها شعاع الشمس على فم الصنم في وقت معين عند الصلاة فتومه الناس بأن هناك سرًّا إلهياً . أما رجاله فالمغاربون بأنهم كانوا من الرخام . ولا يوجد الآن أثر لشيء من هذا البناء سوى عموده المسمى عمود بُويي الموازي خاتمة اثار القبط الاقديرين

بوييان سنة ٣٦٣ م الى ٣٦٤ م

(٤٤) ولما مات يولييان خلفه بوييان وكان مسيحيًا على مذهب المجمع النيقى فأعاد اثناسيوس لكرسيه بالاسكندرية لكنه ترك للاريوسيين أسقفهم لوقيوس غير متعرض لهم

(٤٥) ونعم ان الاختلاف بين المذهبين بظاهر الامر كان دينياً إلا ان اكثره كان لاسباب مرجعها النسل واللسان والوطن فكان اليونان اكثراً دعاةً بالفهم يحتقرن مذهب المصريين بالطبيعة الواحدة ييسوع ويقولون بالطبيعتين وكان كل فريق يكفر الآخر

صنيعهم بعلمهم واعمالهم لم يصر لهم اوزور - ها ، وحال الملة لا يغيره دينوسوس وكاهن على رسم مصر (٤٦) . ومحاجة اصحابه لكتابهم المسمى . ولقد عنتها دار على ارجاء مصر (٤٧) . ومحاجة اصحابه لكتابهم المسمى . واسمها معاذهم . وبنوا على ارجاء مصر (٤٨) . ومحاجة اصحابه لكتابهم المسمى . واسمها معاذهم .

الى أن بتكاثر عدد القبط المتنصرين تغلبوا على اليونان ولم يمض قرن بعد هذا الزمان حتى تحررّوا منهم مادياً وادياً

### والنس سنة ٣٦٤ م الى ٣٧٨

(٤٧) واذ توفي يوبيان خلفه والتنينيان وهذا أعطى أخاه والننس مملاكته المشرق وكان اريوسيي المذهب فرفع الاريوسيون رؤوسهم بالاسكندرية وأرادوا الاستيلاء على القصر الروماني المسمى قيصرية ليجعلوه كنيسة فقاومهم الوثنيون سنة ثم أحرقوه . لكن الامبراطور بعد سنة بني للمسيحيين كنيسة بتلك البقعة عينها

(٤٨) ثم ان اثناسيوس وجد مرکزه حرجاً بالاسكندرية فرحل عنها لكن إذ هاجت رعيته أعاده الامبراطور وأمه فاستراح وأراح إلى أن مات مخلفاً ذكرأ أشهر من ذكر ملوك زمانه وملقياً أساس تلك السلطة الكنائسية التي رفعت وحطت مالك عديدة في مستقبل الأيام واهتز لها الخافقان . اما التأليف التي لذا منه فكالها جدلية بالذهب وأكثرها ضد الاريوسيين . ولكن القانون المنسوب اليه فالصحيح بأنه ليس منه ، لأن العن الموجود فيه كثير على طبع اثناسيوس بل لأن لا ذكر فيه لوحدة جوهر الاب والابن التي كان أعظم تشبت اثناسيوس بها قبل كل شيء

(٤٩) وعند موته انتخب رعيته بطرس اسقفًا عوضه فادعى بأن الكرسي الاسقفي بالمدينة هي حقه وان لوقيوس الاريوسي مقتضبها فغضب الامبراطور وأمر بالقبض عليه وسجنه وضيق كنائسه وأحابها لأخدامه والى شريعة قسطنطين التي تعنى الرهبان من الخدمة العسكرية والتكليف الجهورية فرفضوا الامتنال لأوامره. لكنهم إذ كانوا على مذهب الطبيعتين تجرّد لوقيوس لا كراهم تفزيلاً لشريعة الملك فصح له استخدام الجنود فكبس أديرتهم وقتل وهدم ما استطاع من رجالهم ومنازلهم

(٥٠) وهذا بينما كانت الرهبة قد شاعت جداً في مصر واستعرقتها الدولة وسمحت لها باستئلاك العقارات والأراضي. ومنها والننس حق الارث من الرهبان الذين لم يتركوا وصيّة ولا وارثًا شرعياً. ومن أعظم أديرتها كان دير طبناً بالصعيد الذي رئسه باخوميوس كان اولاً ناسكاً بكفف هنالك ثم التفت حوله الوف من العباد ينظرون اليه كبني، منهم الف وثمانمائة بهذا الدير وستة آلاف بغيره لباسهم الجلود وشغفهم الحزت والصلوة. وطبناً او بالحربي طبنيز يعني مدينة ايزيس ، والدير ر بما هو المعروف الآن بالدير الايبيض بالقرب من عفروديثوبوليس وفيه كنيسة على الهندسة اليونانية وشكل الصليب وأما ظاهره فكمعباد مصر القديمة التي أغارته أحجارها

(٥١) وكان صنف آخر من الرهبان يرأسهم زاهد آخر يدعى عنوف يزعم بأنه ينال ما شاء بصلاته<sup>(١)</sup> وغيرهم يرأسهم راهب أمي<sup>(٢)</sup> اسمه هوز مولع بانشاد الزبور، وأخرون يرأسهم سيرابيون كانوا أهل كدّ وتعب ومواساة للفقراء حولهم. وكان بالقرب من نظرية (التي وجدوا بجوارها البورق فسموه نظرون) جهة مريوط خمسون صومعةً بنسا كها وأما الأشد زهداً فكانوا يتغلبون بالقمار لخد سطليس مقام أنطونيوس على حافة بحيرة مالحنة جدياء حيث الهواء كلويب النار والسماء كالمهل المرفع وهناك كان يقيم الناسك موسى التائب من مأثم شبابه الذي يقال بأنه قضى ست سنين لا ينام فيها أبداً وأنه اذ طرقه ليلةً ما أربعة لصوص شدهم ببعضهم بحبيل ورفعهم على ظلوره وسار بهم لدير بالقرب منه ليقاصصوا لأنه كان قد نذر بالآية يوجع إنساناً بيده. وكان هناك ناسك آخر يدعى بنiamين الذي اشتهر بزيته المقدّس لشفاء الامراض فكانت المرضى تأتيه ليمسحها به حتى لما كان على فراش مرضه بالاستسقاء وكان ناسك آخر يدعى هالاس يحمل النار في جسيه ولا تحرقه<sup>(٣)</sup> وكان بالصحراء العريبة بالقرب من أنطينوبوليس إيلياس إزاهد أقام فيها سبعين سنةً وبالقرب من آخرهيس كان أبيليس الحداد الزاهد الذي يقال بأن الشيطان أتاه

(١) أو بالحربي بقصده وهو مذهب والقول فيه كل من جدوصل وكل من قصص حصل

(٢) كان اكتشف على المعدن اسبستوس الذي يحلك ولا تؤثر فيه النار وتد

عرفه الرومان

بصورة امرأة جميلة المنظر فكوى وجهها بالحديد الحبي . وكان هناك أيضاً الناسك أبو لوس متهجداً وفاحراً ذاته مدة أربعين سنة وأخبار عجائبها منقوله لنا من تيموتاوس أسقف الاسكندرية . وكان بالقرب من الاسكندرية الناسك دور يتوس وبولس ناسك فرما الذي كان يعيid صلاته تلماة مرّة بالليوم ويعدها بمحى يحملها هذه الغاية وكان من أصدقاء أنطونيوس الذي أهداه جبة كان اثناسيوس أهداها له فاما كان بولس على فراش موته طلب أن يلتووا عليه تلك الجبة ويقال بأنه أول مسيحي تتسك اذ هو ابن ست عشرة في عهد واليريان وزمان الاضطهاد ومات وهو ابن مائة وثلاث عشرة سنة فتكون مدة تتسكه سبعاً وتسعين سنة

(٥٢) فصبر هؤلاء الرهبان والنساك على ضنك المعيشة بالقفر وثابرتهم سنتين على التعبد والصلالة جعلهم ملأ للاعجاب والاكرام لأن الناس لا يرون إلا ظاهر الاشياء . وإنما فان حاجة الكون الى راهب المعممة اكثرا منها الى راهب الصومعة ، لاسماها وان المصريين قد فرطوا بصفات هؤلاء العباد وغالوا بأخبار عجائبهم واكثراهم كانوا هوموسين يقولون بالطبيعة الواحدة والجواهر الواحد للأب والابن البعض منهم على مذهب اثناسيوس بالشيش وبعض يعتقدون بأن يسوع لم يُصلب بل شُيّه للاذاظرين ورفعه الله اليه حياً ، وبعض يعتقدون بأنه صورة الحالق . وكثيرهم يكفرون الاريوسيين واغر يق

الاسكندرية القائلين بالطبيعتين ولذلك غريغوريوس النازيني يقول بأن مصر هي محبة الدين المسيحي ومذهب الشلیل الصحيح وبغض النظر عن أساليب كثيرين من هؤلاء الرهبان فانا نجد بينهم من يُشهد له بالعلم حقيقة كلام راهب مكاريوس المصري من دير نطريه ( وهو غير مكاريوس الاسكندرى ) صاحب كتاب الكلال المسيحي الذي هو من خيرة الكتب بالفضل والتقوى

(٥٣) وكان كثيرون من أغنياء المسيحيين الاجانب يقصدون مصر لزيارة أديرتها، فأحدهم المسئي روفينوس من جوار المدينة الحديثة تریسته يخبرنا بأنه تجشم مشقة السفر للصعيد مع بعض رفقائه وشاهد هناك مدينة أوخيرنيقوس وفيها اثنتا عشرة كنيسة وعشرة آلاف راهب وعشرون ألف راهبة ويائمهم ثيون العالم باللغات اليونانية واللاتينية والقبطية ، وقابل في ضواحي مدينة ليقوبوليis (١) الناس يوحنا الذي كان القائد الروماني يعتبره ويستشيره بحر به ضد السودان والعربان بتلك الاصقاع . ووجد في دير طبناً ثلاثة آلاف راهب رئيسهم عمون ناذرين الصمت ، وخمسة راهب في دير بالقرب من هرموبوليis (٢) رئيسهم أبولونيوس رجل ذكي عاقل ، أنوا بهم ييضاً نظيفة وقلوبهم مثابا . ويقول أيضًا بأنه وجد الوثنية لم تزل شائعة بجوار هرموبوليis وله تناوش مع أهل ذلك الدير . وانه زار بصحة ثلاثة

(١) هي اسيوط الحديثة (٢) هي اشمونين الحديثة

من الرهبان عدة أديرة أخرى يقرى لا يعرف أسماءها منها فوق صخرة على حافة التهر ومنها ضمن جدار عال وله بستان فيه أبار وفاكهه. وواجهه إيلياس الناسك بالقرب من أنطينو بوليس. وزار ديرًا بالقرب من هيراقليو بوليس. ورأى في الجهة الارسینوتية بلاداً ككل أهلها رهبان أصحاب كد وعمل بالحقول وتجارة مع الاسكندرية ووجد ضواحي منف وبابل خاصة بالرهبان. وزار الاهرام وقيل له بأنها كانت الاهراء التي خزن فيها يوسف غلات سفي الخصب. وأخيراً زار دير جبل نطريه الذي كان أشهر أديرة مصر ثم زار بيت القدس وعاد راجعاً لبلاده حامداً مما شاهده وعرفه

(٥٤) فبديهياً ربما أنتا تستغرب وجود هذا الجهر من الرهبان بين سكان مصر، إلا أن بالنظر لأحوال ذاك الزمان وما عرفناه من الأسباب الجارية فيها يرتفع باب العجب ويتبين بأن تلك الرهبنة لم تكن أولاً إلا رد فعل من عظم فساد أخلاق أكثر الناس بتلك الأيام ودواء لداء لا ينفع فيه غير السم فان شيطان الطيش والبطر والسفاهة وحب الذات كان قد أخذ بكامل حواس القوم وأصبح غايتها الوحيدة بالدنيا، فنفر البعض إلى البراري والقفار متبعين عن هذه الحساسة والدناءة. ولما أحبوا القفر أحبهم القراء والفلاحون ووازروهم على أعمال الخير والاحسان متبرعين لهم بالعشر من غلاتهم اقتداء بالشريعة الموسوية. وبمادى هذا التبرع صارت الكنائس

تعتبره فرضاً وبعد إن كان يصرف كله على القراء والبائسين صار يصرف عليهم منه ثلثه فقط ثم أحاط به الكهنة برمهة لفائدة هم الذاتية (٥٥) وكان صنف من الرهبان يسمى ريموبوت مؤلماً من الشلالة والأربعة يعيشون بالمدن لكنه لاختلاطه بالجمهور لم يسلم من عدوى الفساد فساءت سيرته وسقط وتلاشى ذكره

(٥٦) وبهذا الزمان أمر والناس باستيقاء الخراج عيناً من الفلاحين وجعله كسوة جندي عن كل ثلاثة فداناً فضايقهم بذلك ونرى فيه بقية من الوتنيين بسباقات الخيل في غزة فانهم كانوا يتسابقون فيها مع المسيحيين، فيعودون خيلهم بأهلهم والسيحيون يرشونها بالماء المصلى عليه من كهنتهم وبالأخص من راهب يسمى هيلاريون الذي كان لمائته شهرة بالفوز على الأخصام (١)

(٥٧) وقبل هذا الزمان كانت سطوة العرب تندُّ شيئاً فشيئاً بالحدود الشرقية وإنما تجمل القسطنطينية للعرب كان يوقفهم عن التوغل بأملاك الرومان. لكن إذ مات ملوكهم قاتلتهم الملكة ماوية لحرق معاهدتهم

(١) ومن هذا النوع ما يحكى عن سكان الكونكتو بأفريقيا الشرقية وطريقة دخولهم بالإسلام ان احدهم طلب من الشيخ حرزا يعلمه على ديكه اذا قاتل ديك آخر فكتب له الشيخ آية من الفاتحة ولما غلب ديك اقبل جباره على الشيخ يشترون منه هذا الحرز فاعتراض عليهم الرجل بأن الحرز خاصة فصار الشيخ يكتب لهم احرزاً من آية بمد آية من الكتاب الي ان علمتهم القرآن برمهة

مع الرومان فاجتاحوا أرض فلسطين وفيقليا وتحطوا إمارة حَجَر  
 متهددين مصر من جهة رأس البحر الأحمر فهادنهم والناس وعمل  
 معهم معاهمدة جديدة . ولأنَّ كثيرين منهم كانوا مسيحيين من مذهب  
 المصريين اشترطوا عليه إقامة اسقف منهم بالاسكندرية وبشوا لها  
 كاهنًا يدعى موسى الذي بوصوله أراد لوقيوس أن يرسمه لكنه أبى  
 إلا أن يكون ارتسامه من الأساقفة المهمومسيحيين المبعدين بالصعيد  
 (٥٨) ومن هذا الوقت خرجت حَجَر من ملك الرومان وبعد أن كانت  
 أسقفية عامرة بالكنائس ولها باب نصر جميل ومرسح للالعاب لعبت  
 فيها ايدي سبا وأهلت حتى صارت ركمة يعوي فيها الذئب ثم  
 انتست من الناس اعصاراً إلى أن اهتدى إليها الرحالة بر كهرب  
 وكشف عمّا يقي من آثارها من وراء الاشل والدفل والشوك

## الفصل الثامن

تيودوسيوس الاول . ارقاديوس . تيودوسيوس الثاني

سنة ٣٧٩ م الى ٤٥٠

تيودوسيوس الاول سنة ٣٧٩ م الى ٣٩٤ م

(١) يمتاز حكم تيودوسيوس بضررته القاضية على الوثنية ، لا سيما وان هذا الدين كان قد ابتدأ ان يسقط حتى من قبل ان صارت المسيحية دين الملوك وكان قسطنطين قد ززع اركانه بقتلها عدة من معابده لكن تيودوسيوس فانه بأول سنة من ملوكه سن "شريعة بأن دين المملكة بأسرها (ما خلا من كانوا يهوداً) هو الشائم ، وبعد قليل أمر بحفظ يوم الاحد عن العمل فيه دون السبت وبعث حاجبه قينيجيوس لمصر مأموراً بتنفيذ هذه الاوامر

(٢) فاستقبل أسقف الاسكندرية تيوفيليوس هذه البلاغات بأعظم الفرح والسرور وبادر حالاً بتطهير معبد مترا وكسر الأصنام ببعض سيراييس الشهير وعرض ما كان فيه من آلات العبادة لسخرية المسيحيين رغمًا عن وجود كثيرين من اهل المدينة من كانوا ميزالوا

يكرون هذا المعبد فاجتمع منهم جهور عظيم وثار مدافعاً عن دينه وتقاليده من هذا التعدي فاصطدم الفريقيان حتى جرى الدم كالسيل إلا أن الوثنيين كانوا أقل عدداً فاضطروا للانهزام وهرب زعماً وه من الاسكندرية خوفاً من الحكام

(٣) ثم استائف الأسقف هدم معابدهم وكسر أصنامهم فصب من أحراساً، إلا أchnerاً واحداً أبقاء ليكون سخرية لرجاله، وقطعوا الجنود صنم سيراييس الحشبي بالفؤوس وأحرقوه أما رجاله فيظن بأنهم كانوا من الرخام واحداً هما الآن محفوظة «بالبريتاش موز يوم» في لندن ولا دليل على أصلها إلا كبرها

(٤) وعند اتهاب معبد سيراييس تشتت السبعينات الف كتاب التي كانت فيه لأن المؤرخ الإسباني أوروسيوس الذي زار الاسكندرية بالعهد التالي لم يجد فيه هذه الكتب أثراً سوى الخزانات الخاوية

(٥) وهنا يجبرنا الانصاف أن نقول بأن كل اضطهاد ديني هو مقوت أكان من وثنين أم مسيحيين لا سيما وأنه يصيب أحرار الناس أكثر من سواهم فان الذين اضطهدهم أسقف الاسكندرية كانوا من عامة ذلك الزمان حنفاء وأحددهم أولمبيوس كاهن معبد سيراييس كان مع كبر سنه ومقامه رجالاً وديعاً حليماً عاقلاً مسموع الكلمة لا عيب فيه كأفضل شهداء المسيحيين ومثلهم حر الأفكار، لا بل ان الفرق بين الاضطهادين هو بعيد جداً لأن الوثنى كان عن سياسة

واقتصاد فقط . واما المسيحي فكان عن غلوّ بدين اساسه الرحمة والوداعة سليم دواعي الصدر لا باسطّا اذى ولا مانعاً خيراً ولا فناً هُجراً

(٦) وبعد هذا الاضطهاد لم يبقَ لوثنيين معابد ولا مدارس يأكّونون إليها بالاسكندرية فانسحب البعض منهم إلى قانوبوس وفتحوا هناك مدرسة لتعليم الكتابة القديمة وبالاخص لالسحر والطلاسم . وتحولت معابدهم لكنائس طُمست تقوشها وصورها بالطين والكلس ولكن الآن وقد مات اهلها فقد قُشّط عنها الطين وها هي ترى الآن فلا تحرّك عاطفةً ولا سأكناً

(٧) وثابر المصريون المسيحيون على تحنيط موتاهم كالسابق ، رغمًا عن تحريمهما عليهم من انطونيوس . أما انغوطين فكان بالضيد يحمد من ثباتهم عليها ، يقينًا منهم بالبعث . وكانوا قبلًا يصوروون ايزيوس كالنجم سيروس طالعًا مع الشمس عند اول فيضان النيل ، فصاروا يصوروون العذراء فوق هلال صاعدة للسماء . وكانوا يشعرون الشموع بمعابدهم المفخمة ، فصاروا يشعرونها بالكنائس الغير مفخمة . وكان لهم عيد يسمى عيد الشموع ، فصار عيد الشعائين . وكانوا في الخامس والشرين من شهر طبي الموافق عشرين من كانون الثاني يعيّدون بأكلهم الحلوى فصاروا يأكلونها في

(١١)

السادس من هذا الشهر بعيد الظهور . كما انهم بوضعهم بالقرن الرابع رتبة كهنوتية قد اتبعوا بذلك الطريقة المصرية التقديمة التي لم تكن تعرفها الاغريق ولا الرومان وبينما كهنة مسيحيي الدنيا تلبس الصوف كان لباس كهنة مصر من الكتان النقي البياض كلباس كهنة الاوثان من قبيل ، او لانه كما جاء في كتاب الوحي «لبس الابرار» . ثم انهم قلدوا اولئك الكهنة بخلق اواسط رؤوسهم . ومن قبل الفي سنة كان للصريين كاهن في ثيبي لقبه حاجب باب السماء ، فصار حامل مفاتيح السماء البابا

(٨) وبعد أن صار اليمان بالتشييث اجيaries انتدب الامبراطور مائة وخمسين استققاً لقسطنطينية لتقرير قانون اليمان النيقى فصادقوا عليه ولعنوا الاريوسيين وطردوهم من كنائسهم ففرح بذلك المصريون والعرب وازادوا سبحة وولاء للامبراطور حتى انه لما احتاج لجند يثق به ليرسله لتساليا لم يجد أوثق من المصريين هذه الغاية

(٩) واذ حان الوقت لفيضان النيل بتلك السنة ولم يفر ، ضجّ الوثنيون وقفوا من خراب معابدهم وهياكلهم حتى خشي الحاكم اواغريوس ان يعقب ذلك شغب وقتل فكتب يخبر الامبراطور بالامر لكن اذ بعد قليل فاض الماء زال الباس وسكن الناس

(١٠) وبعد زمان اثناسيوس وسقوط الاريوسيين بالاسكندرية

انحصرت العلوم عند الوثنيين كثيون وفافوس وديوقنطوس من وصلت اليانا كتبهم بالحساب والجبر والهندسة والاسطراطاب الصغير وفيضان النيل والسنة المصرية من ٣٦٥ يوماً، اما بولس الاسكندرى فانه يحسب السنة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم على التقويم اليولىاني مبتدئاً من عهد ديوقليتيان . ومن تفصيله عن كيفية معرفة يوم الاسبوع من معرفة يوم الشهر وطريقة معرفة رأس السنة بأى يوم يقع من الاسبوع نعلم بأن تقسيمنا الايام الان هو عين تقسيم المصريين . كما ان من سرده اسماء الالهة الخالصين بایام الاسبوع نعلم بأن تسميتنا لها مقوله عنهم ايضاً . وقبل ذلك كان المؤرخ هيرودوتوس قد أشار الى مثل هذا ، وديون قاسيوس يزيدنا بأن كل يوم من اسبوع المصريين هو باسم نجوم وان سبت اليهود كان يُسمى « سب » وهو ساتورن الرومان وزحل العرب

(١١) ومن كتبة هذا العصر كان المنطقي هورابولو احد أساتذة الاسكندرية ثم القسطنطينية ، الف كتاباً باللغة القبط يفسّر فيه الكتابة الكهنوتية ترجمة لليونانية كاتب يدعى فيليب ولكنها لم يحسن الصنعة فآتت ترجمته قليلة الفائدة

(١٢) ومن تأثير اضطهاد الاريوسيين بأول هذا العهد كان تعطيل المدرسة العليا المسيحية التي كان يرأسها غودون خلف ديدوس الاعمى والثالث عشر من رؤسائها الفضلاء مدة القرنين الاخرين

منهم اثنان ام ثلاثة على المذهب الهموسياني بينما أكثر التلامذة كانوا اريوسيين ، فاما عادت السلطة للهموسيانيين انسحب غودون مع تلامذته الى صيدا من بقليلا ولم يبق بالاسكندرية مدرسة عليا الا عند الوثنين وضاعت حينئذ منها تعاليم افليمنس واوريجين وهيراقلس وديونيسيوس

(١٣) فلم يخرج بهذا الزمان كاتب من مسيحي مصر البهتان اذا يوجد لمطران الاسكندرية تيوفيليوس رسالات سنوية كان يصدرها لاساقفة مصر مهيا لهم فيها يوم الفصح وفيها طعن بحق اوريجين ترجمها جيروم لللاتينية . وكان بالصعيد الراهب يوحنا الموصوف بالقداسة وروح النبوة وكان الامبراطور يعتبره ويستشيره بمحظوظه

ارقاديوس سنة ٣٩٤ م إلى ٤٠٨

(١٤) ولما توفي تيودوسيوس اقسمت المملكة مرّة اخرى ، فان ابنه الاكبر ارقاديوس استولى على القسم الشرقي منها وابنه الأصغر هونوريوس على القسم الغربي ، اما الحاكم فعلا في مصر فكان الأسقف تيوفيليوس خصم الاريوسيين مذهبا والاغريق سياسةً وبذلك اسماه عواطف المصريين لجهته . ولما رهبان الصعيد زعموا أن بسفر التكوين وقانون ايمان نيقيا تصر يحيى بتجسد الخالق ، وأنكر عليهم ذلك ديوسقوروس اسقف هرموبوليس ورهبان شطيس

مستشهادين يقول اوريجين ان الخالق هو روح لا غير ، رأى تيوفيليوس أن يطأوا الاولين وحزبهم الأقوى . ولكونه لم يجترب على تكفير اوريجين بالاسكندرية فطلب من ايقانوس أسقف قبرس أن يسنه وهذا جم في سلاميس اساقفة الجزيرة وقرر معهم تكفير اوريجين ، ذاك الفاضل الذي ظل مدة قرین من الزمان قدوة المسيحيين واماهم

(١٥) ولم يكن هذا الخلاف لينتهي بالجدل فقط بين المصريين أكان الموضوع مسيحيًا أم عجلاً أو تسامحًا فان اثنasioس قام بجهود الاسكندرية الى جبل النطرون واجتمع اليه رهبان الصعيد فكبسوا منازل رهبان شطليس وأحرقوها واعاثوا في اهلها

(١٦) وهكذا نرى اننا كلاما تقدمنا بتاريخ المسيحية المصرية كما زدنا حزنًا وأسفًا فان الناس شرعوا بهذا الزمان ينبشون قبور الشهداء والقديسين ليتبرّكوا بعظامهم ويستشفوا بدمائهم وازدحمت كنائس القدسية باللوميات حتى ان يوحنا فم الذهب شكر من مصر لتعذيبها أجسام فقراء العاصمة بخنطها وقلوبهم بآياتها ، وقال هذا وهو ليس من مذهب المصريين

(١٧) ومن تقاليد المسيحيين الوثنية بذاك الزمان كان اكرامهم لبعض اشجار بأنها مقدسة . فقالوا بأن الالبيخ (برسيا) هي شجرة يسوع المقدسة لأنها أظلته وابويه حينما أتوا مصر وسجدت له . وان شجرة

منها في هرمونوليس كانت تشفى مرض لامسها وان الامبراطور يوليان أمر بقطعها نكأة بالمسحيين وكانوا يزرعون هذه الاشجار في حدائقهم واذا ذبلت قالوا بأنّ الوثنين كانوا يؤذونها فأمر ارقاديوس بأن كل من قطع أو باع شجرة منها يغرم بدفع جزاء قدره خمسة ارطال من الذهب ، ولكن رغمًا عن ذلك فان وجودها اتقرض مع الزمان ربما للعدم معرفتهم بطريقة شجرة غريبة لا علم لنا بحقيقة جنسها الآن اما أكثر الظن بأنّها كانت شجرة السّلَم (ميماز) التي اذا مسّتها يدّ حنت أغصانها كأنّها تسلم ولذلك تحبها العرب وتحرم اذاها

(١٨) وقد رأينا انحطاط العنصر اليونياني بالاسكندرية بسقوط الحزب الاريوسي بملائمة السنة الاخيرة فالآن نرى ايضاً انحطاط الاسكندرية من ثروتها وعجزها عن نفقة تنظيف النهر والترع بجوارها لأننا نرى الامبراطور امراً بتخصيص اربعينية صولدي من مدخل كمار كما لهذه النهاية وذلك عبارة عن مائتين واربعين ليرة من عمالتنا الدارجة

(١٩) وبهذا الزمان اشتهر قلوديان اليوناني الاسكندرى بشعره الالاتيني. حتى كاد أن يُعدّ من طبقة ورجليل ولوكريتيوس واويند وكان ارقاديوس واخوه هونوريوس يكرمان منزلته كثيراً

(٢٠) وكان بهذا الزمان من مشاهير الغرباء بالاسكندرية النطاسي بولس من اجينا ، جزيرة بالقرب من اثينا ، له كتاب بالطبع مفید

وسينيسيوس الفيلسوف الافلاطوني المتصر على يد البطريرك تيوفيليوس الذي لم يعترف بالبعث الا بعد أن صار أستقئا على البطلسية ، بالقرب من القيروان ، وهو رجل متزوج مع ان القانون يستدعي عفة الأستقئ . وكان البطريرك قد سأله أن يترك زوجته لدى ارتسامه استقئاً لكنه أبي هجرها ، لا بل قام معها يخدمان الدين والرعاية أحسن خدمة . وكان قد درس الرياضيات بصياغ على الاستاذة هبأيا ابنة ثيون الوثنية فظال يكتابها من البطلسية بالسائل العالمية ويكلفها بارسال آلات الرصد التي أهدى منها اسطولاً للقائد الروماني رفيقه هناك

(٢١) أما من وجه الحالة الاقتصادية فان مصر كانت حينئذ باسوان الحالات . فمن جهة كانت قبائل افريقيا تسطوا على ليبيا وبعض الارياف فتسليب وتمهيد ما امكنتها ومن الجهة الاخرى كانت الرمال تسطوا على المزارع فتعطلها حتى ضاقت الاماكن على الفلاحين فهجروها وتحول اعظمها الى مستنقعات وبائية وأهملت المقاول لتوقف البناء او مناجم الذهب لغراحتها منه . وكان سينيسيوس يرى هذه الحال بعين مؤها الدموع من فقر البلاد ويسأل الله لطفه بالعباد ليلاً ونهاراً

تيودوس الثاني سنة ٤٠٨ م الى ٤٥٠

(٢٢) واذ مات ارقاديوس خلفه ابنه تيودوسيوس وهو بسن المائة

ستين وبعد ذلك بخمس سنين مات البطريرك تيوفيليوس فتجدد النزاع بين الاريوسيين والهوموسيين على خلفه فاولائك كانوا ي يريدون تيوتاوس وهو لاءاً وهم الاكثرية كانوا يريدون كيريل نسيب البطريرك المتوفى فتجادلوا وتشاجنوا وتصاربوا بالأسواق ورغمًا عن ميل القائد ابوندنتينوس للاريوسيين فان الفوز كان لحزب كيريل فأقاموه بطركاً

(٢٣) ولم يكن كيريل أقل بغضناً من سلفه للاريوسيين ولليهود أيضًا وكثيراً من الأوقات كان المسيحيون يتعدون على اليهود لا سيما في مسرح الالعاب والرقص يوم السبت فتخاصموا يوماً وفصلت الجنود بينهم قبل أن يؤثر الامر الى قتال لكنَّ المسيحيين ادعوا بأن اليهود تهددوهم بحرق يعهم فتجمهمروا بالبيوم التالي وعلى رأسهم البطريرك وهجموا على كنائس اليهود قهقهوها وأحرقوها وطردوا كافة اليهود من المدينة

(٢٤) فاستاءَ الحاكم اورستيس من تصرف البطريرك ولا سيما من خسارة الجزية اليهودية ولكن لما بلغ رهبان جبل نطريه بأنه يرغب بالعرض للسلطة الكنائسية هرولوا للإسكندرية وتجمهمروا بأسواها . وإذا مرّ بهم الحاكم بعجلته شتموه صارخين بوجهه «يا وثنى يا اغريقي» لا بل ان احدهم عمونيوس رماه بحجر أدهم فسل حرسه سيفهم وبددوا هؤلاء الرهبان وطردوهم من البلد وقبضوا على المجرم وقتلوه فاعتبره

البطريرك شهيداً وأبنته باسم القديس توماً. لكن لما اجهزه لم يطأوه على ذلك برجل أحمق عدل عن رأيه والنفي التأمين المذكور (٢٥) إنما كل هذه الشناعات لا تُعد شيئاً إِلَّا ما كان من جنائية هذا الأسفاف ورعايتها فيما بعد. فان هيأياً إِلَّا ثيون المذكورة آنفًا المولودة سنة ٣٧ زوجة ايزيدور الفيلسوف البديةة الحسن والكمال ومعدن اللطف والذكاء، ومن علاماء زمانها المفتقرين، وخطباء المدرسة الأنفلاطونية المعدودين، كانت عن غير قصد منها قد أثارت حقد الهوموسين عليها لعدم اتباعها دينهم فعقدوا نيتهم على هلاكها وترقبوها يوماً وهي مارة بعجلتها فهجموا عليها وسلوها من مركتها وجروها ورآهم على الأرض إلى معبد قيسار وهناك جردوها من ثيابها ورجموها حتى ماتت ثم مزقوها إِرْبَأْ إِرْبَأْ وحملوها لأتون خارج المدينة أحرقوها فيه (٢٦) وذلك في الصوم الكبير سنة ٤٢٤ ولضعف الحكم ذهب دمها هدرًا وبهذه الأيام انحصر الذهب الأريوسي بين الجنود اليونانية، فالذين كانوا يمحضن بابل أقوى حصون مصر بنا فيها كنيسة لهم باسم القديس جرجس أي الأسفاف الأريوسي الأخير، والذين كانوا بالبطلسية فعلاً نظيرهم ولم ينزل اسم هذا المكان جرجا وصاروا يسمون صورته كفارس يشك بسمحة ثنياً هو أثنا سيوس الهوموساني كما هي صورته على بعض النقود الانكليزية. أما التخاذ الانكليز القديس جرجس شفيعاً لملكتهم لا يُعرف له باب إِلَّا أن تكون الصورة

أعجبتهم فقلوها . ولكن القديس الذي يستحق أن يسمى شفيعاً لهم فهو غريغوريوس لأنَّه كان أول مبشر لهم بالسيجية فربما انهم قد يُسمى قد اشتبهوا بالاسمين لقرب مخارج حروفهما فبدلوا أحدهما بالآخر وهم لا يشعرون

(٢٧) أما الموموسيون فكانوا يبنون كنائسهم على اسم القديس اثناسيوس وصاروا يستقونها بالخشب عوضاً عن الصفاح القديم ثم ان تيودوسيوس لكثره الوفود التي كانت تأتيه من الاسكندرية بسعيات ضد البطريرك أو الحاكم أمر بأن لا يخرج اليه منها وفديلاً باذن الحاكم ورأي المجلس البلدي فاستراح هو ولكنَّه فتح باباً لاستبداد الحكام لاطريقة لسنه

(٢٨) وبهذا العهد نُفي يوحنا في الذهب من أسقفية القسطنطينية لأسباب لا تعلق لها بتاريخ مصر سوى أنَّ الحركة فيها كان أيضاً أسقف الاسكندرية . ونُفي معه بلاديوس أسقف غلطة وبعداً إلى أسوان وهذا له كتاب ترجم كثرين من نساك الصعيد الذين عرفهم قبل هذا الوقت ثم لما أفرج عنه سار قاصداً بلاد الهند ليطلع على حكمة براهمنا وبوصوله إلى عدوه على البحر الأحمر وجد هناك أسقفها موسى راغباً بمرافقته فركباً مركباً تجاريًّا سار بهما طويلاً وبعد مشقة بلاد فائدة عاد بهما خائبين من غرضهما فصعد بلاد سيوس إلى ثيبة وهناك تعرَّف بناجر إسمه قوسماس وقضى عليه خبر سفره فأجابه هذا بأنه قد أفلت

من بلاء عظيم لأنه هو أيضاً سافر مرأة قاصداً الهند لكنه أخذ أسرىً في جزيرة سيلان ولم يتيسر له الهرب منها إلا بعد ست سنين مرأة جدًا (٢٩) وكان أسقف القدسية بهذا الأثناء نسطوريوس ولأنه أنكر على الجمهور قوله مريم أم الله وقال بل هي أمة الله واضطرب الناس لذلك حشد الامبراطور مجمعًا من أساقفة المملكة بافسوس ليحكموا بالخلاف فحكموا بفضل نسطوريوس فنفاه الامبراطور إلى حبيه بالمرج الكبير بين أخصام مذهبة لكن لما بعد ذلك سقطت العريان على المرج هرب منهم إلى بانو بوليس وتوفي فيها على أثر مشقة الفرار إلى الصحراء (٣٠) وبالقرب من هذا الزمام جاء مصر الراهب الغالي قاسيانوس ليدرس قوانين الرهبنة الصعيدية ومن كتاباته لأخوانه في إيطاليا وغيرها من بلاد المغرب يظهر بأنه كان يحب لهم هذه المعيشة لأن كثيرين منهم أتوا مصر وقطنوا الصعيد، ولعدم معرفتهم لغات القوم القبطية أو اليونانية وجب إرسال قوانين الرهبنة لجيروم في روما ليترجمها لهم وهم الذين نشروا في تلك الجهة من مصر رسم الحواري بطرس قابضًا مفتاحًا . ويرى الآن رسمه على جدران معبد السبعة القديم بالنوبه مواجهًا صورة رمسيس الثاني الذي أصلًاً كان يواجه أحد الآلهة مقدمًا له هدایاه (٣١) وللرهبان فضل لا ينكر لأنهم ترجموا المهد الجديد للثلاث لغات القبطية وهي الصعيدية والبسمورية والقبطية الصحيحة لغة الاريات

وترجموا قوانين مجمع نيقا وأخبار الشهداء والآباء الأولين وقوانين الكنيسة القبطية وكتاب الحكمة الدينية المسمى بستيس صوفيا الذي ينكر معجزة الحمل ييسوع ويزعم بأنه إذ درج أباه الروح القدس بصورة صبي من سنّه وعانته فامتزجا وان من هذا الامتزاج كان اتحاد الطبيعتين ييسوع

(٣٢) وترجموا التوراة والانجيل اليوناني مكتتو بين على جنس من الورق لكنّ أقدم صورة وصلت اليانا من هذه الترجمة هي على الرق . صورة منها بالواتيكان وأخرى بكتبة باريس وأخرى في بطرسبرج وأخرى بالبرتش موزيوم جميعها من نقل الاسكندرية . والواتيكان ربما بها أقدم هذه النسخ . وبقابلة النسخة التي في لندن على التي بالواتيكان يظهر لنا كيف كان التدرج للمجال بين عادة اللاهوت عن يسوع لقول بعضهم «**نُنْ بُوسيَّه بِكَارِه**» وقول آخرين «**بُوسيَّه نُنْ بِكَارِه**» اي لا يقدر يخطيء او يقدر **أَلَا يخطيء** . أما الترجمة اللاتينية المسماة «**وَلِجَات**» فانها منقوله عن ترجمة يونانية قديمة ولضعف لغتها وترجمتها الحرفية بدون اعتبار وضع الكلام بين لغة ولغة يظهر بأن مترجمها كان يونانياً من الاسكندرية

(٣٣) وبهذا العصر تقدمت صنعة عمل الورق من الفافير ( ومنه اسم الورق بلغات الافريقي لكون الفاء والياء متراوحتان ) حتى جاز أن يسمى ورق الكتاب أي الكاغد اما ورق الفافير المستعمل بأول

قرن من هذا التاريخ فكان يؤخذ على طبيعته ويُلصق بعادته ، ثم بالقرن الثالث صار يلصق بالغراء انا ورق هذا الزمان لم يكن بقوة القديم منه فلم يبق له اثر . وبوجه الاجمال لا يوجد كتاب مسطّر قبل القرن الحادى عشر <sup>إلا</sup> ما هو على الرق

(٣٤) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية بعض شبان الازمنة لدرس اللغة اليونانية وتصحيح ترجمة الكتاب المقدس وكان بينهم موسى الخوريني الذي عُرف فيما بعد بمؤرخ الارمن . وكلهم كانوا مرسلين بعثاً بالبطرك اسحق والعالم مزروب ، رجلاين من أهل الفضل والذكاء ، وغايتهم كانت إيدال حروف لغتهم المنشولة عن لغات الفرس والاغريق والسريان بحروف يونانية تتناسب مخارج لغتهم وأيضاً تصحيح ترجمة الكتاب المقدس المنشولة عن المبراني والسريري على الصورة اليونانية فلما وصل هؤلاء الشبان للاسكندرية لم يجدوا فيها أستاذًا مسيحيًا فاضطروا لدخول المدرسة الافلاطونية التي كان رئيسها سيرانوس فقرأوا فيها كتب اللغة اليونانية والتاريخ وتاريخ أرمينية لموسى يشهد باستفادته كثیراً من هذه المدرسة . ولما كانوا دروسهم عادوا لبلادهم فازدهرت أندیتها بعلومهم وأدابهم ولم تزل مؤلفاتهم بأيدي رهبانهم بدير القديس العيازار بالبندقية وأکثراها منقول على رق " قدیم مغسول يظهر فيه أثر من أبيات الكتاب المقدس بلغة اليونان القديمة

(٣٥) أما كتبة هذا الزمان المسيحيون فما منهم من يستحق الذكر . فان

كيريل البطريرك لم يترك لنا سوى تشنيعه على النسطوريين ويوليان والرهبان الجسميين . وايزيدوروس ترك رسالات دينية جدلية كتبها من باوزيوم ونونوس من بانو بوليس الذي ترجم الجليل يوحنا شرعاً وله نشيد بوصف باخوص الاه الخمر اليوناني

(٣٦) وكانت رهبان جبل سيناً عرضة بذلك الزمان لتعدي العربات لا حصن لهم سوى الفقر بين تلك الجبال حول وادي فاران وسفوح جبل سربال وكان جبل سربال يسمى أولاً جبل سفر والعرب للآن تسميه وادي المكتب . إنما اسمه الاول فلاعتباره منزل الوصايا العشر والثاني فلسبب الكتابات التي تركها الزوار على صخوره من الف سنة أو أكثر قبل هذا الزمان ، بعضها رومية وبعضها عبرية من زمان حزقيا لا يفهم منها إلا القليل

(٣٧) وكما كان الطيب قد يُعَدُّ من اختصاص الكهنة كان صنف من الرهبان أيضاً مصلحتة الطيب يُسمى فارابالاني لمداواة وخدمة المرضى الحتاجين بمحاجنا . فحصل له اعتبار من الحكام وحاز على امتيازات وعلوقة من الدولة مما جعل كثيرين يرغبون الاستخدام فيه حتى من ذوي الثروة لكن الدولة رأت أن تحصره بستمائة نفر من ذوي الحاجة . وكان صنف آخر من الرهبان يعتني باسعاف الفقراء والتربيه البائسين

(٣٨) ورأى الامبراطور قرق الاسكندرية بهذا الزمان فأمر بزيادة مائة وعشرين أرداً من القمح للإحسانات اليومية ومنح أعضاء مجلس

البلدية امتيازات تنتشطهم على الخدمة وبقى كنيسة كبيرة على اسمه  
وأمر الحاكم بترميم **الكنائس** العتيقة وبناء **كنائس** جديدة  
بقدر الامكان

(٢٩) نعم ان الوثنية كانت قد ضعفت جداً بعد هدم معابدها إلا أن  
علماء الفلسفة الغير متصررين كانوا لايزالون من مدرسي العلوم الرياضية  
واللغة والتاريخ بالاسكندرية لكنهم لانكسار شوكتهم واهالهم  
من الدولة صدئت قرائحهم فانحصر اشتغالهم بتفسير أرسطو وأفلاطون  
والجدال بأيدهما الأفضل . ثم لما انتقل سيرانوس رئيس المدرسة  
الافلاطونية إلى أثينا صارت هي الكرسي لهذه الفلسفة

(٤٠) أما فلسفة أرسطو فكان الاستاذ فيها بالاسكندرية أولبيودروس  
الصعيدي المولد الذي نعلم منه ان بزمانه . كانت الزراعة بالصعيد نامية  
جداً وانها كانت تُسقى كل ثالث يوم مرةً بالصيف وكل خامس  
يوم مرةً بالشتاء من آبار عمقها مائتان الى ثلاثة قدم فتعطى موسمين  
من الشعير وثلاثة من الدخن بالسنة . ويقول بأنه زار أرض التوبه  
فاصدأ جبل الزمرد بالصحراء الغربية بين قبطوس وبرينية التي هي  
الآن ساقية القبلة بالجهة الغربية من البحر الاحمر ، لكنه لم يصل اليه  
لاعتراض العريان بتلك الجهة . ويوجد له كتاب بالكيمياء في مكتبة  
باريس لم يطبع بعد

(٤١) وبهذا الزمان حضر للاسكندرية فروقلاوس للدرس فيها ، فقرأ

فلسفة أرسطو على أولبيودوروس والرياضيات على هيرودوليان على ليوناس والمنطق على أوريون الذي كان يفتخر بأنه من نسل كهنة ثانية ، ودرس اللغة اللاتينية بمدرسة الرومان ونبغ فيها ثم مال للدرس فاسففة أفالاطون فلما حق بسيرانوس في أثينا وفيها صنف كتبه بالرياضيات والفلسفة الإفلاطونية على منهج خاص له ربما شط فيه أكثر من شطط بلوتينوس بالموضوع . وهذا شأن كل مذهب أما بالزيادة أما بالنقصان يضيّع معهما القصد الأول

(٤٢) ومن هاجر من عامة ذاك الزمان لاثينا ففريتوس وأوريون وأسقليبيودوتوس الكاتب بالطب والرياضيات والآداب وهو برهان على وجود بقية لم تعتق الدين الجديد، لا بل ان كثيرين من الناس كانوا لم يزدوا على اعتقادهم القديم لأننا نراهم سنة ٤٣٦ مجتمعين سرّاً بالليل بأحدى مراسح الإسكندرية للاحتفال بعيد النيل لما سقط بهم المكان وهلاك منهم بسقوطه خمسة نسمة أو أكثر

(٤٣) وبهذا الوقت كانت إدارة الأمور الخارجية بالقسطنطينية متعلقة بوزيرين من الأعيان أحدهما للمشرق والآخر للباقان وكانت مصر حينئذ مقسمة إلى ست ولايات ، القيروان والمرج والصعيد والأرياف الغربية والأرياف الشرقية ولبيما . وكل وال من ولاتها له دائرة من مستشارين وقضاة ومحاسبين وكتبة . أما الجنود فكانت موزعة بين خمسين من مدنها كلها تحت قيادة أمير كبير ودوقين لو كانت

قوتها بحسب عددها لكان حكم هذا الامبراطور يُعد بعظمة حكم اغسطس لكن الجنود الرومانية واليونانية كانت بينها قليلة والباقيون كانوا اخلاقاً أكثرهم من رعاع الافريقيين والمغاربة والصرمط والاشوريين والبلقانيين والافريقيين والسودان ، بينما حامية العراق كانت من السودان وحامية تراسيا أكثرها من عربات الصعيد بخيالهم وجمالهم ، لأن القبط كانوا قد نسوا الرجلية من زمان طوبل لا يصلحون للجنديّة . وكان جيّ الخراج مناطاً بمدة امرأة ومستخدمين بكل من هذه المقاطعات ما عدا الاسكندرية التي كانت لا تعطي خراجاً بل تستفيد منه

(٤٤) ثم بعد قليل من هذا الزمان اقسمت الولايات الى مان ، الصعيد الأعلى وفيه احدى عشرة مدينة والصعيد الأوسط والمرج الكبير وفيهما عشر مدن ثم القيروان ثم شطر من ليبيا جهة مصر ثم شطرها الآخر جهة الصعيد ثم النصف الغربي من الارياف ثم نصفها الآخر ثم بوبسطي التي هي الان تل البسطة الى البحر الاحمر منها ما كان تحت حكم دوقاً ومنها تحت حكم قائد عسكري ومنها تحت حكم متصرفين ، أي ان مصر اصبحت اقليماً رومانياً

(٤٥) ولكن بينما كانت دولة المشرق تزداد ضعفاً ونحولاً كان المغرب يهرب الى الخراب التام هرولاً بسبب انتهاض الولايات الاوربية

وسيطرت أفريقيا على الدولة . فالغوط أهل جنوب الدانوب سطوا بأول هذا العهد على إيطاليا ونهبوا روما تحت قيادة ملوكهم العريق وبعدهم جاء المهنّ من شمالي الدانوب تحت قيادة ملوكهم إيتلا واستولوا على شمالي إيطاليا بعد موت تيودوسيوس الثاني بستين ولو لا أن التليان يرضوهم بالمال ويعود إيتلا لكانوا دخلوا روما أيضاً ونهبوا ولكن لم تكن هذه الوسائل والمرقدات مما يفيد المرض العضال ، فانشقّت المملكة إلى نصفين وافتصلت مصر عن روما افتصالاً الأول بعد ائتلافهما مدة سبعاً سنة وعادتا غرينتين بعضهما عن بعض كما بالزمان الذي فيه أرسلت سناتوروما بعثاً لبطليموس فيلادلفوس تخطب مصادفته

## الفصل التاسع

مرقيان . ليو . ليو الثاني . زينو . باسيل . انتساس

سنة ٤٥٠ م إلى ٤٥١

مرقيان سنة ٤٥٠ م إلى ٤٥٧

(١) ولما مات تيودوسيوس الثاني استولت اخته بولشيري على زمام الملك وعمرها اثنان وخمسون سنة واختارت مرقيان احد الاعيان زوجا لها واصله كان جندياً كثثيرين من ملوك الرومان ، فوجد المنازعات الدينية قد عادت بصفة جديدة بين المسيحيين بعد ان كادت بزمان قسطنطيوس وبالنس ، بالتحزب للهوموسين والاريوسيين ، ان تقفل مصر عن جسم المملكة لولا تلافي هذا الخطر من تيودوسيوس الأول وسلفاته بحسن سياستهم . فان كاهنًا يدعى اوتيخيس اخذ يعظ بهذا الزمان بالقسطنطينية بالطبيعة الواحدة ضدًا لمذهب رؤسائه القائلين بالطبيعتين ، واذ طرده البترك من الكنيسة انتصر له ديوسقوروس بترك الاسكندرية خلف كيريل ، وكفر اسقف القسطنطينية فرأى الامبراطور ان يخشيد اساقفة

الملكة للنظر في هذا الخلاف فاجتمع منهم سبعة واثنان وثلاثون  
استقًا في خلقيدونيا وحكموا بضلال الكاهن المذكور واسقف  
الاسكندرية فعزله الامبراطور واقام بروتيروس عوضًا عنه  
(٢) وكانت مصر إذ ذاك قد تبرأت تمامًا من مذهب اريوس والحدث  
على مذهب الطبيعة الواحدة الذي صار فيها بعد يُعرف بالمذهب  
اليعقوبي فأبانت أن تأخذ دينها عن اغريق القسطنطينية وانكرت  
قرار مجمع خلقيدونيا

(٣) وهكذا عند دخول بروتيروس للاسكندرية محفوفًا بالجيش  
استقبله الجمهور بالرجم والسهام . وما التجأت عصابة إلى معبد سيرايس .  
الشهر اضرم المصريون فيه النار وأبادوهم عن آخرهم واستبدوا  
بالمدينة حتى اضطرّ الامبراطور أن يبعث جيشًا ضدهم ، فخاضوا  
المدينة وهدموا أسوارها واقرّوا الاسقف على كرسيه . ثم أمر الامبراطور  
بتسيير مراسح الالعاب وقطع الاحسان من الخراج مدةً من  
الزمان عقابًا للمدينة

(٤) وبينما هذه الحوادث تعرقل الحكم وتزعزع اركان الدولة  
كانت العريان تكتسب جرأةً لتشويش اطراف الملكة والتدعي  
عليها حتى في جنوب الشلال . ولمدة ما كانت الحامية الرومانية المقيمة  
في اسوان قادرةً أن تصدهم عن التوغل بالبلاد ، لكن إذ انضم  
إليهم النبط دخلوا الصعيد وامتلأت أيديهم من الفنائِم حتى حسبوها

أن لا قوة تقدر على ردّهم . فخرج اليهم القائد مقسسينوس ونال منهم  
فطلبوا الصلح حالفين بأنهم <sup>بأنهم</sup> لا يخطوا حدودهم ما دام مقيناً في  
ثيبه فأبى مصالحتهم على هذا الشرط واشترط عليهم ردّ السلب  
والأسرى والهادنة لائلة سنة ووضعهم الرهائن من أكابرهم بين يديه ،  
فرفضوا بذلك وصالحوه

(٥) لكنه بعد قليل مات فتحرك النبط من جديد وخرقوا المعاهدة  
واستعادوا رهائنهم وعادوا في البلاد كالأول

(٦) فباتصاً و هو لاء النبط تلاشت المسيحية من الصعيد وعادت  
الوثنية إلى ما كانت من قبل سبعين سنة ، لا بل إن البعض من  
كانوا قد تنصروا ورجعوا يصاونون لايزييس وسيرايس

(٧) أما التوب ، بجاوري هو لاء العربان ، فيظهر بأنهم كانوا أرق منهم  
بالمدنية لأننا نجد كتابة رومية بلغة رديّة من هذا الزمان أم بعد  
قليلاً على جدار معبد طليس التي هي الآن قرية قلابشي ، تشير إلى  
أن ملوكهم سلخوا قد حارب هو لاء العربان أسلاف البشرية  
الحديثين مراراً عديدة واطاعته البلاد من طليس إلى فريسيس  
وكان يوصف بالمربيخ والأسد ومن اعظم ملوك الدنيا ، إنما تلك البلاد  
كانت بتواقي الاضطراب الححيظ بها قد تعطلت زراعتها بنصف  
مساحتها والرمال غطت على النصف الآخر منها مع ما فيه من المعابد

والاصنام كأنها تخفيها عن انتظار لم تعد تعرف لها قدرًا لتبقى عبرة  
لقوم آخرين

ليو سنة ٤٥٧ م ٤٧٣

(٨) ولما مات مرقيان خلفه ليو وكان اول امبراطور قسطنطيني توجه  
اسقفه فاغتتم الاسكندريون فرصة غياب القائد ديونيسيوس بحرب  
النبيط واسقطوا بروتيروس من كرسي الاسقفية ونصبوا عوضاً عنه  
الراهب تيموناوس العروس اليعقوبي وبلغ ذلك ديونيسيوس فهرب  
مسرعاً للاسكندرية لكنه لم يصلها حتى كان العصاة قتلوا بروتيروس  
بصومنته وعلقوا جثته بالترافيلون ، ولأن الأعيان شاركوا الرعاع  
بهذه الجناية خشي الامبراطور لثلاً تكون الحركة سياسية تحتاج  
لتدبير سياسي فاستشار الاساقفة كي يمدّوه برأيهم لكنهم كانوا  
كل مصريين لا يفهمون شيئاً سوى المذهب فألحوا عليه بالتمسك بقرار  
مجمع خلقيدونيا وعزل الاسقف اليعقوبي فاضطر إلى مطاوعتهم  
وأقام استقفاً آخر اسمه ايضاً تيموناوس الذي صار يعرف  
بالامبراطوري

(٩) ثم انتقضت ليبيا عليه فأخضعبها بقليل من الجندي تحت قيادة  
هيراقليوس ، الا انه لما كان على شطوط قرطاجنة ليسترد البلاد من  
الوندال فقد عمارته كلها وبعد قليل توفي

زينو سنة ٤٧٤ م إلى ٤٩١

(١٠) ولما مات ليو سنة ٤٧٣ خلفه حفيده ليو الأصغر لكنه بعد سنة مات هو ايضاً وخلفه ابو زينو وكان رجل له ولعب فانتقضت عليه فئة بايت باسيل صهر ليو الاول ومن المذهب اليعقوبي فاستولى على العاصمة بدون قتال ونفي منها زينو ورد الاسقف تيموتواس العروس لكرسي الاسكندرية سنة ٤٧٧ والى قرار مجمع خلقيدونيا ، فلما عاد هذا الاسقف للاسكندرية دخلها كفاح فاستبد بالامر وعزل ونصب وقطع ووصل كل شاء واعاد لمدينة افسس مقامها البطريركي الذي كان مجمع خلقيدونيا حرمه منه . لكن لسوء حظ المصريين لم تمض ستان حتى تقلب زينو على باسيل وقتله

(١١) ثم عزل الاساقفة اليعقوبيين من كراسى مصر وجدد العمل بقرار مجمع خلقيدونيا اما تيموتواس العروس فكان بهذا الائتاء قد توفي وخلفه بطرس منجوس فأبدل زينو بتيموتواس الامبراطوري ليكون طوع يده ومرابطاً سياسياً على المصريين

(١٢) الا ان لما كان مصدر المداخل الكنائسية هو الشعب جاز له الاعتراض على تأديتها لاسقف من غير مذهبه فبعث للقسطنطينية كاهناً اسمه يوحنا يسترحم الامبراطور بابدال الأسقف ، فوعده

الامبراطور انه سيفعل متى ستحت الفرصة وبعد قليل مات تيموتاوس وأراد الشعب يوحنا اسقفاً لكنَّ الامبراطور لم يرده فدعى للأسقفية بطرس منجوس مختار الرعية سالفاً واتفق معه على العمل بقرارٍ مجمعٍ نيقياً وترك اللدد بشأن قرارٍ مجمعٍ خلقيدونيا

(١٣) فهرب يوحنا الى روما كعادة سالفته يتظلم لأسقفها فيليكس

خاطب هذا القسطنطينية بأمره وكان بطرس بهذا الاثناء قد تضىع عهده مع الامبراطور وبasher باضطهاد الرهبان المتسكين بقرارٍ مجمعٍ خلقيدونيا فبعث له الامبراطور حاجبه قوسماس ينصحه ان يعتدل

ولما لم يرتدع بعث القائد ارسينوس فسجنه مقيداً لقسطنطينية ليحاكم

(١٤) لكنه بعد قليل مات فيها فتوفى المصريون لانتخاب اسقف

وديع ذكي يسمى اثناسيوس فضمم جراحات الكنيسة بحمله واراح

الامبراطور من اخبار النزاع والشتانات لأجل المذهب

(١٥) وكان بهذا الزمان فيلسوف افلاطوني يسمى هيروفليس وكانت

الناس تقبل عليه لاستماع فصاحته التي لم يتعرض فيها للمسيحية قط

فأراد الحكم اكرابه على اعتناق هذا الدين لكنَّ الامبراطور أمر

بالغفو عنه . والمؤلفات التي تركها لنا تشهد له بسمو الآداب وحسن الطوية

(١٦) والمظنون انه بهذا الأوان وجد ايضاً المنطيقي تريفيدوروس

الاسكندرى ناقل او ديسه او ميروس متكلفاً فيها عدم استعمال

حرف السين اقتداءً بالمنطيقي نسطور قبله الذي يقال بأنه قل

- الإلياذة متكلماً فيها الاستغناه عن بعض حروف كالألف والباء  
وهو تكمل ان صحيحاً عديم الفائدة ومن عبث الامور  
(١٧) وبهذا الزمان صنف العالم فلوبطوس الصعيدي في ليفيوبولي حكاياته  
الشعرية باختطاف هيلانه وهي حكاية عن ثالث إلهات ، وينوس  
ويونو وهيلانه ، يتخاصمن أينهن الأجل فيحكم بينهن فاريس  
خاطف هيلانه وأخذها الى تروادا حيث كانت الحرب الشهيره  
بسبيها ، وهي حكاية من خرافات اليونان القديمة الا ان حكاية  
فلوبطوس أكثر احتشاماً مما أتى قبلها اذ الحكم فيها بجمال الوجه فقط  
واكثراً ما كان من تهتك وينوس امام الحكم انها كشفت له عن ثديها  
(١٨) ولعدم وجود من يستحق الذكر من علماء المسيحيين بهذا الزمان  
نكتفي بذلك عوطاليس اسقف سولقة بالصعيد الذي خلف بعض  
ملاحظات على رسالات الحواري بولس اهداها لبطريرك اثنا سبعين  
وبعده بقليل جمع المنطيقي حزقيوس قاموسه اليوناني الذي كان اوف  
قاموس لذاك الوقت . ومن استعاراته له بعض امثال من الانجيل  
يُستفاد بأنه كان مسيحيًّا
- (١٩) ومن كتب هذا الزمان ايضاً كتاب طويل بالطب للنطاسي  
عيتنيوس الاسكندرى يصف فيه علاجات الاولين والآخرين حتى  
ما هو لتطرته جمال المرأة ، وينقل عن الملك تھفنسوس فائدة خاتم  
اليصب الأخضر لبعض العلل

## انتسas سنة ٤٩١ م الى ٥١٨

(٢٠) ولما آل الحكم الى انتسas جرى بسياسته على قدم سلفه في مصر فان الاربعة الاساقفة الذين تداولوا كرسي الاسكندرية بزمانه كانوا يعقوبيين ، وهم يوحنا ويوحنا آخر وديوسقوروس وتيتوس اوس حتى توه المصريون بأنه من مذهبهم ، فأراح البلاد من المنازعات الدينية . اما اساقفة باقي المملكة فلم يكونوا راضين عن نفوذ اليعقوبيين لا بل ان المؤرخ الكثنايسي يصف تلك الازمنة بأزمة الضلال والفتور بالدين . واسقف تونس يزعم بأن المصريين ابتووا حينئذٍ بفرض ترکهم ينبحون بالأسواق كالكلاب ولم يكن له دواء الا الرجوع لمذهب مجمع خلقيدونيا

(٢١) لكنه لم يتم له تنصيب الاسقف ديوسقوروس بدون مقاومة من الشعب بدعوى ان ارتسامه لم يكن على السنة الرسولية فاضطر حاكم الاسكندرية الى خفره حتى أجلسه على كرسيه في كنيسة مارمرقص

(٢٢) ومع كل لطف هذا الامبراطور بالمصريين لم يقدر على إزالة كرهم للاغريق فكان آخر امبراطور ييزنطي ساهمهم بالحكمة

(٢٣) وبالسنة العاشرة من هذا العهد اغار الفرس على المملكة فدخلوا سوريا . وسنة ٥٠١ خيّم قائدتهم قبادس تحت اسوار الاسكندرية لكنها اعجزته فارتدى عنها خائباً اغا لانقطاع الطرقات بسبب دخول

القرن البلاط اقطعت عنها واردات الطعام فحصلت مجاعة بالمدينة  
وفشى بسببها الوباء حتى ضجَّ الناس بالعويل والبكاء فانبرى  
ل بواساتهم رجل غني من اليهود المتصرفين اسمه ارييب واد جاء احد  
الفصيح اخذ يوزع عليهم حسانته بكنيسة ارقاديوس لكنهم لشدة  
 حاجتهم وجوعهم كان ازدحامهم عليه عظيماً حتى مات منهم فيه  
فوق الثمانمائة نسمة

(٢٤) ومن آثار هذا الزمان النفيسة نسخة بديعة الخط والتصوير من  
كتاب ديوسقوريدس بالنباتات ونسخة بصيغها من سفر التكوين  
كتاها الان في مكتبة وينا (فينا) ليس لها نظير

(٢٥) وبانتشار المسيحية تعطلت المراسخ اليونانية القديمة وابدلت تلك  
الطرازات الشعيرية الطفيفة لاسقياوس وسوفوقل وعربيدس  
بسياقات الخيل ماخلاً مراسخ الاسكندرية التي ظلت مفتوحة لآخر  
هذا العهد للالعاب والرقص

(٢٦) وكانت المنارة القائمة على جزيرة فاروس من عمل بطليموس الثاني  
قد اهملت وكادت ان تخرب فأمر انستاس بالاعتناء بها وترميمها وهي  
العلم الذي اهتدى به الملائكون للمرأة مدة سبعمائة سنة. وعن اسم  
هذه الجزيرة نقل الفرنساويون اسم «فار» لمنارة بلغتهم

## الفصل العاشر

يوستن الاول . يوستينيان . يوستن الثاني . طباريوس

موربي . فوقيس . هيراقليوس

سنة ٥١٨ م الى ٦٤٠

يوستن الاول سنة ٥١٨ م الى ٥٢٧

(١) وخلفَ انتاس على كرسي القسطنطينية يوستن الاول بينما كانت الفرس تشن الغارات على اطراف المملكة التي كانت قوتها من سنة لسنة تقل وتضعف نظراً لضعف العنصر اليونياني بالقسم الشرقي منها فان تحجزة المملكة بين اولاد قسطنطين كانت تتيح لها تحويل العاصمة من الاسكندرية لانطاكية . والآن اذ بدأ اليونان يهاجرون ايضاً من انطاكية اخذت قشة من كنيسة سوريا واسقفها سويروس باتباع مذهب مصر اليعقوبي ولكنَّ الجمهور انكر عليهم ذلك وتهدد الاسقف بالقتل فهرب للاسكندرية ، اما بوصوله لها وجد بأنه لا يمكنه ان يصادق على مذهب المصريين برمته ايضاً . فان مذهبهم كان بأن

يسوع لم يُصلب بل شُبّه للناظرين كاجاءٍ فيما بعد بالقرآن ، ومذهبه لم يكن كذلك . ولنا من تصنيفه شروط العياد باللغة السريانية يستفاد منها وجوب مسح جسم الطفل بالزيت المقدس قبل تغطيسه بالماء ولحق به كثيرون من رهبان سوريا ونزل أكثرهم بدير جبل نظرية فصارت كتبهم فيه عربية وسريانية ولم يبق للغة اليونان استعمال البة

(٢) لكتنا بالسنة الثانية من هذا العهد اذ توفي الاسقف تيوتوس ، نجد المتصريين منقسمين الى فترين فتنة تقول بذهب سويروس وفتنة تقول بالضد . فأهل الذهب الأول انتخبو غيانا اسقفاً عليهم واهل الذهب الثاني انتخبو تيودوسيوس . وتجدد التزاع بينهم لعدة سنين فتارةً يسود حزب وثارة يسود الآخر وكلما ساد فريق اجل الخصم عن الاسكندرية

(٣) وكان الامبراطور السالف قد اجتهد ان يحرك عرب حمير اليهود اصحاب تجارة الهند والحبشة مع مصر ضد الفرس وانصارهم عرب اليمن فيوستن ارسل الآن لهم بعثة ينشطهم على ذلك وكان رئيس وفده يوليانيوس فاستقبله ملوكهم الحارث بأوف حماوة وآكام وهو راكب عجلة تجرها اربعة افيال ، عاري الصدر والاكتاف وعليه ازار من الحرير الملوثي بالذهب وذراعاه محليان بالدماج الجوهرة ويديه مجنّ ورمحات وآكام دولته حوله بالعدة الكاملة من السلاح وهم يرددون بحضوره انا شيد المدحع . ولما ناوله الرسول كتاب الامبراطور

اخذه قبّل ختمه ثم عانق الرسول واستلم منه هدية يوستن ثم فضَّ  
الختم وقرأ الكتاب وأجاب بقبول ما اقترح عليه من مقاومة الفرس  
شمالاً وخمارة طريق التجارة مع الاسكندرية جنوباً

يوستينيان سنة ٥٢٧ م إلى ٥٦٦

(٤) ولما آلت الحكم إلى يوستينيان دعى الأسقفيين من الاسكندرية  
للعاصرة ثم أبعدها واقام بولس اسقفاً واحداً عوضهما ليعمل بقانون  
جمع خلقيدونيا . وبعد سنتين أبدله بالاسقف زويروس أيضاً بالرغم  
عن ارادة المصريين فاحتملوه ست سنتين ثم طردوه وطردوا كافة  
اساقفة المذهب الاغريقي

(٥) وازد بلغ الامبراطور ما اجراء اليعقوبيون بعث ابوليناريوس اسقفاً  
وحاكماً على الاسكندرية فدخلها على رأس الجندي بزيه العسكري  
ولما وصل للكنيسة خلع ثوبه العسكري وليس بذلة الاسقفية وبasher  
تلاؤه الصلاة لكنه لم يفتح فاه حتى اتاه الرجم من كل مكان  
واضطر إلى الفرار من الكنيسة فكث ثلاثة أيام ثم ارسل منادياً  
بالأسواق يدعى الناس للكنيسة لاستماع قراءة كتاب الامبراطور  
بالاحد المقرب فاجتمعوا وازد افتتح خطابه يتهدّم بالقتل ، والنساء  
بالسيّ ، رجموه كالاول لكن باشارة منه دخلت الجنود الكنيسة  
شارعة سيفوها فوقعت على القوم تضرّبهم بها حتى جرى الدم المركب

- وانصرف منهم من سليم ، وبعد ذلك لم يجتري أحد على مقاومة الاسقف الاغريقي الملكي وهذا كان اصل الروم الملكيين
- (٦) ومن ثم استتب الامر للأساقفة الملكيين بصفة كهنة وولاة الا ان مصالحهم الملكية كانت تشغلهما أكثر من الكنائسي لاسيما بتحصيل الاعشار والتجارة بها مع اوربا . وبعد زمان صار مدخول البطريركية وزن الذي رطل مصرى ذهباً او ثمانين الف ليرة انكليزية من عملتها الآن اما اليعقوبيون فكان بطركتهم من صنف الرهبان لا شاغل له عن الدعاء لام الله والخواري مرقص . واختلف الطقس الكنائسي بين الفريقين فالمملكون ثابروا على تلاوة الصلوة القديمة المنسوبة لمار مرقص زائدين عليها الشهادة بوجدة جوهر الاب والابن . واليعقوبيون صاروا يتلون الصلوة الجديدة المرتبة لهم من كيريل وباسيل القىصري وغيريوريوس النازيني باللغة القبطية والشهادة بالطبيعة الواحدة الاهية كائين غيظهم من الاغريق وكلما سمعوا من جيرانهم العرب عدم تعرض الفرس لذهبهم وكنيساتهم كلما ازدادوا كرهًا وبغضًا لولائهم
- (٧) فاتتبه الامبراطور اخيراً لهذا الحيف وشعر بضعف مملكته والخطر الذي يهدده من جهة الفرس فأعرض عن الجور على اليعقوبيين لا بل انه اعتنق مذهبهم ومذهب العرب جيرانهم رغبة في اكتساب ولائهم

(٨) أما الفرس فبعد استيلائهم على سورية وانطاكية دخلوا حجر عاصمة النبط فأمر يوستينيان ببناء حصن بالقرب من جبل سينا . و بالسنة الثلاثين من ملكه تم البناء فشحنته بالرهبان على نفقة الخزينة ثم وجده منكشقاً من تلٍ أعلى بالجبل فغضب على بانيه وقتله وبني قلعة أصغر على ذاك التل . ومن كتابة الرهبان الباقية على جدران هذه القلعة يستفاد منها اعتقادهم بأن هذا التل هو المكان الذي فيه وقف موسى الكليم وانزلت الوصايا العشر

(٩) وبالقرب من هذا الزمان كان أيضاً بنيان ديرين اشبه بالمحصون على نحو عشرين ميلاً من البحر الاحمر وعائدين جنوبًا من اسوان لا ابواب لها ، الا ان جدرانهما كانت من اللبن . وكان احددهما على اسم مار انطونيوس والآخر على اسم مار بولس اول النساك المسيحيين . ومن ذاك الوقت الى يومنا هذا لم تخلُ هذه الاديرة من الرهبان ولفقيرهم وسلامة طويتهم لم يتحرّش بهم ياغٍ يلما حصون الظلم والعدوان من حولهم قد دكّها الغزاة دكًا وابادوا اهلها

(١٠) ولذاك العصر كانت تجارة الشرق الاقصى والصين مع مصر تمر بجزائر سيلان وسوقطرا ليد عرب وزوج اميin لا يستفاد منهم شيء عن تلك البلاد فضل الافريقي زماناً يظنون بأن مصادر تلك الاموال من الحرير وغيرها هي بلاد العرب اما سيلان فكان فيها كنيسة للسريان من رعايا مملكة فارس . والعملة الجارية فيها كانت رومانية . فبهذا

الزمان زادت حركة التجارة معها ، بعد ان ملك الجبشا حداد اليهودي  
 كان قد زحف ضد اليهود رحيم وقتل ملكهم داميانيوس (١) لما  
 كان يصدر منه من التعدي على قوافل التجار . ثم قام بخماراة الطرقات  
 وطلب من الامبراطور ان يبعث له مرشدين للدين المسيحي فبعث  
 له الراهب يوحنا رجلاً صاحباً ذكياً ، الذي صار فيما بعد اسقفاً لعدولا  
 وربما ان هذا الانتصار هو المنوه عنه بكتابته على قاعدة من الرخام  
 قرأها التاجر قوسناس الاسكندرى يقول بأن الملك جاز البحر الاحمر  
 ووضع الجزية على العرب والصابئين وأذل قبائل الشمال وفتح الطريق  
 لمصر وفهر الافريقيين شرقاً على شطوط ارض البخور ومرّ بجبال  
 الثلوج التي تخرج منها احدى شعوب النيل ، وهذا اول خبر سمعناه عن  
 وجود الثلوج بالقرب من خط الاستواء . اما اسم الملك فلم يعرف لانه  
 كان مقطوعاً منها

(١) فالآن ارسل يوستينيان بعنان لمير وبعثاً آخر للجبشا فدخل رسوله  
 اولاً عدولاً على طرف بلاد النسخ البحري ومنها صعد بخمسة عشر  
 يوماً الى عاصمة البلاد اخض . وشاهد بطريقه قطعاً من الفيلة يحسب  
 انها كانت تزيد عن خمسة آلاف رأس وبعد تأدية رسالته قطع

(١) لمد ذونواس

(٢) ١٣

البحر الى ملك حمير قيس حفيض الحارث الذي كان يوستن  
راسله قبلًا

(١٢) وبعد هذا الزمان انتقض الحميريون على الجبسة بفرد ملك الجبسة  
جيشه ضدتهم وأخضعهم وأقام عليهم ملكاً مسيحياً اسمه غطيمافوس  
الذي استدعي الاسقف غريغسطوس ليرشدهم للمسيحية فكانوا  
يجادلونه ويعترضون على التشليث الى انهم اتفقوا على مجادلة علنية  
تكون بيلات الملك بين الاسقف والخاخم هربان . والمؤرخ الكنائسي  
يقول بأن لما هربان أنكر التشليث ضربه الله مع رقائه اليهود بالعمى  
لکنهم بدعاه الاسقف عاد لهم بصرهم وتنصروا عن آخرهم  
وهم وقوفٌ

(١٣) ثم انهم بعد قليل انتقضوا على غطيمافوس فبعث ملك الجبسة  
جيشاً ليخضعهم لكن لما وصل الجيش اليهم استمالوه بهداياهم وتلطفهم  
فأبى محاربهم وأخاهم فاضطر الملك الى مصالحتهم ويستفاد من كتابة  
رومية على حجر في اخرم بأن بعد هذا الملك وجد ملك يُسمى  
الجنس تقول الكتابة بأنه المريخ ملك الملوك سيد الجبسة والرجم  
والصباين وارض حمير وفاهر البحرة سكان الشمال بين اخرم ومصر

(١٤) وكانت اخرم مزداناً بالعمد وفيها مسلات كسلات مصر ولم  
تزل منها واحدة طوحاً ستون قدمًا قائمة فيها، لكنها لا كتابة عليها.  
ومن يهود الجبسة وصل اليها كتاب اخنون الذي اكتسب وقاراً من

استشهاد الحواري هود به والا فانه كتاب مزور بعضه منقول من التوراة وبعضه ملتف من قصص الميلاد يومئذ يخبر بالحوادث قبل وقوعها والام يخالف ذلك

(١٥) وبهذا الزمان اعتل توريد الخراج من مصر للقسطنطينية من طمع الحكام والموظفين فرأى الامبراطور ان يجعل الحكام والاساقفة المسؤولين بتصدير ثمانمائة الف اردب سنويًا ل العاصمه كان مصروف جمعها وتوريدها يبلغ ثمانين الف صولدبي او ستين الف ليرة من عملتنا الدارجة

(١٧) وهذا الزمان كانت جنائز بريطانيا تخبط من تعدى السكسون  
عليها ، والرومانيون لا يهتمون لها لبعدها عنهم وضففهم عن حمايتها . أما  
تجار الاسكندرية فكانوا اذا جاء الصيف يندون اليها بيرا كبهم  
وغلاظهم للمقاوضة بقصد يرها وفضتها فيبيعون كيلة القمح بما يوازي  
عشرة بنسات من عملتنا الحاضرة . وهكذا كان الفينيقيون يفعلون

قبلهم بثمانمائة سنة واكثر ومع ذلك لذاك الوقت لم يخطر لابريطاينين ان يتعمدوا طريقة الاسفار البعيدة بمراكمهم . وهذا السفر كان اطول سفر تلك الايام وأبعد من السفر من البحر الاحمر لسيلان لكنه ربما استغرق عشرين يوماً فقط اذا ساعدته الهواة والاً فأشهرأ . ولا شك بأن قدوم هؤلاء التجار لشطوط بريطانيا قد أفاد برابرتها مباديء المدن وهيأهم له

(١٨) لما ألقى الامبراطور مسؤولية الخراج على الحكام والاساقفة والموظفين معهم وكانت القراء أحياناً تسطوا على انبار الخنطة وتهربها اضطر حاكم الاسكندرية الى تحصين انبار الخراج بالفيلة فبني حولها سوراً منيعاً واصلح القنطرة المؤدية لقرية حيروم ونقل داره الى مسافة يوم غربى الاسكندرية احتياطأ من ثورات المصريين

(١٩) ثم ان يوستينيان امر بأن لا تستأنف دعوى العاصمة قيمتها تحت عشرة ارطال ذهب اي خمسمائة ليرة انكالايزية ، وحرّم على من يقي بالاسكندرية من علماء الفلسفة ان يخطبوا فيها، فهاجر منهم كثيرون الى سوريا حيث الفرس اكرموا بموهان لا بل انهم فيما بعد لما عقدوا شروط الصلح معه اشترطوا عليه قبول هؤلاء العلماء بالاسكندرية وعدم التحرش بهم

(٢٠) ولذاك الزمان كان يظن بأن ارض مصر لا تعرف الزلازل، لكن المؤرخ اغاثيا البيزنطي الذي كان بالاسكندرية ليتم دروسه فيها

بعد درسه الفقه في بيروت يخبرنا بأنه بوجوده بالاسكندرية اشعوا  
بزلة وتركوا بيوتهم خوفاً من سقوطها عليهم وان لم يسقط منها شيء  
(٢١) ومن بعده هذا الزمان كان ما ذهب اليه الراهب تيمستيوس من  
انكار العصمة من الخطأ ليسوع ، وما ذهب اليه الراهب تيودوروس  
من انكار بشريته . وكان قوسماس التاجر المذكور آنفًا قد ترهب  
أيضاً وصار يقول بأن البحث بنص الكتاب المقدس حرام ، وقول  
عاماً الهيئة بأن الأرض كرهٌ هو كفر بنص التوراة الذي يقول  
بأنها مبسوطة

(٢٢) وبأول الأمر كنارى المسيحيه تستند على الفلسفه لتنقية دعائم  
الإيمان . لا بل أنها كانت شريكتها بالعلوم وسيديتها بالأداب . لكن  
اذ عقب ذلك اضطهاد حسين سنة من عهد ديموس الى ديوقليتيان  
وتكلّر عدد المنتسبين لهذا الدين صار احق الرهبان يستهزئيء باراء  
قلامنس واوريجين ويلعنهم . ولسره هذا الجھوز اسم العاماً ، صار  
يكره حتى العلوم نفسها

(٢٣) وبالستين الاخرية من اسقفية ابوليناريوس لم يكن له ادنى اعتبار  
عند الاغنططيين ولا التيودوسين ولا اليعقوبيين فاعتزلوا كاهن عن  
كنيسه ثم اذ مات أحد الاساقفة وأراد أبوليناريوس اقامه اسقفاً  
عوضه لا يرضي الاغنططيين نتفوا الحية أحدره بناءً بأسواق الاسكندرية  
ثم بعد قليل مات أبوليناريوس وأقام الامبراطور الاسقف يوحنا

خلافاً له ، فالقبط لم يستعرفوه واليونان أتهموه بالمانوية . وبعد ثلاثة .  
سنين مات فانتخب القبط بطرس اليعقوبي بطركاً لم ترضه الاغريق .  
وبالسنة التي مات فيها يوستينيان مات بطرس ايضاً

(٢٤) وكانت تقدود مصر من عهد ديوقلينيان قد صارت كاها سلطانية . اما  
تقدود يوستينيان فكان منها ما عليه اسم الاسكندرية بالحرف الاغريقي  
وصورة الامبراطور و بازائها علامه الصالب ، وزنها كان غير اوزان .  
تقدود القسطنطينية . فان تقدود القسطنطينية كانت من ٥ و ١٠ و ٢٠  
و ٣٠ و ٤٠ درهماً معتبر عنها بالحروف الابجدية ه ي ك ل م  
اي M A K I E أما تقدود الاسكندرية فكانت أولاً بوزن اثنى  
عشر درهماً معتبر عنها بالحروف ب ي اي B ثم صارت بوزن  
ثلاثة وثلاثين درهماً معتبراً عنها بالحروف ل ج أي L G ولما بالمداولة  
خف وزن الاولى صارت الثلاثة منها تصرف بواحدة من الاخيرة .  
وأظن ان الدرهم عندهم كان وزن اثنى عشرة حبة خربوب

(٢٥) في عهد مرقيان كانت جزيرة فيله وفيها معبد ايزيس مائجاً وثنين .  
ذلك الزمان اما في عهد يوستن الثاني ، يظهر من كتابة وجدت فيها  
أخيراً ، بأنها صارت أسلفية ومعبدها صار كنيسةً وحكم هذا الامبراطور

انى عشرة سنة لا شيء فيها مما يذكر عن أحوال مصر ولا بالأربع  
السنين بعدها من حكم طيباريوس

موريقى سنة ٥٨٢ م الى ٦٠٢

وكسرى

(٢٦) ثم آل الحكم الى موريقى زوج ابنة طيباريوس . وبالعشرين سنة  
التي حكم فيها كانت الملكة على نوع ما مطمئنة لانشغال أخصامها  
الفرس بحر كاتهم الداخلية الى أن أسقطوا ملوكهم كسرى حفيض  
كسرى انور وان فهرب منهم متجهاً موريقى وراجياً منه أن يمده  
برجاله وماله ضد أعدائه فأحبه موريقى ورثى حاله وأمده بما طلب  
فارتحل ببلاده واستعاد كرسىه وعزه فزوجه موريقى ابنته وظل  
عنه بعزة ولد الى ان مات

(٢٧) وبهذا الزمان أنشأ هولوجيوس أسقف الاسكندرية نُزلاً للفقراء  
واشتهر الراهب أنسناس من دير جبل سيناء بعلم اللاهوت وألف  
الناسك يوحنا قلياقوس في وادي طل على سفح الجبل المذكور  
كتابه بفضل العيشة الرهبانية الذي سماه أدرج النعيم وقسمه الى  
ثلاثين درجة كمدد الثلاثين سنة الاولى من سني يسوع

(٢٨) اما الاعظم شهرة من رجال تلك الايام كان المنطقي يوحنا الفيلسوف  
الارسطوطاليسي ولكنه لقوله بأن الآلهة هي ثلاثة خرج عن الكنيسة

وهذا هو يوحنا الذي عرفه عمرو بن العاص فاتح مصر فيما بعد وأكرمه (٢٩) وبآخر أيام موريقي ألف تيوفلاقطوس سيموقطا كتابه بمحية هذا الامبراطور وحرر به مع الفرس يقول فيه بأن الميلة التي مات فيها بالقسطنطينية سقطت أنصاف الاسكندرية من قواعدها وان انساناً نصفه حيوان خرج قبيل ذلك من النيل وأخبر بقرب أجله (٣٠) وبينما كان المشرق يخيم عليه ظلام هذا الجهل بزغت شمس المهدى والعرفان في اقليم انكلترا المسمى الان كيست بقدوم الراهب الروماني اغسططين مبشراً بالmessiahية فيها، وأنورت مكة بالهلال الحمدي

## فوقاس سنة ٦٠٢ م الى ٦١٠

(٣١) ثم انتقض الجندي بالقسطنطينية على موريقي، وأحدهم فوقاس توصل إلى قتله فرفعه الجندي لكرسي الملكة . لكن اذ بلغ كسرى قتل جمه كرسي بخيشه للانتقام من قاتليه فاخترق البر إلى ان خيم تحت أسوار القسطنطينية ، ولما لم يقدر على فتحها ظل محاصرأ لها مدة هذا الحكم كلها فتضائق أهلها لانقطاع المؤن عنهم وضجروا من استبداد فوقاس بهم . وبالسنة السابعة من ملكه خلعت الاسكندرية طاعته وبأيام هيراقيوس ابن حاكم القبروان امبراطوراً وقتل البطريرك بالحركة فيها . وبعد قليل دخل هيراقيوس بأسطوله مياه القسطنطينية واستولى عليها فقتل فوقاس وأخذ كرسيه

## هيراقيوس من سنة ٦١٠ م الى ٦٤٦ م والفرس

(٣٢) وبالثلاث السنين الاولى من حكم هيراقيوس كان اسقف الاسكندرية تيودوروس . ثم انه مات فأقام الامبراطور عوضه الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرس برضى المصريين ، فأصاب لأن هذا الأسقف أبدي من الاحسان والرأفة بالقراء ما أكسيه لقب المحسن . وبعدة الخمس السنين الاولى من استقفيته بني عدة مستشفيات لامراضي ولتوليد النساء ونُزُلاً للبائسين . وكان مذهبة بال المسيح انه لم يُصاب بل شُبَّه له

(٣٣) أما الفرس فانهم بقدوم هيراقيوس للقسطنطينية رحلوا عنها وانتشروا بأملاكها الشرقية الى حدود مصر . فكانت تهرب من وجههم السكان الى الاسكندرية حتى ضاقت المدينة بالقراء والسلوبيين واضطرب البطريرك يوحنا الى مساعدتهم فأتفق عليهم من خزينته قيمة ثمانمائة الف ليرة من عملتنا الدارجة الآن واستدان فوقها مبلغا آخر لسد احتياجات هؤلاء الساكين ، ولسوء حظهم لم يفر النيل بتلك السنة فأحملت البلاد وقللت الأطعمة وتسر بلت الايادي . وبالسنة الخامسة من هذا العهد فتح الفرس اورشليم وبالثامنة فتحوا الاسكندرية واشتروا منها ما كان فيها من حبوب الخراج بثمن بخس جداً . ومن ذلك الحين اقطع خراج مصر عن القسطنطينية

(٣٤) وكان حاكم مصر نيقি�طاً يرى أن لا قدرة له ولا مدد من القسطنطينية لرد الفرس فهرب لقبرس والبطريرك يوحنا معه . وهكذا لما وصل الفرس للإسكندرية دخلوها بدون قتال لا بل بالترحاب من القبط الذين كان أول اهتمامهم انتخاب أسقف يعقوبي يُسخن بنiamين بدون تحوش من الفاتحين ولا حرج

(٣٥) وبهذا الزمان حضر للإسكندرية الأسقف السوري توماً ليصحح ترجمة العهد الجديد السريانية على الأصل الأغريقي الذي كان في دير مار انطونيوس ، وتصحيحه هذا صار المعلول عليه فيما بعد . أما الترجمة الموجودة الآن في دير الراهبان الأغسطسيين في روما فهي من عهد هيراقليوس . وبهذا الوقت كان العالم السوري بولس من طلّى بدير مار زاخوس بالإسكندرية يعتنى بترجمة التوراة من النسخة السبعينية الأغريقية . وفيه شاع ذكر النطاسي هارون السوري الذي صار فيما بعد قدوة أطباء العرب . وازداد بهذا الزمان توارد الراهبان السوريين لا سيما من شرق الفرات إلى جبل نطرتون ولم ينقطع لقرون عديدة

(٣٦) ولما كانت السنة العاشرة من الاحتلال الفرس أرض مصر انتقض عليهم أنصارهم العرب والسوريون الذين سهلوا لهم أولاً هذا الاحتلال نظراً لما بينهم وبين المصريين من الإخاء فاغتنم هيراقليوس

فرصة هذا الانقسام وزحف ضدهم فأجلالهم بوقت قصير عن سوريا  
ومصر وهرب البطريرك اليعقوبي معهم

(٣٧) وبالسنة الثانية عشرة من حكم هيراقليوس وهي سنة ٦٢٢ م  
هرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، داعي العرب للإسلام ، من  
اعدائه القرشيين بكة الى المدينة في ليلة الجمعة سادس عشر شهر  
چولي الذي صارت تُورَّخ منه فيما بعد سنو الهجرة . وبعد ذلك  
رأى هيراقليوس اتحاد العرب واتفاقهم على النبوة فكان يجاملهم  
ويكرههم ب بداياته الى أن قُبض النبي فقطع علاقاته معهم

### العرب والخلافة سنة ٦٣٢ م و ١١ هجرية

(٣٨) وبُويع لأبي بكر بالخلافة بالمدينة في شهر ربيع الأول في اول  
سنة احدى عشرة هجرية يوم تُوفى النبي . قال عمر ان أبي بكر كانت  
بيعته فلترة وق الله من شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فائماً رجل  
بایع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فليقتل الرجال . وقيل لما بلغ  
ذلك علي بن أبي طالب لم ينكره . و اكثر ما روي أنه قال ما مَا شاورتني  
فأجابه أبو بكر بما أتسع الوقت للمشورة وإنما خفنا أن يخرج الامر منا  
ثم صعد المنبر فقال أقليوني من هذا الامر فاست بخبركم . فقال علي  
لا تقليل ولا نستقليل ، فأجمع الاتنصار والمهاجرون على خلافته التي  
بایعه عليها اولاً عمر فقط

(٣٩) ولما ذاع خبر وفاة النبي ارتد خلق كثير من العرب ومنعوا الزكاة واشتدر رعب المسلمين بالمدينة لاطلاقهم على الردة فآفوا الذراري والعيايل الى الشعاب ، فأمر أبو بكر خالد ابن الوليد على الناس وبعثه في اربعة آلاف وخمسة مائة من الرجال فسار حتى وافى المرتدة وناوشهم القتال وسبى ذراريهم واقتسم اموالهم . ثم ارسله ضد مسييماة باليهامة لادعائه النبوة فحاربه ورماه عبد اسود اسمه وحشى بحرية وقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً . ومن هناك توجه خالد الى ارض العراق وفتح الحيرة صلحًا . ومسييماة المذكور هو الملقب بالكذاب

(٤٠) وكان أبو بكر قد وَجَهَ قبل ذلك ابا عبيدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هيراقليوس ورود العرب ارض الشام فوجه اليهم بطريق سرجيس في خمسة آلاف رجل لمحاربتهم . وكتب أبو بكر إلى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره ان يسير إلى أبي عبيدة بالشام ففعل والتقي العرب والروم فانهزم الروم

(٤١) قيل ان ابا بكر لما دنا اجله قال لعثمان بن عفان كاتبه ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن ابي قحافة وهو في آخر ساعات الدنيا وباوّل ساعات الآخرة ، ثم غيّ عليه ، فكتب عثمان

« إلى عمر بن الخطاب ». فلما أفاق قال ، من كتبت ؟ قال عمر قال قد أصبت ما في نفسي ولو كتبت نفسك لكنت أهلاً له وأجمعوا على ذلك ودعوه خليفة الرسول ، ثم قالوا هذا يطول فسمى أمير المؤمنين

(٤٢) وفي زمان خلافته كان فتح العراق وسقوط ملك العجم وفتح دمشق وأورشليم ومصر . واذ بلغ مصر ان العرب يقصدونها هرب بطرك الاسكندرية جرس بحراً واقام الامبراطور عوضاً عنه الاسقف قيروس الماروني الذي كان على مذهبة بالقول بالطبيعتين والشيعة الواحدة خلافاً للذهب الملكيين بالطبيعتين والشيعتين ولذهب اليعقوبيين القائلين بالطبيعة والشيعة الواحدة . فازداد هؤلاء نفوراً من الاغريق وكراهاً لهم وهكذا لما دخل عمرو ابن العاص ارض مصر وجدهم من انصاره ضد الروم . اما الاسكندرية فكان فتحها في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٦٤٠ م وغرة محرم سنة ٢٠ هجرية

(٤٣) ولما شاهد عمرو مدينة الاسكندرية عجب من عظمتها فكتب الى أمير المؤمنين عمر يقول أني فتحت مدينة مصر العظمى ووجدت فيها أربعة آلاف قصر ومثلها حمامات واربعمائة مرسخ وأثنى عشر ألف حانوت واربعين ألف يهودي يدفعون الجزية وأني باعث اليك ما طلبته مني من الطعام احالاً يكون اولها عندك وأخرها عندك

(٤٤) وكانت شروط عمرو مع المقوق زعيم القبط على ان تكون القبط الحرية المطلقة بدينهم وعليهم جزية ذهبين عن كل رجل . فقول المؤرخ العربي ان الجزية جمعت ثمانية آلاف الف ذهب فيه إما مبالغة واما جور من عمرو معا اشتهر عنه من الرفق بالمربيين لانه من الحقائق بأن ذاك الشعب برمته من صغير وكبير رجالاً ونساءً لم يكن حينئذ يفوق اربعة آلاف الف نسمة

(٤٥) وقد لاق عمرو بفتحه الاسكندرية تعباً جماً ومقاومة عنيفة من الروم ، وليس كما يزعم ابو الفرج بأنه فتحها صلحًا

(٤٦) فللاسكندرية رغمًا عن اخطاطها عما كانت بأوان عزّها فانها بعین هؤلاء العربان كانت ثری ولا بد بغایة الجمال والكمال . فان الناظر اليها من البحر كان يرى تلك المنارة على جزيرة فارو وهي اول منارة عرفها الناس واستفادوا بها . ثم يرى السد الذي يصلها بالبر على ثلاثة ارباع الميل وتحته القنطرة لمرور المراكب الصغيرة من مرفاعاً للآخر . اما قنطرة الماء العذب التي كانت فوقه فانها كانت قد تعطلت . ثم بنزوله للبر كان يدخلها من باب الشمس . وبعيداً منه يرى باب التمر و بينهما طريق واسع مستقيم مزان بالعمد وفيه ضريح الاسكندر وطريقاً آخر يعارض هذا ذاهباً شرقاً وغرباً من الباب القانوبي الى باب المقابر الذي لم يكن باقي من عمده زينته الا القليل . اما الموزيوم الجديد فكان قد اقفر من الطلبة . ومدرسة الفلسفة المسيحية

قد مُحي اثراها . وخارج الباب الغربي كانت ترى المقابر القدعية والمسيحية الجميلة المنظر . أما مقبرة اليهود فكانت حقيقة وخارج الباب الشرقي . وكان يرى بالقرب من الباب الغربي داخل السور معبد سيرابيس البديع الذي لم يفتقه جمالاً غير قايليتول روما ، وقد صار الكنيسة الكاتدرائية وفي ساحتها العمود الشامخ حاملاً تمثال ديوقليتيان على فرس . وتليه كنيسة كانت قد يليها قيسار او السباسته امامها مسلتان من عمل ثيبيه اتى بهما الرومان الاولون وبقى اياها كنيسة مسيحية . وكانت بالمدية كنائس اخرى اعظمها كنيسة مار مرقص ، والسيدة ، ويوحنا المعمدان ، وتيودوسيوس وارقاديوس ، وباخوس ، وكان الميدان على الشاطيء الشرقي قد صار خراباً ، ومن تلك الجهة كانت ترعة النيل تأتي المدينة لشربها وعلى هذا الشاطيء كانت مخازن الخراج المخصنة وغير بعيد منها كانت التكية القدعية وفيها بقايا اعمدة كان اغسطسوس احضرها لبناء مدينة نيكوبوليس . وكان البرونخيوم الحصن القديم والشبيه بمدينة قد اصبح خراباً ، وحارة اليهود لم يبق فيها غير قراء يدفعون الجزية (٤٧) الا ان هذا الانحطاط لم يكن شيئاً ازاء ما جلبه تسلط البدو على هذه المدينة . وما كلام عمر ولا عمرو . فانهم اولاً ضيقوا بمحالها عما كان ، تاركين عمود ديوقليتيان خارخاً عن السور الجديد وبعد ذلك اكتفوا منها بالسد فقط نظراً لقلة سكانها . ولم يبقَ من مزارع مصر

سوى ثلاثة آلاف الف فدان او الثالث مما كانت اوان عزّها (٤٨) اما مكتبتها الشهيرة فان التي جمعها البطالسة بالموزيوم في البروخيوم كانت قد احترقت بمحصار يوليوس قيصر فيه . والى اهدافها مارق انطوني لقلاء وفطرا وكانت في معبد سيرابيس لعهد يولييان قد اتتهبت من المسيحيين بعهد تيودوسيوس . لأن المؤرخ اوروسيوس الذي زار معبد سيرابيس بهذا العهد يقول بأنه لم يجد فيه حينشدي كتاباً . لكن لا بد من أن يكون لمعبد قيصر والموزيوم القلودياني من مكتبة لأننا نرى علماء الوثنين لعهد يوستينيان وال المسيحيين بعده مستغلين بالتدريس والتصنيف الذين لا بد لهم من المكاتب . افما قول عبد الطيف بأن احراق هذه الكتب بأمر امير المؤمنين عمر قد كفى حمامات الاسكندرية ستة اشهر ففيه ولا شك مبالغة ، وربما ان الصحيح هو ان وقدها تدريجياً هو الذي اخذ هذه المدة الطويلة . اما اصل الحكاية فهو ان يوحنا المنطبي سأله عمرو بن العاص ان يسمح له بهذه الكتب اذ لا حاجة للعرب بها . فاستشار عمرو امير المؤمنين بأمرها فأجابه ان يحرقها لأنها ان كانت تطاوع القرآن فيه غنى عنها وان كانت تناقضه فاعدامها واجب وهي شنستة قد عرفناها من بعض المسيحيين قبله لا سيما وانها تخالف نص القرآن وقوله ، سبحان من علّم بالقلم علّم الانسان ما لا يعلم .

(٤٩) ومن هذا الزمان تحولت لغة مصر للعربية وخرجت الاسكندرية من نطاق اروبا ودخلت بحكم الخلفاء وتاريخهم . وخط العرب مدينة جديدة على انقاض مدينة بابل بين منف وهليوبوليس وسموها الفسطاط . وبعد زمان بنوا مدينة اخرى اقرب الى هليوبوليس وسموها القاهرة . وزينوها بالمساجد والمآذن من انقاض الاسكندرية ومنف وهليوبوليس حتى انانجذب البعض من بلاطها ، واصابها من اقدس البلاطات الوثنية ، تداس الان بالارجل

(٥٠) وبالتدريج تزايد عدد المهاجرين لمصر من عرب وسوريين ، الا ان القسم الاكبر منهم قطن المدن وقليلًا ما اختلطوا بالفلاحين نسل قبائل العائلة من افريقيا الشرقية الذين اسلموا . أما القبط فما برزوا على دينهم المسيحي وحرقهم الصناعة والتجارة . وبين سلسلييس والشلال الثاني نرى النوب سليلة النبط الذين حاربوا ديوقليتيان ومنهم كانت ملوكة ثيبة وما ورآها . وهم والقبط كانوا اولئك الذين شادوا المعابد الضخمة وحذّلوا موتاهم وكتبوا بالخط المصري القديم ، كانوا وقتاً ما كلهم مسيحيين . وشرقي النيل بالقرب من القصیر وابي سنبل الى مروي نرى عرب العبادة اصحاب الجمال كما كانوا في عهد رمسيس . وبالصحراء بين السودان والبحر الاحمر جنوب اسوان نرى عرب البشارية نسل اولئك العرب ان الذين على

رغم الاغريق كانت عيونهم في صدورهم . ونرى باللحشة سليلة اولئك اليهود المهاجرين من ايله ، وهي الان عقبه ، ربما من قبل زمان سليمان وهم للآن اقرب شبهًا بعيونهم ولغتهم لليهود من العرب . وجهة سينا نرى عرب الطور سليلة قادة موسى الى عزيون جبر على خليج ايله . وبالقرب منهم عرب العلوين سليلة الادوميين اخصاره اصحاب حجر ، وهي ملود القرآن

(٥١) وما زالت مصر من ذاك الزمان تسعد تارةً وتشقى اخرى ، ومرسحاً تلعب فيه اغراض الرجال بدولة الاسلام الى ان صارت ولاية عثمانية ، ثم حكومة خديوية لا تأثير لها على المذاهب المسيحية لا سيما وان القبط لما انقطعت مصايرتهم للروم والعرب المسيحيين ضفت ذريتهم وقل عددهم .

(٥٢) ثم عندما شاع استعمال البخار لتسخير المراكب الثقيلة وتحولت الافكار للاحجاد اقرب الطرق لمواصلات اوربا مع الشرق الاقصى ، عرض المهندس ده ليبسيس<sup>(١)</sup> على الخديوي اسماعيل حضر ترعة هذه المراكب بين البحر المتوسط والبحر الاحمر واظهر له فوائدها لملكه ، فقبل رأيه وساعدته على انشائهما شركة تجارية . وتيسر له فتحها باليامه السعيدة سنة ١٨٦٩ م في السابع عشر من شهر نوفمبر باحتفال

(١) الذي كان ايضاً القنصل الفرنسي بالقاهرة وصار يُعرف فيما بعد بالكونت ده ليبسيس

عظيم حضرته الامبراطورة اوجني ، وصارت هذه الطريق تدعى  
ترعة السويس . وكان اسمعيل هاماً مقداماً كريماً الا انه قصير النظر  
بالعواقب ، وال الكريم يُخدع ، فخدعه رجال احاطوا به لمساهمهم وورطوه  
بالنفقة الفارغة فاستدان ولا عجز عن الوفاء سلّم خزينته لاهل الدين  
من انكليز وافرنسيس . ولأنه خالف رأيهم بعزله وزيره القبطي نوبار  
باشا تنفرّ منه الانكليز ، وكانوا قد اشتروا منه ، برأي وزيرهم لورد  
بيقونسفيلد ، حصته من اسهام شركة الترعة قبلاً للسلطان على خلمه  
سنة ١٨٧٩ خلفه ابنه توفيق الطيب الذكر ، لكنه بعد قليل تلبّك  
امره من عصيان عربي باشا وزير حر بيته الراغب في الناء المراقبة المالية  
بتحرّيك من السلطان عبد الحميد سنة ١٨٨٢ . فافقق الانكليز  
والفرنسيس على اسقاطه فاعجزهم ، وجيش المصريين لقاومتهم . واذ  
كانت مراكب الانكليز بالطريق للاسكندرية لعبت السياسة  
بالافرنسيس فانسحبوا وتركوا الانكليز وحدهم لسد هذا الخرق  
فدخل الجنرال سارجارت ولسي الاسكندرية باربعين الف مقاتل  
ولاق عربي في التل الكبير وهزمه ثم قبض عليه في القاهرة ونفاه سنة  
١٨٨٣ بأمر دولة الانكليز الى جزيرة سيلان حتى سنة ١٩٠١ التي  
أُفرج عنه فيها . وعيّن له معاش بالقاهرة من سمنة جنية بالسنة الى  
ان مات

(٥٣) وبهذا الاثناء كان توفيق قد تُوفي وخلفه ابنه الشاب عباس ، اذ

النائب الانكليزي بالقاهرة ، الماجور اولن بارنج الذي كان اصلاً أحد المراقبين الماليين وصار فيما بعد لورد كرومر . فدائة سن الخديوي القت على عاتق هذا الكهيل حملًا ثقيلاً بادارة البلاد ذمةً لاصحابها وسياسة لصالح العام . فأمنَّ البلاد وأجرى العدل واصلحَ المالية . ورأى من عباس جهلاً بهذه الخدمات وميلاً للاستبداد برأيه فاستعمل معه قساوةً القته بعصبية الاستقلال . وكان الانكليز قد احتلوا السودان ، قاتلة رجليهم الصدّيق غوردون . فلبيوا يراقبون الخديوي عباس الى ان لما ابتدأت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وهو بالاستانة لم يأمنوا من عودته لمصر ورأوه يتناجي مع اخصامهم فأسقطوه من امارته وبايعوا عمّه حسين سلطاناً حرّاً من تداخل الاستانة . وكان يرجى منه خير كثير لمصر لكنه بعد سنتين مات وخلفه اخوه فؤاد ونعم الخلف . والمؤمل الآن ان تقدم البلاد المادي والأدبي المستفاد من استانتها الانكليز يسمح لهم بتركها لمهدة اهلها بطريقة تحفظ الامن للسكان وتقى مصر والترعه من التعدي عليهمما ، لما لذلك من الاممية لتجارة الدنيا بأسرها . ولعل المستقبل لا يثبت ان يرينا مصر من المالك الراقيه ومن انصار الشعوب الحرّة السلمية ان شاء الله .

١٥ مارس سنة ١٩٢٢ . صبح : - وها هي الآن مملكة دستورية ! فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعدي من جنالك المعلم

## الاسلام

(١) الاسلام ديننا هو دين التوراة والانجيل ، ومذهبنا وشريعة هو أحد المذاهب المسيحية الجدلية ( التي عرفناها بهذا الكتاب ) والشرع الموسوي والعربي ، فلا حجة لنا عليه ولا اعتراض البة . ولو انحصر الدين بن خرج منه من الصلاح والفضلا ، لباري الاسلام أي دين كان . اما انتشاره السريع عند الدين قالوا آمناً ولما يدخل اليمان في قلوبهم ، وقصصي الرطاء بانشاء المدارس ، واستبداد اكثريهم وعملهم بأهواهم الشخصية ، يقرأون الكتاب فلا يتجاوز حناجرهم ، قليلاً ما افاد جهود المساهمين من أمميات الكتاب . والنفس أمارة بالسوء ، فلذلك نراهم أحط درجةً من الامم الراقية ، فيسلبون هذا الدين محسنه كلام ذلك لجهال اليهود والمسيحيين قبلًاً وبعدًاً

(٢) اما الخلافة وعليها سل السيف فانها بالوضع شوروية ، ومزيتها العدل وكمال التقوى والآداب والاً فهي سلطنة عسكرية ، وليس لـ لأجلها سيفه من شاء . ولا يصلح الله من أمر قوم حتى يصلاحوا ما بأنفسهم . ورق الله الاسلام من استبداد الحكام المسلمين ، أمين (٣) ومن أول الزمان وقع في الاسلام التباهي بالآراء كما وقع في

النصرانية . بعضه في الاصول وهو موضوع علم الكلام ، وبعضه في الفروع وهو موضوع علم الفقه . فالخلاف في الاصول ينحصر في اربع قواعد ، الاولى الصفات والتوحيد ، الثانية القضاء والقدر ، الثالثة الوعد والوعيد ، والرابعة النبوة والامامة

(٤) وكبار فرق الاصوليين سنت ، المعتزلة وضدھا الصفاتية ، والقدرية وضدھا الجبرية ، والمرجئة وضدھا الوعيدية . ويتشعب من هذه اصناف فتصل الى ثلات وسبعين فرقة . وقد رأينا مثلها بالنصرانية

(٥) فالمعتزلة يعممُ من الاعتقاد نفي الصفات عن ذات الباري تعالى هرثاً من أقانيم النصارى ، واقتفوا على ان كلامه تعالى مدحث بخلقه في محلٍ وهي المصاحف . وكان منهم احمد بن حاتط زعم ان المسيح تدرَّع بالجسد الانساني وهو الكلمة القدية المتجسدة كما يقول النصارى . ومنهم عيسى الملقب بالمزدَار بالغ في القول بخلق القرآن وان العرب كانوا قادرين على مثله فصاحةً وبلاغةً . اما الصفاتية فانهم يثبتون لله صفاتٍ ازلية من العلم والقدرة والحياة ، حتى من السمع والبصر والكلام الى حد التجسيم زاعمين بأن لا بد من اجراء حكم الآيات الدالة عليها كالاستواء على العرش وسفر التكوين . الا أن هذا المذهب تقضيه ابو الحسن الاشعري بنمته التشبيه

(٦) والقدرية ينفون القضاء والقدر فيقولون ان العبد قادر خالق لافعاله ومستحق عليها ثواباً ام عقاباً ، فالله تعالى منزهٌ عن ان يضاف

الى شرّ وظلم وسموا هذا البُطْ عدلاً . اما الجبرية فيقولون ان الله تعالى يخلق الفعل والقدرة في الانسان لكنها لا تؤثر ب فعله وان أثرت وشطّت به فان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ، ولا يُسأل عما يفعل وهو في ذلك كله عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف بما يعلمه المتصرّف ، ويواافقون العترة في نفي الرؤية وخلق الكلام (٧) والمرجئة يقولون بارجاء صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة ويقولون ايضاً انه لا يضر مع اليمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . اما الوعيدية فيقولون بتكفير صاحب الكبيرة وان كان مؤمناً فها أننا في كل هذا نرى خيال المسيحيين قبلهم واحسبي قد أخطأ الحجة ولو كنت بي من نقطة الباء خففة رُفعت الى مالم تنه بمحيلة (٨) أما مذاهب الفرعين المفسرين للأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهورة منها اربعة مذهب أبي حنيفة النهان بن ثابت ، ومذهب مالك بن انس ، ومذهب محمد بن ادريس الشافعي ، ومذهب احمد بن حنبل . واركان الاجتهاد ايضاً اربعة ، الكتاب والسنّة والاجماع والقياس ، وذلك لأنّه اذا عرض لهم حادثة شرعية من حلال او حرام ابتدأوا بالكتاب فان وجدوا فيه نصاً عليها قضوا به والا فرعنوا الى السنّة وهي الحديث الصحيح عن النبي ، فان وجدوا فيها خبراً حكوا بوجبه والا فرعنوا الى اجماع الصحابة لانهم راشدون حتى لا يجتمعون على ضلال ، وان لم يروا به مسندأ فرعنوا الى القياس

لأن الحوادث غير متناهية والنصول متناهية. وقد حان الآن التوسع  
بالقياس كما يقتضيه حال الزمان

(٩) ومن الأئمة داود الأصفهاني نفي القياس أصلاً وأبو حنيفة شدید  
العنایة به وربما يقدّم القياس الجلي على احاد الاخبار، وممالك والشافعی  
وابن حنبل لا يرجعون الى القياس ما وجدوا خبراً او أمرًا، وكل هؤلاء  
من اهل السنة وقد نقلنا خبر الامام على عنهم لكنه فاسد عند الشيعة

(١٠) اما الشيعة فهم الذين شایروا على بن ابي طالب ابن عم النبي  
وصهره وقالوا بأن الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم ويعجمهم  
القول بثبوت عصمة الائمة وجوّاً عن الكبائر والصغرى وان الامامة  
ركن من اركان الدين لا يجوز تفويضه الى العامة. ولمضد بالخارج  
الذين منهم من خطأً علياً فيها تصرّف فيه ومنهم من كفره ومنهم  
من جوّزان لا يكون في العالم اماماً اصلاً وان كان فيجوز ان يكون  
عبدًا او حرًا او نبطيًّا اي اسودًا، اذا كان عادلاً وان عدل عن  
الحق وجب عزله وقتله وكيف كان الامر فان قتل الحسين خفید  
النبي لا يُعذر

(١١) فعلى هذا البناء صار الاسلام احد اركان العالم الدينية الموقرة،  
لكن انتشاره السريع وظروف الزمان التي شاع فيها لم تسمح به تهدیب  
جمهوره الممجي بعد هدمه لاركان المدن القديم ولم يتمهدّب بعدئذ  
حتى خرج الحکم من يد العرب فتوقف بينهم الاجتہاد وصدّت

القرائح وأصبح الاسلام متصرّاً عن اصل وضعه كما جرى قبلًا بالذهب  
المسيحي وقبله بالموسوي

(١٢) والخالة هذه فان النهضة العربية الجديدة لا تقوم الاّن ما لم  
يكتفها رجال صادقون يديرون مصالحها بالحكمة والعدالة والاقتصاد  
مستندين على شعب طائع رزين يسهل لهم الاهتمام بترقية الآداب  
وطرائق العمران واكتساب ثقة العالم المتزرعة من سوء السياسة  
السالفة

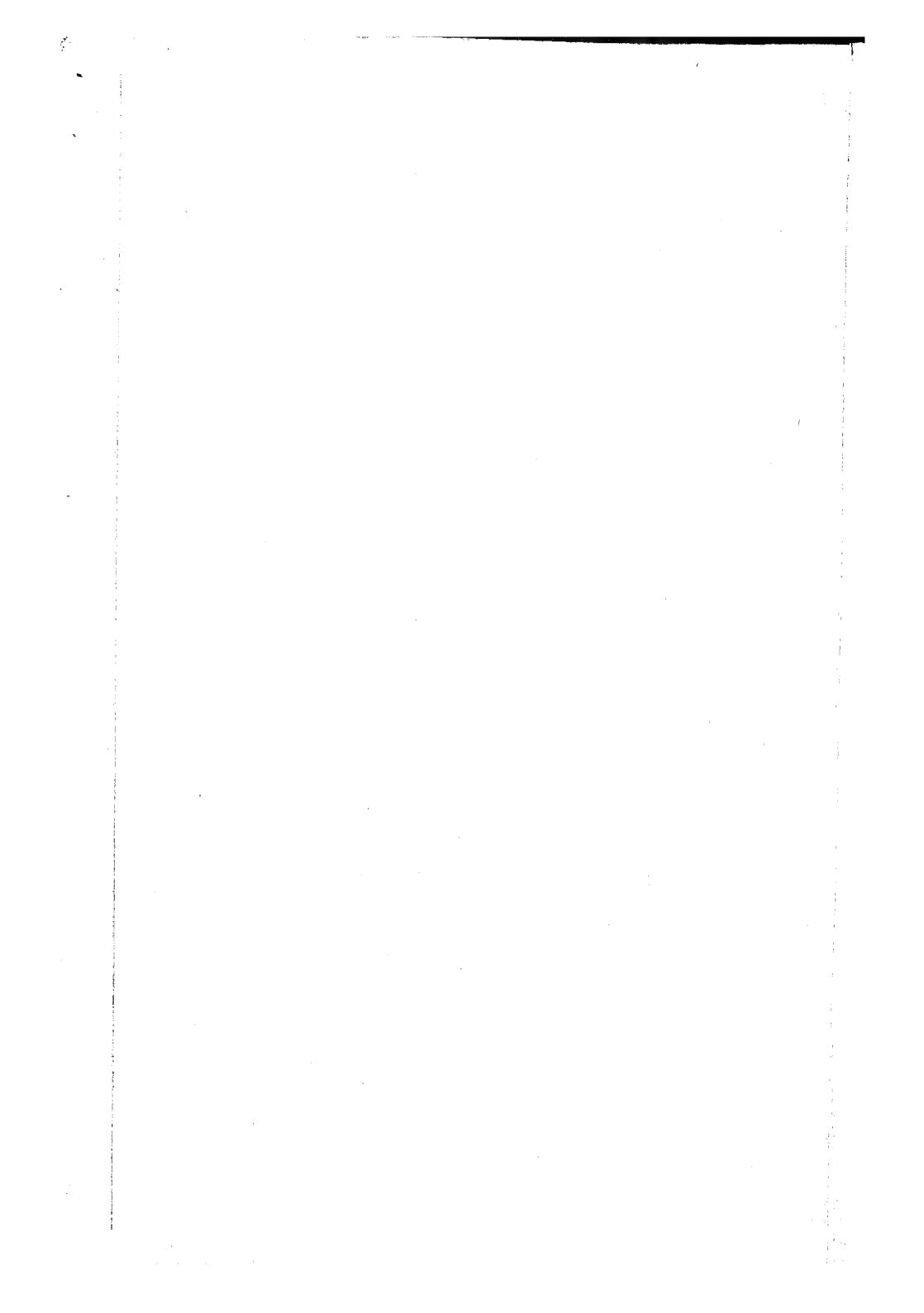
تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب في سبعة عشرة  
ليلة خلت من يونيو سنة ١٩٢٠ م  
والثلاثين من شهر رمضان سنة ١٣٣٨ هـ

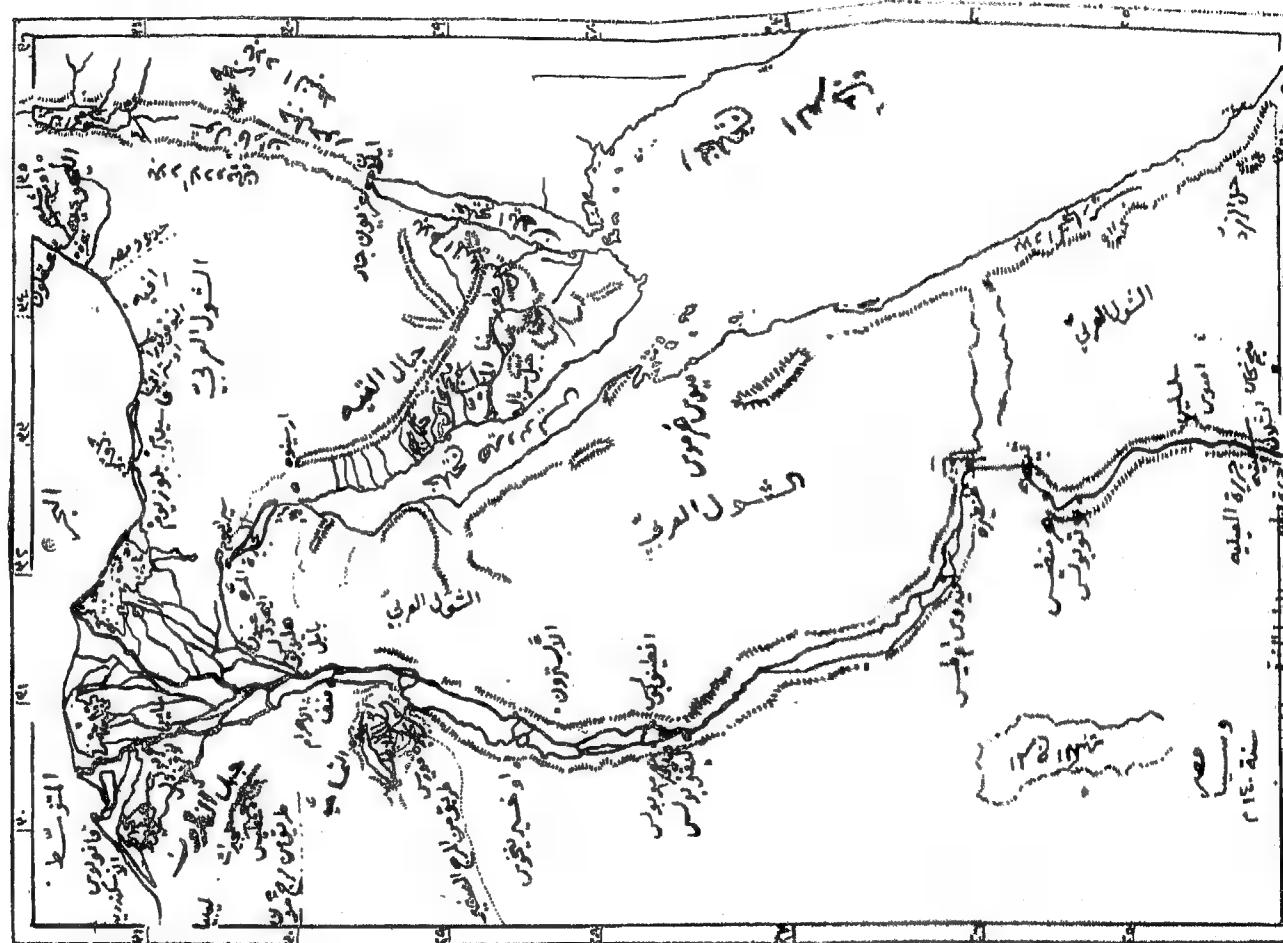
«وتم طبعه في أول شهر مايو سنة ١٩٢٤ م»

9.)

10.)

11.)





## فهرست الكتاب

	الفصل الاول
١	صفحة ٥ الى ٣٤
٢	وصية ملك مصر اليوناني والد قلاوقدرا
٣	قلاوقدرا
٤	موت بومبي بالاسكندرية غيلة
٥	وصول قيصر للاسكندرية
٦	احتراق المكتبة
٧	قيصرون بن قيصر من قلاوقدرا
٨	موت قيصر في روما غيلة
٩	مارق انطوني في طرسوس واستقباله فيها قلاوقدرا
١٠	عشقة لها
١١	هديته لها مكتبة من برغاموس
١٢	انتصار اوكتافيوس على يانوس عليه
١٣	موت انطوني وقلاوقدرا
١٤	شجرة عائلة البطالسة

- الفصل الثاني      صفحه ٣٥ الى ٦٧
- قائمة**      او قتاو يانوس الملقب او غسطوس ، اي الجليل المعظم
- ٣-٥ مصر ولاية رومانية
- ٦      هيرود المسمى ايضاً هيرود اغريباً الثاني ملك فلسطين
- ١٤      عظمة تجارة الاسكندرية      **بسترا بولا واصر**
- ١٧-١٥      حاكم مصر يغزو العرب بالجزيرة
- ١٨      روما تدين بدين مصر
- ٢٠      يهود مصر زهاء الف الف
- ٢٤٦      رهبان اليهود
- ٢٥-٢٢      اغريباً عائدآ من روما يير بالاسكندرية
- ٢٩-٣٢      فيلويهودي الافلاطوني
- ٤٨-٤٥      اكتشاف طريق الهند بحراً
- ٤٩      تجارة القرطاس
- ٥٠      الكيبيا المصرية
- ٥٤-٥٥      خبر البلاد والغريب عنه
- ٥٩-٥٨      فيكتس الطائر الحرافي      **لما هنوتة مصر به ولهم بولمع**
- ٦٢      ابتداء التبشير بال المسيحية في الاسكندرية      **بصرا**
- ٦٥-٦٠      عصيان اليهود في فلسطين وال الحرب ضدهم
- ٦٩      عمل نهر دجلة ينبع في الاردن      **الرئيسي مير سكرام** كفنته في بستان

الفصل الثالث	صفحة ٦٨ الى ٧٨	٧٨-٦٨	٧٨-٦٨
	فترة فرض حكم مصر للطامن على وحشة بيفارو		
	وسباريان امبراطور قاهر اليهود	٦٨-٧٨	٦٨-٧٨
	ابولينيوس الكاهن المشعوذ وسلطان عنا وسباريام	٧٨-٨٧	٧٨-٨٧
	خراب هيكل اورشليم واذلال اليهود عميد طبيوس	٨٧-١٤	٨٧-١٤
	دوميتيان يدين بدين المصريين ويشيد معابدهم في روما	١٤-١٨	١٤-١٨
	الشاعر الروماني يوينال يسخر من عبادة المصريين للبهائم	١٨-٢١	١٨-٢١
	حقيقة اعتقاد كثنة مصر رأى بلوتا	٢١-٢٢	٢١-٢٢
الفصل الرابع	صفحة ٧٩ الى ٩٩	٩٩-٧٩	٩٩-٧٩
	اعتبار اطباء مصر عند الرومان	٢	٢
	تخزين خراج مصر في روما بأمر تراجان	٤	٤
	تجارة الاسكندرية	٥	٥
	٧- جستول جريجوري		
	تنصر كثرين من اليهود	٩٦-٩٨	٩٦-٩٨
	ضم ثيبة النفي	١٠	١٠
	كتاب هدريان عن أخلاق المصريين	١١	١١
	١- المسجية المصرية	١٢	١٢
	٢١٠٠٠ شيوخ التجيم في مصر	١٢	١٢
	٢٢٢٢٢ الاسكندرية ما برحت قطبًا لعلوم الدنيا وتجارتها رأى حارقوس	١٢	١٢
	٤٤٤١٦ دلائل اقتضار المسجية	١٢	١٢
	٤٥٦٤٢ بطيءوس صاحب المخطوطة		
	٤٧٦٢٢ لوكريوس		
	٤٧٦٢٢ بطيءوس		
	٤٧٦٢٢ لا إله إلا صرا		



الفصل السابع      صفحة ١٣٣ إلى ١٥٨

- ١- قسطنطين واعتنقه الدين المسيحي
- ٢- الاقسامات الكنائسية ٤- حصر عددها
- ٣- مجمع نيقا ٧- معرفة المفهوم القرى مما يحيى كونه
- ٤- اسم النصارى ٩٧- الجموعة
- ٥- بناء القسطنطينية وانتقال كرسي الملك اليها
- ٦- خمول روما
- ٧- خمول الاسكندرية قيامتها ثم خلاف الكنائس
- ٨- نزاع كنائسي ٢٢٢ (اثناسيوس ١٢٥) - ١٢٠
- ٩- الاقلاب السياسي الناتج من انتشار المسيحية ٥٥ - ٥٤ معرفة
- ١٠- امتداد الرهبة ٢٧ - ٢٧
- ١١- عجائب النساك ٢٩ - ٤٨ - ٢٩ - ٢٩ - ٢٩ - ٢٩ - ٢٩ - ٢٩
- ١٢- روما تابعة مصر بالاراء الدينية ٤٣ - ٤٣
- ١٣- الاحتفال بالقرن الحادي عشر من بناء روما ٥٥ - ٥٥ - ٥٥
- ١٤- اثير أبراج الفلك بأمزجة الخلق ٢٦ - ٢٦
- ١٥- هيجان الوثنيين ضد المسيحيين ٣٤ - ٣٤
- ١٦- موئق البطريرك اثناسيوس مؤسس السلطة الكنائسية ٤٥ - ٤٥
- ١٧- رهبان مصر ٥١٠٤٩ - ٥٦٦ - ٥٦٦ - ٥٦٦ - ٥٦٦
- ١٨- سباق الخيل في غزة ٥٦

## قصة

٥٧-٨٠ خروج حجر من يد الرومان

الفصل الثامن صفة ١٥٩ الى ١٧٨

## ١- القضية القاضية على الوثنية

٢- خراب معابدها

٣- اتهاب المكتبة

## ٤- تقاليد وثنية عند المسيحيين

٥- نزاع ديني مسيحي - سقوط الارسالبتوس

٦- سوء حالة مصر الاقتصادية

٧- اشكال طعن في الرواية

٨- سرقة (صندوق التبرع)

٩- غريغوريوس الأول بابا روما مبشر الانكليز بالمسيحية

١٠- نسطوريوس (٢٨) وخلفه الزعماء والقادة

١١- اخطاء افتراضية (٣١) رهبان الافرينج في مصر

١٢- وانتقام (٣٢) قدم صناعة عمل الورق

١٣- شبان الارمن في مدارس الاسكندرية (٣٣) وغريغوريوس

١٤- اشكاله (٣٤) اورو باهروال الى الخراب

١٥- مصر (٣٥) صفة ١٧٩ الى ١٨٧

١٦- نزاع ديني بين المسيحيين او اوثان

١٧- مجمع خلقيدونيا

- ١٠ - النوب و لم ير جاه سعيد (١٣٣) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١١ - التردد على ميلون نيلوف نيلوف نيلوف (١٣٤) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٢ - نزاع ديني مسيحي (١٣٥) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٣ - أصغر و لم ير (١٣٦) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٤ - توادر النزاع (١٣٧) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٥ - الفرس تحت أسوار الاسكندرية (١٣٨) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٦ - و استمرارها (١٣٩) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٧ - إحسانات اليهودي المستنصر أربيب (١٤٠) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٨ - الفصل العاشر صفحه ١٨٨ الى آخر الكتاب (١٤١) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ١٩ - و قيام المصريين و دينيا و كلاما (١٤٢) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٠ - عرب حمير (١٤٣) مجمعية جروه لونسته المجمع (١٤٤) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢١ - نزاع ديني مسيحي (١٤٥) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٢ - الروم الملكيين تعبيه (١٤٦) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٣ - دخول الفرس (١٤٧) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٤ - الحبشة (١٤٨) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٥ - عاصمة ليفانت (١٤٩) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٦ - جزر بريطانيا وتجارة مراكب المصريين معها (١٥٠) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٧ - مسؤولياتهم (١٥١) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٨ - موريقى و كسرى (١٥٢) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٢٩ - مسكنة (١٥٣) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٣٠ - أغسططين الراهب المبعوث من البابا غريغوريوس لبريطانيا (١٥٤) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٣١ - بوحنا المكتو (١٥٥) ظهور الهملا الحمدى بكتة  
 ٣٢ - الارض على الملائكة (١٥٦) كسرى ينتقم من قاتلي موريقى (١٥٧) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٣٣ - احتلال مصر من الفرس (١٥٨) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٣٤ - قطع خراج مصر عن القسطنطينية (١٥٩) مجمعية جروه لونسته المجمع  
 ٣٥ - اجلاء الفرس عن مصر (١٦٠) مجمعية جروه لونسته المجمع

٧ - الهجرة النبوية

٨ - الخلافة

٩ - احتلال مصر من العرب ٤٢-٤٣

١٠ - أمير المؤمنين يهرب ليلغر بحرائق كتب مكتبة الإسكندرية

١١ - سكان مصر حينئذ ٤٤

مصر ولاية عثمانية

مصر حكومة خديوية

حرر ترعة السويس

احتلال مصر من الانكلترا

الحرب العظمى

اسقاط الخديوي عباس

تحرير مصر من سيطرة الاستانة

حسين سلطان مصر

فؤاد ملك مصر

مصر تملكة دستورية

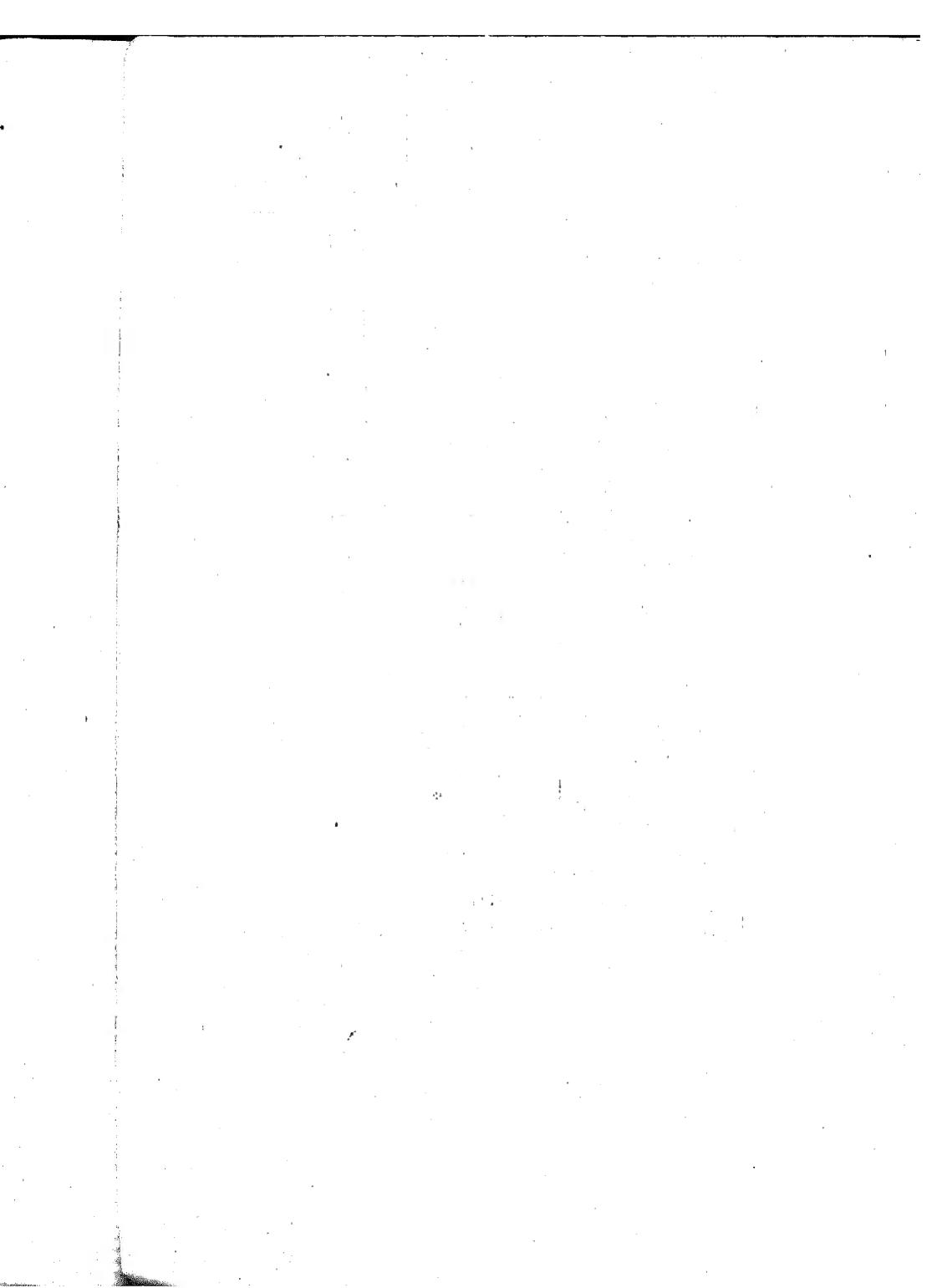
الاسلام والتهذيب العربي

يراجع ناحية الموضع كتاب (المصر العصرية في تحالفها مع روسيا والإنكلترا)  
لأستاذ محمد سعور (دليل ع溟يم الإسكندرية) الأستاذ

## اصلاح خطأ

صفحة	بند	سطر	خطأ	
٥			حاشية	العيلات
٥			٩	مجهرة
٢٣		٣٧	٩	مجهرة
٣٠		٥٣	١	اقتصاد
٣٢		٥٩	٢	كتابتها
٣٦		٦٦	٢	ولاية
٤٠		٦٦	٦٦	حاشية
٤٤		١٩	١	يتعرض
٤٩		٤٩	٤	يصلون
٥١		٣٣	١	تعرض
٦٨		٦٨	٤	اكتساب به
٦٨		٦٨	٢	ستين
٦٩		٦٩	١	أي
١٠٣		١٠٣	٢	فصارت تكتسب من
١٣٨		١٣٨	٤	مسجد
١٤١		١٤١	٣	لاريوسين
				بالاريوسين

صفحة	بند	سطر	خطأ	صواب
١٤٧	١٩	٣	يتحرش	يتعرض
١٤٩	٤٢	١	يتحرش	يتعرض
»	٤٣	٢	لغنٌ	لغنٌ
١٦٥	١٦	٢	يجتزء	يجتزئ
»	٢٦	٣	يسأشفون	يستشفوا
١٧٩	٢٥	١٠	٥١٤	٤١٥
»	٢٦	٢	فيها	فيه
١٧١	٢٩	٦	الى الصحراء	بالصحراء
١٨١	٢٩	٢	بائهم لا	بألا
١٨٦	٢٠	٥	عن	من
١٩٥	١٦	٣	باحثكار	حيفاستوس
»	»	٤	حيفاستوس	باحثكار
١٩٦	١٩	٦	لهم	٣:
٢٠١	٣٢	٦	بالمسيح	بالمسيح
٢٠٤	٤٠	٤	بأمره	يأمره
٢٠٥	٤٣	٣٠	مرسح	مرسحًا
٢٠٦	٤٦	٣	فار	فاروس





BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية



المطبعة العسكرية  
ل扈تها اليهودية لطبع الكتب

الطبعة الأولى ١٩٤٠